طبـيب بالـيرمـو

اسم الكتاب:	طبيب باليرمو
اسم الكاتب:	أحمد جمال أحمد
تصميم الغلاف:	فريق شغف
المراجعة اللغوية	رانيا خليل
الإخراج الفنيّ:	جمال عبدالرحيم
الطبعة:	الأولى
رقم الإيداع:	11628 / 2023
الترقيم الدولي:	978-977-86701-6-0

Gmail	almaktaba79@gmail.com
facebook	Facebook.com/arabiclibrary2017
	01030365801 – 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

طبيب باليرمو

روايـــة

أحمد جمـال أحمد

للنشر والتوزيع
Arabic Library

الفصل الأول

في أجواء طقس باردة إلى حد ما وسماء غائمة، بأحد أيام شهر نوفمبر(2010م) يقف يخت بشكل مريب بعرض البحر، يحمل أربعة أشخاص، سود البشرة، مسلحين، يبدو من هيئتهم أنهم يعودون لجنسيات أفريقية، يقفون وكأنهم بانتظار أحد، وبالفعل بعد وقفتهم بوقت قليل حضر يخت آخر صغير يحمل على متنه رجل كبير في السن، ويبدو أنه حضر بمفرده وهذا ما لفت نظرهم أيضًا حين توقف بجوارهم وخرج من كابينة القيادة لهم، فتتطلعوا فيه وببعضهم البعض، فقال لهم بالإنجليزية:

أستظلون تتطلعون بي وفي بعضكم هكذا؟

فرد عليه أحدهم وكان يجيد الإنجليزية:

فقط نحن مندهشون من حضور رجل واحد لتلك الصفقة وكبير في السن مثلك.

- وهل هذا يمنع إتمامها أو يشكل خطر عليكم.

فضحك بسخرية، وقال:

بالتأكيد لا، أيها العجوز، ولكنه يثير علامات الاستفهام.

- علامات الاستفهام! دعونا إذًا من علامات الاستفهام ولننجز ما حضرنا له، فالأجواء من حولي لا تشعرني بالراحة، فربما تكون هناك عيون أخرى تحيط بنا ولا نراها.

- ماذا تقصد بكلامك؟

- أين بضاعتك؟

- وأين أموالك؟

فأخرج حقيبة وفتحها أمامهم بها مبلغ كبير من المال، فسال لعابهم وأشار أحدهم لأحد الأفراد بإشارة بعينه، قام على إثرها بإطلاق الرصاص على العجوز، فسقط على أرضية اليخت، فقال أحدهم بلغتهم الإفريقية:

- يا له صيد ثمين بهذا اليوم! فها نحن سنحصل على المال والبضاعة معًا، ثم صعد أحدهم لليخت؛ ليحصل على الحقيبة وبشكل مباغت يتلقى رصاصتين يرديان قتيلاً وسط صدمة منهم، ليقوم بعدها بإطلاق الرصاص عليهم جميعًا بعد أن بادلوه إطلاق النار دون أن يصيبه مكروه، وكانت النتيجة أربعة قتلي، ثلاثة بيختهم وواحد بيخته، وحصل هو على حقيبة البضاعة، ثم قام بعدها بحمل الجثة التي على يخته، وهو يقول بعدما أنهكه حمله وإلقاءه بالبحر:

- يا لك من شخص ثقيل الوزن والدم أيضًا، وأرهقتني اليوم.

ثم تفاجأ بصافرات إنذار فقال: اللعنة! خفر السواحل، عليَّ أن أغادر حالاً، فلا أود المزيد من القتلى، فيكفي هؤلاء الحمقى.

وظلوا يطاردونه لبعض الوقت قبل أن يتمكن من مناورتهم والفرار بعيدًا عن أعينهم إلا أن أحدهم لازال يلاحقه، فقال حين لاحظه:

- تبًا لك أيها الشرطي! يبدو أنك مُصر بألا يمر اليوم خاليًا من دماء الشرطة الذكية.

قبل هذا المشهد بحوالي ستة وعشرين سنة تقريبًا بإحدى قرى (باليرمو) الريفية، وفي أحد المنازل تسمع امرأة صوت صراخ طفل بالخارج وتقول لزوجها الذي يجلس بالقرب منها، ولكنه لا يستمع للصوت مثلها، حيث كان مشغول بقراءة بعض التراتيل الكاثوليكية، فتقول زوجته: أتسمع أماليو؟

فيتوقف عن القراءة وينتبه لها قائلاً:

أسمع ماذا لويزا؟

- هذا الصوت بالخارج، يبدو صوت طفل يصرخ بالقرب من باب منزلنا، فتوقف عن القراءة وأعطى سمعه، وقال:

حقًا، فأنا أيضًا أسمع صراخ طفل بالخارج.

- هيا بنا لنرى ونتأكد بأنفسنا مما سمعنا.

خرجا سويًا، فتفاجئا بوجود طفلة وعرفوها من ملابسها، وكانت ملفوفة بعناية وموجودة داخل حقيبة أطفال، فحملتها السيدة لويزا وسرعان ما سكنت الطفلة وهي بيدها وتوقفت عن البكاء، بل ونظرت للمرأة بابتسامة خطفت بها قلبها وأثارت به العاطفة والحنين نحوها، فظلت تحدق بها وزوجها يقف يتابع ما يجري ولا يعرف كيف يتصرف في هذا الأمر المفاجئ لهما؟ فلا يوجد من خلال تطلعه في المشهد من حوله شخص يمكنه أن يسأله عمن وضع الطفلة أمام منزلهم أو لمن تعود؟ فقال لها:

لا يوجد أحد لويزا؛ لنسأله عن الطفلة، فماذا يمكن أن نفعل لها؟

. يمكن أن نفعل الكثير أماليو كأن نحسن تربيتها مثلاً.

- تربيتها؟! وهل سنربيها نحن؟

- نعم، بكل تأكيد، فكما ترى لا يوجد أحد نستدل منه عليها، فربما وضعها أحدهم وغادر.

- ربما تكون مخطوفة ووالدها ووالدتها يبحثان عنها الآن وبالتأكيد هم في حالة لا يرثي لها.

- لابأس نتأكد من ذلك، ولكن في حال لم يظهر لها أب أو أم نقوم نحن بتربيتها والاعتناء بها، فحتمًا لن نضعها بدار رعاية، أنظر لها أماليو أليست طفلة جميلة؟

فدقق بها قائلاً وقد ارتسمت ابتسامة على شفتيه:

- نعم بالفعل تبدو طفلة جميلة ورقيقة للغاية، ثم دخلا منزلهما ومعهما الطفلة، ويبدو أن كان هناك من يتابع ما يجري دون أن يراه أحد منهما وغادر المكان على الفور حين اطمئن أن الطفلة صارت معهما.

*****

بعد هذا المشهد بقرابة خمس سنوات وبأحد قرى مركز الدلنجات بمحافظة البحيرة بمصر كان هناك طفل يُساعد أباه بالحقل في أحد الشهور الصيفية، والشمس تعلو بالأفق، والجو شديد الحرارة، وكان موسم حصاد القمح وتصادف في هذا الوقت مرور سيارة فارهة يبدو على قائدها وهو شاب أنيق أمارات الرفاهية وبحبوحة العيش على غير باقي أفراد القرية، وصوت الكاسيت بسيارته عالي ويحدث ضجيج مسموع ما جعل الطفل يلتفت نحو الصوت، فإذ بهذا الشخص يقف بسيارته أمامهما ويوقف الموسيقى، ويقول:

- السلام عليك عمي إبراهيم.
- فاستدار له الرجل المنهمك بعمله.

- وعليك السلام يا يوسف، متى حضرت من إيطاليا؟

قبل يومين، ألن تسمع لنصيحتي بعد وتحاول السفر والهجرة وتدعك من هذا الشقاء الغير مُجدي؟

- يا بني لم يعد بإمكاني القيام بتجربة كهذه، فلديَّ أطفال ومسؤوليات وأخشى عليهم، كما أنني مكتفي بما يعطيه الله لي هنا.

- ربما يفكر علي في ذلك حين يكبر.

- علي؟! لا أظن، فعلي متعلق بالتعليم ويفضل أن يمكث هنا ببلده.

- لا بأس، فقد يغير رأيه في وقت لاحق حين يرى الوضع بمنظور آخر، سأغادر الآن، فلديَّ رحلة مع بعض الأصدقاء بالإسكندرية؛ لنرتاح من هذا الحر القاسي الذي لا يحتمل، فهل تحتاج مني شيء؟

- أشكرك على كل حال وسلامي إلى والدك.

غادرت السيارة بسرعة كبيرة ووراءها نظرات الطفل التي ظلت تتابعها حتى اختفت عن أنظاره، لتذهب أنظاره بعدها نحو مشهد أسره أكثر من مشهد السيارة الفارهة والشاب، وهم جمع من الطلبة يمرون من أمام الحقل بعد انتهاء أحد أيام الدراسة، فقال له والده بعدما افتقد صوته وحركته وهو مشغول بجز المحصول

- مالك يا علي؟ لا أسمع لك صوتًا، هيا أعطني تلك اللفة من الأربطة؛ كي ننهي عملنا بالحقل، فما زال لدينا أعمال أخرى كثيرة لننجزها بيومنا.

- أمرك يا أبي.

نشأ لعائلة فقيرة جدًا من أب وأم مكافحين؛ من أجل توفير لقمة العيش لهم ولأبنائهم، فقد كان والده إبراهيم أو أبو إسماعيل كما ينادونه

أغلب أهل قريته يعمل فلاحًا، كان رجلاً أسمر البشرة كغيره من الفلاحين أمثاله ممن نالت منهم ومن وجوههم أشعة الشمس الحارقة وأعمال الكد التي يقومون بها، كما كانت يده مليئة بالشقوق التي تعد أمر طبيعي لمن هو مثله؛ جراء إمساكه أغلب الوقت بتلك الأدوات التي يستخدمها في مهنته، وكان له بضعة قراريط من الأرض الزراعية التي آلت إليه عن طريق الميراث، فكان يقوم بزراعتها في أوقات كثيرة ببعض الخضروات والمحاصيل غير المكلفة ذات الإنتاج شبه اليومي وذلك بهدف توفير المأكل ومتطلبات الحياة اليومية.

هذا إضافة إلى عمله كأجري باليومية من خلال بعض المقاولين الزراعيين، وكان يقوم أيضًا بتربية بعض المواشي لغيره؛ مقابل الحصول على جزء من ألبانها لبيعه من أجل توفير النفقات له ولأسرته التي تزداد أعبائها ومشاكلها يومًا بعد يوم، فكم هو حجم المعاناة التي يتحملها هذا الأب المسكين؛ من أجل توفير لقمة العيش له ولأسرته ولو استطاع أكثر لفعل، ولكن ضيق الوقت وضعف الحال جعل الأمر محال، فقد كان ذلك الأب المسكين، المكافح، يستيقظ في وقت مبكر جدًا من اليوم، من قبيل صلاة الفجر؛ ليذهب لمزاولة أعماله اليومية وبالطبع كان يعود متأخرًا وهو في حالة تعب وإنهاك شديدين من ممارسة أشغاله ليجلس وبالكاد ساعة أو ساعتين مع أسرته؛ لتناول وجبة العشاء ومعرفة متطلباتهم قبل أن يخلد للنوم سويعات قليلة وذلك ليبدأ رحلة الكفاح والشقاء اليومي من جديد في اليوم التالي، وهكذا تمر الأيام على هذا الأب دون اختلاف كبير فيما يقوم به، وكان هذا حال الأب المسكين.

أما بالنسبة للأم فتحية أو أم إسماعيل كما يطلقون عليها أيضًا أهل القرية، المرأة البسيطة، ذات الوجه المكدود، والجسد النحيل، والأيدي التي فقدت نعومتها وملمسها الأنثوي وباتت خشنة قاسية؛ من كثرة استخدامها بالأعمال الشاقة، فيبدو أن حالها لم يختلف كثيرًا عن الأب، فقد كانت هي الأخرى تعاني تقريبًا من نفس معاناة الأب، ولكن مع اختلاف بسيط هو شكل وطبيعة الأعمال التي تمارسها الأم، فقد كانت هي الأخرى تستيقظ في الصباح الباكر قبل زوجها؛ لتحضر له وجبة الإفطار وما قد يحتاجه من طعام وشراب خلال يوم العمل الشاق له، ثم فور خروجه للعمل بعد أن يصلي الفجر تقوم بأعمال المنزل اليومية المعتادة، وهذا قبل أن تذهب ببعض الخضروات الطازجة وما لديها أحيانًا من سمن وجبن تعده بنفسها من ألبان المواشي لديهم، وكذلك بعض البيض المتوفر لديها والذي قد يحرمون هم أنفسهم من تناولها؛ لكي تقوم ببيعها في سوق القرية أو حتي أسواق القرى القريبة منها؛ لعلها تأتي ببعض النقود بما يعينهم على متطلبات المعيشة الكثيرة والتي لا تنتهي.

ولكن تلك الأم المسكينة المكافحة كانت تسرع في بيع الخضار وذلك بهدف الوصول سريعًا إلى المنزل، وهذا كله ليس من أجل الراحة والاسترخاء، ولكن من أجل إتمام بقية أعمال المنزل، والقيام أيضًا ببعض أعمال الخياطة؛ لصالح بعض أهالي القرية، وهذا فضلاً عن قيامها في فترات متعددة من الأسبوع ببعض الأعمال المنزلية لذوي الحال الميسور بما يعرضها أوقات كثيرة لبعض المضايقات الغير لائقة من أهالي تلك المنازل، ولكن تلك الأم الشريفة، الصبورة، كانت تتحمل كل تلك المتاعب والمضايقات ولا تخبر زوجها بما تتعرض له في بعض الأوقات من

مضايقات؛ وذلك خوفًا من أن يمنعها زوجها من العمل بتلك الأعمال التي كانت تأتي منها ببعض النقود التي تعينهما على مواجهة ظروف المعيشة القاسية والتي لا ترحم، فكم كانا هذان الأبوان مكافحان وصبوران وذلك من أجل أن يُربيا أولادهما تربية صالحة، موفران لهم احتياجاتهم قد استطاعتهما، فكانا على يقين بأن هذا هو دورهما الرئيسي بالحياة، وقد كان لهذا الولد من الإخوة أربعة إخوة، أحدهم أكبر منه بخمس سنوات، وكان يعاني من الإعاقة الذهنية التي أحالت بينه وبين التعليم والعمل في ذلك المجتمع الذي يُعاني فيه تلك النوعية الخاصة من البشر، وبالتالي كان ينظر إليه على أنه يمثل عبئًا مضاعفًا على أسرته ذات الحالة المادية الضعيفة جدًا، فقد كان هذا الفتى يحتاج إلى رعاية خاصة ومعاملة خاصة في أغلب الأوقات، بما يزيد الأعباء المادية والمعنوية على أبويه وإخوته، والأخر أصغر بثلاثة سنوات، وكان له أختان أحدهما أكبر منه بأربعة أعوام، منعها ضيق الحال من تحقيق حلمها وإكمال دراستها، حيث توقفت في الدراسة عند المرحلة الابتدائية؛ لكي تقوم بمساعدة والدتها في أعمال المنزل وهي المرحلة التي يعتبرها رب الأسرة أقصى إمكاناته في تعليم أولاده، والأخت الأخرى كانت أصغر منه بعامين، وكانت تعانى من ضعف بالقلب، وكانت تكاليف علاجها كبيرة ولا تستطيع الأسرة تحملها بالكامل، فكان يساهم أهل الخير أحيانًا في العلاج، ولكن ليس باستمرار بما يزيد المسؤوليات على تلك الأسرة يومًا بعد يوم، ولكن بالصبر والكفاح كانت تمر الأيام على تلك الأسرة الفقيرة.

ومن خلال تلك السطور القليلة السابقة يمكننا يتضح لنا بشكل مبسط حجم المعاناة والفقر الذين كان يعاني منهما هذا الفتى وأسرته منذ

أن كان طفلاً رضيعًا، فقد ولد وتربى منذ طفولته في جو من الفقر والحاجة، فقد كان لكل من أخوته الأربعة مشاكله الخاصة التي تزداد يومًا بعد يوم بما يزيد من الضغوطات، كما أن حال الأب وألام يضعف يومًا بعد يوم؛ لكثرة المسؤوليات والمشاكل الملقاة على عاتقهما، وفي ظل هذا الحال كبر هذا الولد وكبرت معه آماله وتطلعاته وفي نفس الوقت مسؤولياته، حيث كان هذا الطفل ينظر لنفسه منذ سن مبكر جدًا على أنه سيكون المسؤول الأول عن تلك الأسرة بعد الله سبحانه وتعالى، وأنه سيكون حتمًا طوق النجاة لأسرته من حالة الفقر والبؤس اللتين يعانون منها جميعًا، ولكن كيف يكون ذلك؟ هذا ما وعي وفطن إليه الطفل أيضًا منذ سن مبكر جدًا في الوقت الذي يفكر من في مثل سنه وعمره في اللهو واللعب فقط، فقد علم ووعى هذا الفتى أو الطفل على أن المخرج الوحيد له من تلك الحالة هو أن يصبح إنسان ذا قيمة في هذا المجتمع، ويصبح شأنه شأن صفوة المجتمع الذي كان يراهم في المناسبات العامة بالقرية التي يقطن بها أو من خلال شاشة التلفاز الموجود عند جيرانه، فهم بالتأكيد ليس لديهم تلفاز والذي يذهب إليهم في بعض الأحيان؛ ليشاهد ما يعرضه من برامج ومسلسلات والتي تطلعه على مثل هذه الفئات والنماذج الناجحة في شتى المجالات والتي أثرت بشكل إيجابي على من حولها سواء أسرهم أو حتى قراهم ومدنهم التي يقطنون فيها أو يتبعون لها.

ولكن كيف يتحقق له هذا الحلم البعيد؟ هذا أيضًا ما وصل له عقله الصغير في الحجم والسن، والكبير في التفكير والإدراك، حيث كان يسبق عمره الصغير بأعوام كثيرة، فكان يرى دائمًا أن ثمة عوامل مشتركة

بينهم، إما موهبة ما يتمتعون بها عن غيرهم أو من خلال التحصيل العلمي الجيد، فحين بحث في نفسه مبكرًا، فوجد في العلم والتعليم السلاح القوي الذي يمكنه من تحقيق أحلامه وتطلعاته الكبيرة، خصوصًا وأنه دائمًا ما يميل قلبه للتعلم ويستمتع دائمًا بمنظر الصبية والأطفال الذين يكبرونه سنًا حين يذهبون صباحًا ويجيئون خلال فترة الظهيرة من مدارسهم، وكثيرًا ما يتابع هذا المشهد يوميًا طوال أيام دراستهم، وكان يتمنى أن يأتي اليوم الذي يرتدي فيه نفس الملابس ويحمل فيه حقيبة المدرسة على ظهره؛ ليلتحق فيه بالمدرسة ويصبح مثلهم، ليس لتقليدهم فحسب، ولكن لهدف أعمق وأبعد من هذا بكثير، وهو معاونة والديه ومساعدة أسرته من هذا المدخل الذي سيساعده فيه عقله الذي يتقد بالذكاء منذ نعومة أظافره، فالتحق بالتعليم الأساسي وأصر من البداية على الاستمرار والتفاني فيه من أجل أن يتحقق الحلم الذي يسعى من أجل تحقيقه، تعلق قلب هذا الطفل بالتعليم والعلم، حيث كان مقتنعًا في الوقت ذاته أنه بالعلم والتعليم سوف يصل إلى أعلى وأرقى المناصب في هذا المجتمع أو على الأقل يعمل بمهنة قوية؛ وبالتالي يتحقق حلمه الذي يسعى من أجل تحقيقه وهو انتشال أسرته من حالة الفقر والمعاناة التي يعيشون بها والتي كانت ولا زالت عائقًا رئيسيًا في سبيل تحقيق أبسط أحلامهم في الحياة، وقد ينتابنا حالة من الذهول والدهشة حين يفكر هذا الطفل مثل هذا التفكير في هذا السن وخلال تلك الفترة في الوقت الذي يفكر فيه من في سنه ومن يكبره سنًا أيضًا في اللهو واللعب فقط، ولكن لما لا؟ فهذا الطفل لديه من الذكاء، والفطنة، والوعي، وسعة الإدراك الغير عادى لمن في مثل سنه إلى أن يعي كل تلك

الهموم والمشاكل التي تعاني منها أسرته في هذا السن المبكر، حيث كان لديه من القدرات الذهنية ما يؤهله إلى أن يفهم كثيرًا من الحقائق والوقائع الملموسة مبكرًا عن أقرانه، فكان على علم جيدًا بالوضع المادي لأسرته وأيضًا حجم الشقاء الذي يتحمله أبويه من أجل توفير لقمة العيش بالكاد له ولإخوته دون أن يشعروهم بشيء من هذا الشقاء، ولكنه دومًا كان يستشعره هو من خلال نقصان الاحتياجات الأساسية من مأكل، ومشرب، وملبس، وحتي الدواء لأشقائه؛ نتيجة تلك الظروف القهرية التي تلازم هذا النوع من الأسر المنتشرة في ربوع البلاد، فالتحق بالمدرسة الابتدائية التابعة للقرية، حيث كانت المدرسة الوحيدة الموجودة بها وهناك أكمل تعليمه الابتدائي على أفضل ما يكون متفوقًا على أقرانه من التلاميذ، وهذا كله رغم ظروفه الصعبة التي كان يمر بها خلال تلك المرحلة، فكان بمثابة اليد اليمنى لأبيه في كل أعماله، فكان يساعده في أعمال الزراعة، وتربية المواشي، وغيرها من الأعمال اليومية وهذا بالإضافة إلى قيامه بمساعدة أمه بنقل الخضروات صباحًا إلى السوق، وهذا كله فضلاً عن قيامه بالذهاب إلى المدرسة، والمذاكرة، وأداء الواجبات.

وكل ذلك يتم بجد واجتهاد وبالتالي لم يكن لديه أي وقت للعب واللهو، فقد كان كل وقته بين العمل، والمذاكرة، والذهاب إلى المدرسة، أما ما يتبقى من الوقت، فكان يكفى وبصعوبة لأن يخلد هذا الطفل إلى النوم والراحة؛ لكي يصبح مثل كل مسؤول يعمل، ويذاكر، وينام، وليس مثل كل طفل يلعب، ويلهو، ويذاكر، وينام، فكم من مشقة كان يتحملها هذا الطفل في هذا السن المبكر، ولكن كل هذا يهون من أجل تحقيق

الأمل المنشود، ومرت المرحلة الابتدائية بكل تلك المعاناة التي افتقد فيها معنى الطفولة الحقيقي وها هي المرحلة الإعدادية على الأبواب بمعاناة أكبر، فقريته الصغيرة التي يقطن بها ليس بها مدرسة إعدادية وأقرب مدرسة إعدادية تبعد عن القرية حوالي سبعة كيلو مترات مما يزيد من المشقة عليه وعلى والده الذي بات يعتمد عليه في كثير من الأعمال، فذهابه إلى المدرسة يوميًا وعودته يجعله أكثر تعبًا وإرهاقًا وبالتالي لن يستطيع إنجاز الكثير من العمل الذي بات يعتمد أبيه في إنجازها وإتمامها عليه، ولكن رغم كل هذا، فإن هذا الأب لم يتخلى عن ابنه، فكان يعلم تمام العلم بمدى تعلق ولده بالتعليم خلافًا عن أبنائه الآخرين، وقد تبين له ذلك من خلال النجاح الباهر الذي حققه في المرحلة الابتدائية وذلك رغم الظروف الصعبة التي كان يمر بها في تلك المرحلة من تحمله لمسؤوليات يكل منها الرجال، فألحقه والده بالمدرسة الإعدادية رغم علمه بأن ذلك سوف يزيد من أعبائه، فليس هناك من أولاده من يستطيع تحمل الأعمال التي كان يقوم بها هذا الابن، ولكن كعادة هذا الولد الذي يشعر دائمًا بالمسؤولية تجاه أسرته، فكان يقوم خلال تلك المرحلة بجهد مضاعف من أجل مساعدة والديه في أعمالهما، كما كان يفعل مسبقًا، بل إنه في بعض الأحوال كان يفعل أكثر مما كان يفعل مسبقًا، وهذا إضافة إلى التزامه التام بحضوره في المدرسة، والتزامه بأداء الواجبات المدرسية المختلفة على أفضل ما يكون، والمذاكرة بجد واجتهاد، وتحمل مشاق الذهاب يوميًا إلى المدرسة والإياب منها، وبالرغم من ظروفه التي كان يمر بها لم يغب مطلقًا عن الحضور إلى المدرسة خلال مدة الدراسة، كما أنه كان مهتمًا بالأنشطة المدرسية

والطلابية المتنوعة من رياضة، وثقافة، وعلوم، وغيرها من الأنشطة الأخرى، واهتمامه الشديد بنظافة فصله ومدرسته، واهتمامه بحديقة المدرسة حيث كان يقوم بزراعة وغرس الشجيرات داخل المدرسة، ويقوم أيضًا بريها بالماء كل يوم، إضافة إلى السمات الشخصية التي كان يُعرف بها بين زملائه من حسن الخلق وحسن المعاملة تجاه أقرانه من التلاميذ، وتجاه المدرسين، وكذلك تجاه الناس على اختلافهم، كما كان يتسم بالفطنة، والذكاء، وسرعة البديهة، والتركيز، والتفوق الغير عادى؛ مما جعله محبوبًا من الجميع وبالتالي نال تقدير واستحسان هيئة التدريس بكاملها والجهاز الإداري داخل المدرسة، واستحق أن ينال لقب الطالب المثالي خلال الدراسة، وحينما علمت هيئة التدريس والجهاز الإداري داخل المدرسة بحجم الجهد والمعاناة التي يعانيها هذا الطالب داخل المدرسة وخارجها من خلال الجهد المبذول في مساعدة والديه في أعمالهم المضنية حينها نال هذا الطالب تقدير أعلى من مدرسيه، وقررت المدرسة رفع ملف الطالب إلى مديرية التربية والتعليم؛ فنال تقدير الجميع له واستحق وعن جدارة لقب الطالب المثالي على مستوى المحافظة وأيضًا مكافأة مالية تشجيعية له وإعفائه من المصروفات الدراسية، فكان كل هذا التقدير الذي ناله يخفف من إحساسه بالمعاناة والمسؤولية، حيث كان دائمًا يشعر بالسعادة الغامرة والفخر؛ نظرًا لأنه كان يعلم أنه بذلك يسير على الطريق الصحيح الذي من خلاله يستطيع الوصول إلى أحلامه وطموحاته التي يسعى من أجل الوصول إليها، ولكن رغم كل ذلك التقدير والفخر إلا أن الغرور لم يصبه ولو للحظة واحدة، كما أنه لم يتنصل من مسؤولياته التي أصبحت جزءًا أصيل من حياته،

بل وصار أكثر تحملاً للمسئولية، وحين ذلك نال تقدير الناس جميعهم سواء من أهل قريته التي يقطن بها أو من الناس الآخرين الذين تمنوا لو أن أحد أولادهم صار مثل هذا الصبي في صبره وتحمله للمسئولية رغم صغر سنه، فهو لا يزال في سن الصبا، وهناك من أقرانه من يلعب، ويلهو، ويمرح، ولا يتحمل أو حتى يلقي بالاً لأي من تلك المسؤوليات، وكان هذا الولد مسار فخر دائم واعتزاز من أبيه وأمه، حيث كانا ينظران له على أنه الأمل لهم في هذه الدنيا بعد الله عز وجل، وذلك بعد أن ضعف بهم الحال وزادت عليهم المتاعب من كل جانب، فلكل ابن من الأبناء مشكلة تزيد من ألآمهم يومًا فيوم، وخلال كل هذا كان هذا الصبي ينظر إلى والديه بحالة كلها عطف، وود، وشفقة، وحزن عميق في حال الأب والأم يسوء يومًا بعد يوم، حيث اكتشف الأب إصابته بداء السكري والذي زاد من عدم قدرته على التحمل كما كان وكانت الأم هي الأخرى تعاني من مشاكل بعظامها ومفاصلها بشكل دائم؛ جراء المجهود الصعب الذي تبذله دومًا، فكم كان حجم المشاكل التي واجهاها هذين الأبوين سواء من الناس الذين يقومون بتأدية أعمالهم من سوء معاملة أحيانًا أو من عدم منحهم حقوقهم كاملة أحيانًا أخرى، وذلك رغم علمهم بضيق الحالة المادية التي يمرون بها والظروف التي يواجهونها، أو المشاكل التي يواجهونها غ من الدنيا نفسها بزيادة مشاكل الأبناء بمرور الأيام وعدم تغير الأحوال المادية والمعيشية لهم، ومع العلم أيضًا بأن تلك المرحلة كان بها مواقف مؤسفة العامل الأساسي فيها هو الغيرة العمياء من بعض الطلاب داخل المدرسة، حيث كان هؤلاء الطلاب يستكثرون عليه كل هذا التقدير والثناء الممنوح له من كل الناس، فكانوا يظنون أن هذا

التقدير مبالغ فيه وأن ما يقوم به هو جهد عادى لا يستحق عليه ذلك، فكانوا دائمًا يحاولون إلحاق الضرر به من خلال تشويه صورته أمام الناس وبالتالي يتغير رأيهم فيه على النقيض، فكانوا يقومون بفعل بعض الأعمال المشينة وينسبونها له، حيث يقومون أحيانًا بخلع الأشجار والزهور وغيرها من الزراعات التي يتزين بها فناء المدرسة وكذلك إلحاق الضرر ببعض الأثاث المدرسي ويقومون بعد ذلك بالوشاية به لدى المدرسين والمسئولين عن طريق القول بأنهم شاهدوه وهو يفعل تلك الأفعال التي يجب ألا يقوم بها من هو في وضعه، فهو الطالب المثالي بالنسبة لهم الذي يجب أن يحتذي به في كل تصرفاته وأفعاله، ولكن المدرسين كانوا يعلمون بأن مثل ذلك الطالب لا يمكن أن تصدر منه كل تلك التصرفات التي تناقض تمامًا شخصيته وصفاته التي اتصف بها بين أقرانه من التلاميذ، مما جعله ينال وعن جدارة واستحقاق لقب الطالب المثالي طوال مدة الدراسة، وكان يعلم من ناحيته بما يدبر له من أفعال ومكائد مشينة من قبل قلة من التلاميذ قاصري التفكير الذين كانوا يستكثرون عليه ما ناله من تكريم غير مهتمين بما يبذله من جهد وما يعانيه من متاعب يكل منها من هو في مثل سنه ومن أكبر منه سنًا أيضًا، وكان يعلم أن الأساس فيها هو الغيرة الشديدة، ولكنه بذكائه، ووعيه، وفطنته، وأيضًا حسن الخلق الذي اتصف به كان يميل إلى استمالة هؤلاء الطلبة ناحيته دائمًا ومحاولة التأثير عليهم، وأن يكسبهم ولا يخسرهم، حيث كان دائمًا يعتقد أنه يمكن أن يكون منهم من يمكن أن يكونوا أصدقاء له أو أشخاص صالحين يمكن الانتفاع بهم داخل المجتمع، وفي اغلب الأوقات كانت سياسته تلاقي نجاح، حيث أصبح له

من هؤلاء الطلبة كثير من الأصدقاء، ولكن في بعض الأوقات كانت تفشل تلك السياسة في استمالة بعض الحاقدين، بل كانت تزيدهم غيرة تجاه حينما يرونه يستميل كثيرًا منهم ناحيته، فكانوا يتوجهون له بالإهانة المباشرة أحيانًا كثيرة، ولكنه أيضًا بحسن تصرف كان لا يهتم بإهانتهم له ولا يعنفهم عليها، إلى أن أتى يومًا وهو على مقربة من امتحان نهاية العام للسنة الثالثة من المرحلة الإعدادية وقام أحد التلاميذ الحاقدين عليه بإهانته ومعايرته بأمه، حيث كان يعايره بأن أمه تعمل خادمة لدى الناس وأنها تعمل خادمة لهم وتقوم بقضاء حوائجهم مقابل بعض المال، وبالتالي فابن الخادمة لا يستحق أن يصبح الطالب المثالي له، بل يجب أن يكون هو مكانه، وكان يغضب كثيرًا لسماع هذا الكلام عن أمه، ولكنه كان يتمالك نفسه حتى تمر الأيام الباقية له على خير ما يرام دون أحداث مشاكل تؤثر عليه، ولكن صار هذا الطالب يتعرض له ويستفزه بصورة كبيرة حتى أهانه بكلام جارح عن أمه وعن عملها لدرجة تؤذى المشاعر وتمس الكرامة حينها استشاط غضبًا من كلام هذا التلميذ المستفز ولم يستطيع أن يتمالك نفسه تجاه هذا الكلام واستسلم للمرة الأولى لغضبه ومشاعره، فقام بضرب هذا الفتى وحدث به إصابة بفمه، ولكنها لم تكن كبيرة ومع ذلك الموضوع تطور حينها ووصل إلى مسامع المدرسين مما أغضبهم منه وجعلهم يأخذون منه موقفًا حازمًا كاد أن يقصف بمستقبله التعليمي كله، حينما قررت هيئة التدريس في أحد اجتماعاتها عقابه إما بالفصل النهائي أو الحرمان من دخول الامتحانات لهذا العام؛ نتيجة لهذا التصرف المشين الذي يجب ألا يصدر منه هو بالذات مهما حدث، وحينها طلبوا منه الحضور إليهم للاستماع إليه عما

بدر منه ولكي يعرفوا رد فعله عما هو موجه إليه، فحضر أمام المدرسين والهيئة الإدارية للمدرسة المنعقدة لذلك وحينها قام الجميع بتعنيفه وتوجيه اللوم والعتاب إليه عما بدر منه من سوء سلوك وتصرف تجاه زميله لا يجب أن يصدر من أي طالب وخصوصًا إذا كان في وضعه، وكان يستمع لكلامهم، وتعنيفهم، ولومهم له في صمت، وإنصات، وتركيز وكانت تبدو عليه بعض علامات الأسف من هذا العتاب والتعنيف له وحين آتى وقت الرد له على كلامهم تجاهه، قال لهم بأسلوب فيه كثير من العناد وقليل من الذكاء على غير ما يتصف به أنه غير نادم مطلقًا عن تصرفه تجاه هذا الطالب الذي استفزه بكلام جارح لا يمكن أن يتقبله أي أحد عن أمه التي يحبها كثيرًا ويعتز بها أكثر، وطلب منهم بشكل جريء وبه قدر من الذكاء أن يضع كل واحد منهم نفسه مكانه فأي تصرف وقتها يمكن أن يصدر منه، وهل يمكن لأي منهم أن يسكت على تلك الإهانة إذا كانت موجهة إليه؟ وقتها صمت الجميع ولم يستطيعوا الرد عليه، فمنهم من التمس له العذر ومنهم من عذره أيضًا، ولكن طلب منه عدم استخدام مثل هذه الأساليب في مواجهة الآخرين وإتباع أساليب لا تتسم بالعنف ومنهم من استمر في غضبه منه على هذا التصرف رغم توضيحه للأمور لهم، ولكنهم رأوا أن هذا التصرف يجب ألا يصدر منه تحت أي ظرف وهناك طرق أخرى يمكن إتباعها، ولكنهم نصحوه وطلبوا منه عدم الاستسلام لغضبه بسهولة في أي موقف يواجهه في الحياة؛ لأن ذلك يمكن أن يضعه في دائرة كبيرة من المشاكل يمكنها أن تؤثر على مستقبله، فاستمع إلى نصحهم له في اهتمام وطلب منهم أن يساعدوه على إكمال دراسته هذا العام؛ لعدم ضياع فرصة الامتحانات

عليه، فتوسط له بعض المدرسين لدى هذا الطالب وأسرته؛ لكي يسحبوا الشكوى المرفوعة منهم عليه مقابل أسفه وتصالحه معه، وبعد عناء وافق أهل الطالب على سحب الشكوى مقابل أسفه واعتذاره عما بدر منه، فقام بالاعتذار له أمام أسرته، وأيضًا أمام المدرسين، والطلبة في المدرسة رغم علم الجميع بأنه معذور في تصرفه وأنه ما يجب أن يتم هو العكس، فانتهت المشكلة ومرت الامتحانات على ما يرام، رغم بعض التأثير النفسي عليه بسبب ما تعرض له من مواقف مؤسفة لم يعتاد عليها في السابق، ولكنه استوعب دروسًا هامة مما حدث، لعل أهمها هو أن الحياة فيها من القسوة والشر ما لن يرحم ظروفه الصعبة وتحمله للمسؤوليات الكبيرة، بل ربما ستستغل ضده ولن تشفع له، ولكنه كعادته يمر من الصعاب بصبر وسلامة وأيضًا أداء متميز وخبرات أعلى، حيث اجتاز الامتحانات متفوقًا على كل أقرانه من التلاميذ الذين لم يواجهوا صعاب أو مشاكل في الحياة مثل التي يواجهها يوميًا، ثابتًا للجميع بذلك أنه يستحق وعن جدارة كل التقدير الذي ناله وأكثر رغم تقليل البعض من شأنه ومجهوداته، خصوصًا بعد هذا الموقف الأخير الذي تعرض له، ومرت المرحلة الإعدادية بهمومها، ومتاعبها، وأحزانها الكثيرة، وأفراحها القليلة، ولكنها حققت أمله في النهاية وهو الحصول على مجموع كبير يؤهله وبسهولة للالتحاق بالثانوية العامة.

في المرحلة الثانوية :-

هلت مرحلة جديدة في حياة هذا الصبي بآمال أكبر وطموح أكثر، ولكن كالعادة بهموم ومتاعب أكثر وأكثر، فهذه المرة المدرسة الثانوية

تبعد مسافة كبيرة عن القرية، مما قد يضطره للسكن بالقرب من المدرسة وبالتالي قد لا يستطيع التوفيق بين المدرسة، والمذاكرة، والعمل مع أبيه، ولأنه يشعر بالمسؤولية دائمًا تجاه أسرته وأنه لا يمكنه التخلي عنه تحت أي ظرف، فوقع في حيرة شديد حينها، فهو يحب التعليم ويعلم أنه أمل له ولأسرته للخروج من الحالة التي يعيشونها وفي نفس الوقت لا يستطيع التخلي عن والده، وأمه، وإخوته ومما ضاعف من حيرته أن والده كان صريحًا معه في تلك الفترة حيث رأى الفتى في مقتبل مرحلة النضج ويمكنه أن يكون أكثر صراحة معه، فأخبره الأب وهو تحت عبء نفسي كبير، أنه قد لا يستطيع مواصلة جهده معه لإكمال دراسته؛ لأن الأعباء تتزايد عليه يومًا بعد يوم، وحاله يضعف مع مرور الأيام، وأنه أصبح يعتمد عليه بشكل كبير في أعماله اليومية، وقال له: إن كل أملي في هذه الدنيا أن أراك أنت وإخوتك في أفضل حال، ولكن ما يمكنني أن أفعل يابني؟! فضيق المعيشة وظروف الحياة القاسية لا تمكنني من توفير كل ما قد تحتاجونه في حياتكم.

فما كان من الفتى المكافح الصبور المحب لأسرته إلا أن يقول لأبيه في صوت به بعض الحزن الممزوج بالتردد مضحيًا بما وصل إليه: أنا لا أرغب يا أبي في إتمام تعليمي وأنني قد اكتفيت بما وصلت إليه وقررت البقاء بجانبك؛ لكي أساعدك في تحمل أعباء المعيشة الصعبة.

فسمع الأب هذه الكلمات من ابنه وهو في منتهى الآسى، والحزن، والإشفاق عليه، فهو يعلم مدى تعلقه بالتعليم وتفانيه فيه من ناحية ومدى إحساسه بالمسؤولية من ناحية أخرى، فقرر حينها أن يتراجع عن موقفه ويساعده بأي وسيلة على إكمال دراسته، فأدرك الفتى مدى

الضغوط التي يواجهها أبيه من كل جانب، فهو يريده أن يكمل دراسته على أفضل ما يكون وفي نفس الوقت فهو صار يعتمد عليه في أداء الكثير من الأعمال التي من الممكن أن تحول بينه وبين إتمامه للتعليم، هذا فضلاً عن مسؤولياته المتزايدة تجاه أسرته، فما كان من هذا الابن المتزن العقل إلا أن قال لأبيه أنه يستطيع الاعتماد على نفسه في إكمال دراسته ولا يحتاج أية مصاريف منه، ويمكنه أيضًا أن يأتي في بعض أيام الأسبوع لمباشرة بعض أعماله التي قد يحتاجه فيها، وقتها ازداد إعجاب الأب وفخره بابنه الذي يريد الاعتماد على نفسه في هذا السن المبكر، فما كان من هذا الأب المسكين إلا أن رضخ لرأى ابنه بعد أن رآه مُصرًا على تحمله مسؤولياته بنفسه متمنيا لابنه النجاح والتوفيق ومتمنيًا أيضًا في نفسه أن يعينه الله على مساعدة ابنه بقدر ما يستطيع؛ لكي يكون في أفضل حال، ومرت أيام وأسابيع بعدها حتى حان موعد الدراسة، وها قد حانت الدراسة وجلبت معها المتاعب والهموم، فها هو الآن صار مسؤول مسئولية كاملة على نفسه من توفير مأكل، وملبس، ومشرب، ومسكن، ومصاريف الدراسة وبالتالي فإن المسؤولية هذه المرة أخذت شكلاً جديدًا وليست كالسابق، ولكنه على خلاف طبع الناس فكلما ازدادت أعبائه وآلامه زادت معها آماله وتيقنه بأنه يسير على الطرق الصحيح نحو تحقيق أهدافه الذي يرى دومًا أنه لابد وأن يكون مفروش بالصعاب والتحديات، فهذا هو حال النماذج الناجحة التي سبق وأن تأثر فيها وشاهدها خلال مراحل حياته مما يزيد من قوة تحمله وصبره على تحمل كل تلك الضغوط، فصار يبحث بجد واجتهاد عن عمل يساعده على متطلبات المعيشة، ووفق في الحصول على عمل في أحد المحلات

التجارية التي تعمل بتجارة الملابس بدخل منخفض، ولكنه يمكن بالصبر والاعتماد عليه في الوفاء بمتطلبات معيشته، ولكن كيف يمكنه التوفيق بين العمل، والدراسة، والمذاكرة؟ تلك كانت مشكلة أخرى تفرض نفسها عليه، ولكن بصبره وقدرته على التحمل استطاع أن يجد لها حلاً، فكان يذهب إلى المدرسة صباحًا ثم بعد انتهاء اليوم الدراسي يذهب للعمل حتى المساء، ثم يذاكر في المساء، مقتطعًا جزء كبير من راحته ونومه لصالح المذاكرة، فكم كان حجم الجهد الذي يبذله في يومه، ولكن كله يهون من أجل أمله وأهدافه التي بات يمشى بخطى ثابتة نحو تحقيقها، ولم لا؟! فهو الآن صار في المرحلة الثانوية، أي صار أكثر نضجًا وإدراكًا للواقع، ويمكنه وضع هدف لنفسه بناءً على قدراته، ومتطلبات الحياة، والتطور فيها يمكنه من تحقيق أماله بسهولة ويسر، وبالفعل هذا ما سعى نحوه من البداية، فكان هدفه هو الالتحاق بأحد كليات القمة، وبالتحديد الكليات العملية فيها وتحديدًا كلية الطب، حيث يمكنه من خلال تنمية نفسه علميًا وعمليًا أن يصبح شخص له ثقله ليس في مجتمعه فقط، بل في العالم بأسره، ولم يكن لهذا الاتجاه تقليل من شأن الكليات الأخرى، ولكنه رأى في هذه إنها أنسب أيضًا لمواهبه، وقدراته، ولأهدافه وطموحاته التي تتطلب انتسابه لمهنة تتميز بالتطور السريع وقد تصبح أيضًا نافذه لهدف أكبر، وهو تقديم خدمة إنسانية لمجتمعه، وأهل قريته، والقري المحيطة من خلال تقديم خدمة مجانية لهم، فمنهم الكثير ممن تتشابه ظروفهم مع ظروف أسرته وبالتالي فهو سيكون أكثر شعورًا ورأفةً بحالهم عن غيره، ومن وقتها صار يكافح من أجل الوصول إليها، وخلال كل هذا التفكير في نفسه ومستقبله لم ينسى أبدًا عائلته

في أي لحظة، فكان يذهب أسبوعيًا لهم؛ لأداء بعض أعمالهم، وحوائجهم، والتخفيف عنهم من الألآم، والمعاناة رغم كل ألامه ومسؤولياته؛ ولكي يطمئن على إخوته الذين يحبهم كثيرًا ويتمنى في نفسه أن يساعد كل منهم على حل مشاكله سواءً الصحية أو غير الصحية بكل ما أوتى من قوة، ولكن ظروفه لا تساعده على فعل شيء لهم في الوقت الحاضر، فكان يسعى بصبر وجهد مضاعف؛ لكي يتحقق أمله الذي يسعى نحوه، حيث كان معتقدا دائمًا ومقتنعًا في نفسه أن المجتمع سوف ينصفه في النهاية حينما يصبح شخص له قيمة، وكانت تلك القيمة هي القيمة العلمية التي اقتنع أنها سوف تفرض نفسها على هذا المجتمع عندما يصل إليها، وبالتالي يرفع المجتمع من شأنه، ويجزيه، ويكافئه على ما وصل إليه ويصل وقتها إلى هدفه ويتحقق حينها طموحه، ثم مرت أيام تلك المرحلة على تلك الوتيرة، ولكن كان هناك أحداث كثيرة خلالها سوف نتعرض لبعضها خلال السطور القادمة.

صداقة قوية :-

ربطته خلال تلك المرحلة صداقات قوية وحميمة مع كثير من الطلبة إلا أنه كان هناك صداقتين أكثر حميمية ومتانة من غيرها، تلك الصداقة التي ربطته بصديقين هما سليم ومحمود اللذين كانا لهما تقريبًا نفس الظروف المادية التي يعاني منها وكانا أيضًا يعانيان من بعد المسافة بين المدرسة وقراهم التي؟ يقطنان بها، ولكن كان هناك فارق مهم بينه وبينهم، فهو حامل عبء نفسه وأسرته إلى الآن، بينما هما لا زال مسئولين من أسرتهما مسئولية كاملة، ونظرًا لظروفهم المتقاربة من بعد المسافة بين المدرسة وقراهم فقد قرروا السكن معًا في سكن واحد،

وبالتالي تقل التكاليف التي يتحمله كلاً منهم مقابل سكنه وأيضًا مقابل طعامه وشرابه، وقد ساهم وجود الثلاثة علي، وسليم، ومحمود في سكن واحد ومدرسة واحدة إلى أن تنشأ بينهم صداقة قوية ومتينة على خلاف غيرها من الصداقات الأخرى على الرغم من اختلاف تفكير وشخصية كلٌ منهم عن الآخر، فقد كان لكل منهم شخصيته التي تختلف عن الآخرين، ولكل منهم نظرة خاصة نحو الحياة والمستقبل، فمثلاً كان محمود له نظرة قاصرة للحياة، وكان يتميز بالسلبية والتردد في اتخاذ القرارات حتى القرارات الخاصة به، فكان صبيًا قليل الطموح، ينظر فقط تحت قدميه، ليس له أي آمال أو أحلام مستقبلية، كل ما يحلم به ويريده هو أن يمر يومه على ما يرام دون أي مشاكل أو مسؤوليات، فكان يعاني من أي مسئولية عليه حتى مسؤوليته تجاه تعليمه، فلم يكن لديه أحلام معينة في تلك المرحلة، كل ما يهمه هو أن ينهي تعليمه بأي كلية أو حتى معهد بسيط وبعدها يعمل بأي وظيفة أو حتى لا يعمل فهذا بالنسبة له شيء غير مهم، وكان يتأثر في أحيان كثيرة برأي الأخرين وخاصةً إذا كانت أراءهم مناسبة لطباعه وشخصيته المترددة والسلبية، وكان يميل في كثير من الأحيان إلى الاعتماد على الأخرين في أداء أعماله أو حتى واجباته المدرسية، ولكنه مع ذلك كان يتميز بالطيبة، وحسن النية في معاملته مع الناس، والمواقف الطريفة، وكذلك الصراحة المطلقة في بعض الأحيان مما أوقعه في كثير من المشاكل؛ بسبب صراحته وطيبته وعفويته أيضًا، هذا بالنسبة لـمحمود، أما بالنسبة إلى سليم، فكانت شخصيته مناقضة تمامًا لمحمود، رغم أنهم صديقين منذ المرحلة الابتدائية، لكن لم يكن هناك سمات مشتركة كثيرة بين شخصية كلٌ

منهم سوى أن محمود كان يرضخ أحيانًا لأراء سليم وأفكاره، فكان سليم يتصف بالغرور، والتمرد، وحب الذات، والعنف، والشدة، وفرض رأيه على الآخرين، والتهور في أحيانًا كثيرة، وكان يهوى المغامرة، وكان طموحه كبير جدًا في الحياة، وكانت دائمًا لديه رغبة في تحقيق أهدافه بأي وسيلة مهما كانت وفي أسرع وقت، فكان مؤمن بمقولة (الغاية تبرر الوسيلة)، فقد كان قليل الصبر، يسعى نحو تحقيق كل شيء يريده في أسرع وقت، وبأي طريقة، وبأقل مجهود، حتى لو كان ذلك على حساب الآخرين أو حتى على حساب دراسته، فقد كان قليل الاهتمام بالتعليم، فكانت نظرته له على أنه وسيلة فقط للهروب من الواقع الذي يعيشه مع أسرته، وخوفًا من أن يحمله والده أعباء في أشغاله التي يعمل بها والتي يكل ويمل هو منها ولا تناسب تمامًا ما يسعى نحوه، ولكنه رغم ما يتصف به من كل تلك الصفات إلا أنه كان محبًا لأصدقائه، ووفيًّا لهم، ولا يغدر بهم تحت أي ظرف، فعلاقته مثلاً مع صديقه محمود منذ أن كانا في المرحلة الابتدائية إلى الآن، رغم ما كان يشوبها من المشاكل الكثيرة التي كان يتسبب هو فيها سواء لنفسه أو لصديقه، إلا أنه لم يتخلى عنه في أي لحظة، وكان دائمًا يدافع عنه إذا تعرض له أحد بأي أذى، وعلى الرغم أيضًا من عنفه أحيانًا مع محمود، حينما يصارحه محمود بصفاته وأفعاله الغير مقبولة مطلقًا مع الغير وأن ذلك يجعله غير محبوب من الناس وعليه أن يغير من نفسه ولا يثير المشاكل؛ حتى يتقبله الناس ويحبوه، فكان سليم يغضب كثيرًا حين يسمع ذلك النقد الشديد والصريح لنفسه من أقرب أصدقائه الذي يُدافع عنه دائمًا، مما يدفع في أوقات كثيرة إلى تعنيف محمود، وإهانته، و حتى التعدي عليه بالضرب والأذى، إلا أنه سرعان ما

يهدأ، ويعود، ويعتذر له عما بدر منه من سوء سلوك وتصرف تجاهه، ويقول له أنه هو الذي دفعه إلى ذلك بكلامه المستفز عنه، فهو لا يقبل أي كلام يستفزه على نفسه أو أي نقد من أي أحد وخصوصًا هو؛ لأنه أقرب صديق له ويبلغه أن تصرفاته وتهوره أحيانًا؛ نتيجة من سوء معاملة والده له وشدته معه، حيث أن أبيه شديد وقاسي جدًا معه وعنيف أيضًا في معاملته له، وكان يريده دومًا ترك دراسته وأن يعمل معه في الزراعة، ولكنه لا يحب العمل بها مطلقًا، مما اضطره إلى الالتزام في أحيان كثيرة بالدراسة وذلك ليس حبًا فيها، ولكن خوفه الشديد من أبيه دفعه إلى النجاح في تعليمه والوصول إلى تلك المرحلة، حيث أن أبيه كان قد أقسم له أنه إذا فشل أو رسب سنة واحدة أو حتى لم يتمكن من دخول الثانوية العامة، فإنه سوف يخرجه من المدرسة؛ لكي يعمل معه في الزراعة أو يحمل عبء نفسه ويكمل دراسته، ونظرًا لأنه يكره مهنة أبيه في الزراعة، حيث رآها مهنة شاقة ولا جدوى منها ولا تناسب أحلامه كما انه لا يستطيع تحمل مسئولية نفسه مطلقا فاختار الأمر الأيسر له، وهو أن يكمل تعليمه وأن ينجح فيه ويدخل الثانوية العامة رغم صعوبة ذلك عليه، فهو يبغض المذاكرة وذلك لكي يضمن الاستمرار على ما هو عليه إلى أن يجد الفرصة التي تخرجه من هذه الحالة والتي يمر بها وتحقق أحلامه بأقل مجهود وفي أسرع وقت، وكان دائمًا مقتنعًا في نفسه بأن تلك الفرصة ليس لها علاقة بالتعليم، مما جعله قليل الاهتمام به وذلك رغم ذكائه الذي يتصف به، كان هذا جانب من شخصية كلاً من محمود وسليم، أما بالنسبة لشخصية علي فكم تحدثنا عنها كثيرًا في السطور السابقة، تلك الشخصية التي تتصف بالذكاء، والصبر،

والعقلانية، والكفاح، والسعي نحو تحقيق أهدافه وطموحه بثبات، فكان واثقًا دائمًا بأن هذا المجتمع لن يضيع حقه وسوف ينصفه في النهاية، فمن المستحيل ألا يتم إنصافه ويعترف به في هذا المجتمع بعد هذا الكفاح، والعناء المرير، والسعي دائمًا نحو النجاح الباهر الذي يجعله شخصًا له قيمة بين الناس، كما نرى أنه على الرغم من الاختلاف الكبير بين شخصية كلاً من الثلاثة والتوجه الفكري، والطموح المستقبلي لكل منهم، وطريق كلاً منهم في تحقيق أحلامه إلا أن هذا لم يمنع من نشأة علاقة صداقة قوية ومتينة بين الثلاثة، كانت العوامل الرئيسية فيها الظروف المادية شبه المتقاربة بينهم، وحالة الفقر التي يعانون منها، وأيضًا وجودهم في مسكن واحد ومدرسة واحدة، وقد كان الثلاثة على درجة من الوعي والإدراك للواقع المحيط بهم، وذلك مع اختلاف حجم الوعي لدى كلاً منهم ومدى تقبل كل منهم للواقع وكيفية التعامل معه، ومرت المرحلة الثانوية بين الأصدقاء الثلاثة بما فيها من متاعب كثيرة وأفراح قليلة، ولكن ليس بنفس القدر، فقد كانت حياة علي مليئة بالمتاعب، والأشغال، والمسؤولية، والقليل جدًا من اللعب واللهو، فقد كان أسبوعه بين المدرسة، والعمل، والمذاكرة باقي الوقت يكفى بصعوبة للنوم، أما بالنسبة لمحمود وسليم فقد كانت معظم أوقاتهما في اللعب واللهو، فقد كانوا يقضون أغلب وقتهم بالمقاهي، أو الألعاب الإلكترونية، أو لعب الكرة، أو حتى التسكع في الشوارع بعد انتهاء اليوم الدراسي وفي ذات الأيام بينما كان محمود واقفًا منتظر سليم إذا بأحد المارة يحتك به؛ ظنًا منه أنه كان ينظر لأخته ويقوم بمعاكستها، فانهال عليه بالضرب وما أن رأى سليم ذلك الموقف حتى أسرع مهرولاً ومعه عصاه وقام بدون

تفكير ولا سؤال بضرب ذلك الشخص بالعصا على رأسه مما جعل الدم يتفجر منها، فسقط على الأرض مغشيا عليه، ورغم ذلك كان سليم يريد أن يكمل عليه الضرب لولا تجمع المارة عليه وأخذ العصا منه وإبعاده بعيدًا، وبالطبع دون تركه يهرب من المكان حتى تأتى الشرطة، وقد كان تم نقل الشخص المصاب إلى المستشفى عن طريق الإسعاف، وبالتالي فقد كبر الموضوع وربما يأخذ شكلا أخر، ربما يعصف بمستقبل سليم نهائيًا ، فقد كان هناك العديد من الشهود العيان على الحادث، مما جعل الشرطة حين حضورها تلقي القبض عليه وقامت بعمل محضر أخذت فيه رأى الشهود وبالتالي فقد القي في الحجز وسط صدمة منه ودهشة من صديقه محمود الذي كان يظن أنه السبب في ما حدث لسليم.

وما كان من محمود الذي لم يستطع فعل شيء وقتها سوى أنه ذهب مسرعًا لعلي؛ لكي يخبره بما حدث له ولصديقهما سليم، فما كانا من علي المعروف عنه بالشهامة إلا ذهب معه إلى القسم؛ لكي يتحدث مع الضابط المسئول عن وضع سليم، فأبلغه الضابط إن كل الشهود قد شهدوا عليه بما فعل وأنه سوف يصبح رهن الحجز حتى يعرض على النيابة، فقام علي بسؤال الضابط عن حل لذلك، فأبلغه أنه ليس هناك حل سوى تنازل المعتدى عليه بالضرب عن المحضر وبالتالي يخلى سبيل سليم من القسم، فذهب علي إلى ذلك الشخص في المستشفى ومعه بالطبع هدية مناسبة له ك، انت عبارة عن علبة شوكولاتة كلفته وقتها مبلغ لابأس به، كان هو في أشد الاحتياج له، وكان هذا الشخص قد أصبح حالته أفضل، وكان وسط أهله وما أن أخبرهم علي بعلاقته بصديقه سليم حتى ظهرت علامات الضجر على وجوه الجميع من حوله

وكادوا أن يبطشوا به، لولا تدخل العقلاء منهم وقولهم له بأن يذهب إلى حال سبيله، فهم لن يتنازلوا عن المحضر والقضية، فما كان من علي إلا أن ذهب ورضخ لهم وقتها، فهو لا يستطيع أن يفاوضهم في هذه الحالة، ومر يومين على ذلك وقام علي بعدها بالذهاب إلى بعض الناس ذوى القرابة من هذا الشخص الذين أحسنوا استقباله في هذه المرة وبفطنته، وذكائه، وحسن خلقه أيضًا قام بامتصاص غضبهم، والتحدث معهم، وإفهامهم الأمر بشكل لائق ومقنع بأن صديقه مخطئ وأن ما فعله هو أمر مشين ولا يقبل تحت أي ظرف، ولكن ذلك تم في سبيل خوفه على صديقه محمود، ما دفعه للتدخل وقام بضرب ذلك الرجل، ولكنه ندم على ذلك فيما بعد وتكفي الأيام التي قضاها بالحجز على تأديبه، وأنه سوف يعتذر لذلك الرجل المصاب، وسوف يقوم بتحمل كافة نفقات المستشفى، فاقتنع الجالسون بما قال، فأخبروه بأنهم سوف يقومون بعرض الموضوع عليه، وعلى والده، وإخوته عسى أن يكون في ذلك خير و يتم إنهاء الموضوع بشكل ودي، وبالفعل حدث ما أراده علي، وقام سليم بعد إقناعه بصعوبة من قبل علي بالاعتذار لذلك الشخص، حيث كان يري في هذا الاعتذار تنازل وإهانة له، وقد تنازل بعدها المدعى عن المحضر وتم إخلاء سبيل سليم بضمان من صاحب المحل الذي يعمل به علي، هذا طبعًا بعد أن قام علي بجهود كبيرة مع صاحب المحل في إقناعه بذلك، حيث كان يُقدر علي فقام بإقناعه بظروف سليم وأنه يصعب عليه إخبار أبيه بذلك؛ لأنه ربما يقوم بعدها بحرمانه من التعليم وإكمال دراسته، ولكن الموضوع لم ينته عند ذلك فبقي موضوع تدبير نفقات المستشفى والعلاج وهو مبلغ لا بأس به التي التزم علي بها أمام الجميع

وهو يعلم جيدًا أن صديقاه سليم ومحمود لا يمتلكان أية مبالغ للوفاء بهذا الالتزام، فما كان منه إلا أن قام بدفع المبلغ من ماله الخاص الذي يكفى بصعوبة لأداء التزاماته الشخصية ومصاريفه الخاصة ولم يكفى ما لديه من مال، فقام بعمل سلفه من صاحب المحل الذي يعمل به من تحت حساب راتب الشهر، وهو ما قد يسبب له عجز في الميزانية لهذا الشهر، وقام بدفع المبلغ وإنهاء الموضوع على ما يرام، وزادت بالتالي مسؤوليات علي وهو في احتياج إلى من يقلصها، فها هو الآن يحمل مسؤولية صديقيه بجانب مسؤولياته، ولكن لما لا؟ وهو ذاك الشخص الذي ذاق طعم التعب وتحمل المسؤولية منذ سنًا مبكرًا جدًا، فهذا الموقف ليس سوى نقطة في إناء كبير مليء بالمشاكل والمسؤوليات وبعد هذا الموقف منه زاد إعجاب صديقيه محمود وسليم به بشدة وخاصةً سليم الذي اعتذر له عما بدر منه قائلاً له: إن ما فعلته من شيمك وأخلاقك النبيلة علي وأن أي شخص مكانك كان لا يمكنه فعل ما فعلته معي حتى لو كان أخي، فأنا حقًا ممتن لما قمت به وخصوصًا عدم علم والدي والذي كان سيسبب مشاكل أكبر وأكبر ويعلم الله أنني أتمنى أن يأتي اليوم الذي أسدد جميلك هذا فيه وأضع رقبتي فداءً لكَ يا صديقي، فأنت حقًا تستحق هذا وأكثر، فما كان من علي في ذلك إلا أن هون عليه مخاطبًا إياه قائلاً: لا عليك سليم بما فعلته، فكلنا في الهم والشقاء إخوان وأصدقاء، يجب أن نقف إلى جوار بعضنا البعض، فكيف أتنصل منك في هذا الموقف، كما أحب أن أقول لك أنك إذا كنت ترى هذا جميلاً وأنا لا أرى ذلك قطعًا ووددت أن ترده لي، فعليك أن تتمالك نفسك عند الغضب ولا تترك نفسك مستسلمًا لمشاعر الغضب بداخلك؛ لأنها ربما

تكون سببًا رئيسيًا في التأثير عليك وعلى مستقبلك أو حتى تدميره وأنا أخاف عليك وعلى أخينا محمود مثل نفسي، فما كان من سليم إلا أن قال له بكل احترام وشاكرًا إياه: لن أنسى نصيحتك هذه لي علي وسأضع نصب عيني دومًا خصوصًا فيما يتعلق بالاستسلام لغضبي؛ لأنه حقًا سبب لي العديد من المتاعب.

كل هذا دار فور خروجه من القسم بعد أن مكث به بضعة أيام كادت أن تنهي مستقبله، ولكن في المساء الموضوع لم يخلو بينهم من بعض الدعابة وإثارة المسألة مرة أخرى على أجواء أطباق حساء العدس التي أعدها الطباخ المتخصص في ذلك محمود، حيث كان يحترف تلك الأكلة الشهية ويقوم بإعدادها بنفسه، فهم في تلك الأثناء لا يسعهم الاحتفاء بخروج صديقهما إلا من خلال تلك الأكلة البسيطة والتي تعد تكلفتها من واقع مكوناتها مرتفعة أيضًا، فهي تعامل معاملة الوليمة بالنسبة لهم، فحياة الشقاء، والفقر، والاحتياج تجعل الإنسان يتصور أن أبسط الأشياء قد تشكل له إنجاز كبير حين يقوم بها خاصةً حين قدمها لهما مع بعضًا من شرائح البصل الطازج بالإضافة إلى عدد ثلاثة ليمونات، فتلك أيضًا تعد تكلفة إضافية للحد الذي جعل سليم يتهكم قائلاً:

- من أين لك . محمود . بتلك الليمونات يا فتى؟! أخشي أن تكون قد فعلتها بدلاً مني هذه المرة.
- وما الذي كنت تفعله وفعله بدلاً منك هو هذه المرة؟
- فبدي مترددًا أمام علي الذي طرح عليه السؤال، فقال محمود:
- هيا أخبره كيف كنت تأخذ الليمون من عند صاحب الفرش الموجود في أول الشارع الذي نسكن فيه، أم أقول أنا؟

- وماذا ستقول؟ هل ستقول له بأننا في بعض الأحيان كنت أسرق منه بضع ليمونات لطعامنا؟ هيا أخبر، فأنا لم أكن أفعل ذلك لي أنا فقط، فأنتما تعلمان أن سعر الليمون كان غاليًا في أحيان كثيرة ولا نستطيع شرائه، كما أنكما كنتما تنظران له بأنه يمكن الاستغناء عنه وتوفير نقوده لشيء آخر من الخضروات الضرورية.

- ليس هذا فقط سليم، بل أحيانًا أخرى كنت تستغل طيبة هذا الرجل وتضع بعضا منها عنوة من دون أن تحاسبه بحجة أنك ستحاسبه فى وقت لاحق.

- فبدا علي حزين على صديقه لتصرفه هذا، قائلاً

- في الحقيقة هذا لا يصح منك سليم، فهذا الرجل لديه مسؤوليات وعائلة ولم يفترش الطريق ببعض الخضروات إلا لضيق به و لسد جزءًا من تلك الاحتياجات، فقطعًا لن يستطيع فرشًا كهذا أن يوفي بكل شيء، وبعد كل هذا نقوم نحن بأخذ أشياء منه عنوة أو حتى سرقته، فهذا قطعًا شيء مشين ولا يصح منك سليم.

- فاحتقن وجه سليم بشدة ونظر بحدة نحو محمود الذي بدا هو الأخر خائفًا؛ لأنه يظن أن محمود هو السبب في هذا رغم أنه هو من أثار الموضوع بتعليقه الساخر في البداية حتى أن محمود قال له:

- سليم، أرجوك لا توجه نظراتك العدائية تلك نحوي ووفرها لشيء آخر، فأنت من أثرت الموضوع من البداية، كان من الممكن أن تبقي هذا بيننا ولا يعلم به علي.

- فالتفت له علي قائلاً بلهجة تنطوي على بعض الأسف لما يسمعه:

- وهل علي هذا غريب عنكما؟ أليس بصديقكما وله عليكما مثلما مالكما عليه؟ ويحق له بأن يعرف كل شيء يدور هنا سليم، فلما إذًا تودان إخفاء بعض الحقائق التي تحدث هنا عني.

- فقال سليم بعد هدوئه من حالة الانفعال الشديد التي انتابته لدقائق؛ نتيجة الغضب المكبوت بداخله والذي لم يتحكم فيه كعادته وجعله يلقي بطبق العدس الذي أمامه في وجه محمود، ولكنه لحسن الحظ استدار بوجهه في اللحظات الأخيرة، فوقع جزء منه على ملابسه من الخلف ليقوم بخلعها على الفور أمامهما نظرًا؛ لأن الطبق كان ما زال ساخنًا، ولكن محمود لم يفعل شيء معه، فهو يعلم يقينًا أن ذلك ربما سيزيد الطينة بلة، ويجعله أكثر عصبية، وربما يبطش به أكثر، وموقف علي لم يختلف كثيرًا، فأراد هو الآخر ألا يعلق على المشهد المستفز واكتفى بتمرير بعضًا من نظرات اللوم والعتاب نحو سليم الذي قال حين لاحظ تلك النظرات:

- اسمع يا علي، نحن لسنا مثلك في كل شيء، فأنت شخص مكافح، وصبور، وتمشي نحو هدفك بثبات وهدوء، أما نحن الإثنين فكما ترى أمامك يوميًا وما حدث في الأونة الأخيرة لهو دليلاً على ذلك، فأحدنا شخص سلبي متخوف دائمًا، يخشى مواجهة الصعوبات؛ ظنًا منه أن ذلك سيجنبه المشاكل، ولكن ما حدث يؤكد له أنه مهما تجنب المشاكل بسلوكه هذا فلن يمنعها عنه دائمًا، والأخر شخص عنيف، وقاسي، ومتهور في تصرفاته ويريد أن يحقق قفزات في الحياة بشكل يسير ومن دون أدنى مجهود، فدائمًا عندي الغاية تبرر الوسيلة، هذا بالتأكيد هو أفضل

شيء قرأته منذ أن تعلمت ولا أحفظ ولا أفهم سواه، وأنا شخص لدي غاية وتلك الغاية أسعي جاهدًا لتحقيقها.

- وماهي غايتك في هذا السن المبكر سليم؟

- غايتي هي القوة والنفوذ.

- فبدي على علي علامات الدهشة قائلاً:

- القوة والنفوذ؟! حقيقي أمرك غريب سليم تبحث عن القوة والنفوذ مبكرًا هكذا.

- نعم علي، أبحث عنهما مبكرًا؛ لكي أحصل عليهما مبكرًا أيضًا وأخطط لهما من الآن.

- وكيف تخطط لهما؛ لكي تصل لها؟

- المال، وليس أي مال، بل المال الكثير جدًا، هو الأداة في تحقيق ذلك، فليس بضع مئات أو حتى ألاف قد تحقق ذلك، بل قل ملايين أو حتى مليارات.

- فقال محمود الذي يتابع المشهد من بعيد بينما هو يقوم بتنظيف الجلباب الذي كان يرتديه، مما لحق به من أثر العدس الظاهر عليها؛ لكي يقوم بتنشيفه وارتدائه من جديد، لأنه لا يملك غيره.

- ملايين ومليارات! وكيف لشخص بائس مثلك بهذه الأموال الضخمة والتي حتى لا أعلم كم من الأصفار أمامها؟

- فالتفت له وقال ساخرًا:

- أنت غبي، تافه يا محمود ولا تفهم شيء فيما أقوله، فكيف فعلها هؤلاء العتاة والمتغطرسين والذين يطلقون على أنفسهم رجال أعمال، والذين يتحركون أمامنا ليلاً ونهارًا بسياراتهم الفارهة وسط نظرات

التملق والإعجاب التي تحيط بهم من الجميع الذين يتمنون أن يكونوا مثلهم يومًا ما، لكنني لا أطلق نظرات الإعجاب هذه ولا أتملقهم مثل الباقين، بل أعدك بأنني سأكون واحد منهم يومًا ما، بل أقسم أنني سأتجاوزهم.

- فسايره علي في حديثه؛ ليفهم كيف يفكر؟ قائلاً:
- وكيف سيكون ذلك سليم، فربما نفعل مثلك؟
- لن تستطيعوا أن تفعلوا مثلي أبدًا يا علي؟
- فاستغرب من رده معلقًا:
- ولما تقول ذلك؟ هل نحن لا نستحق هذا مثلك أيضًا أم ترانا أغبياء ولن نستطيع فعلها؟
- لا هذا ولا ذاك، ولكن أنتما تفتقدان لأهم شيء في تحقيق ذلك.
- وترى ما هو أهم شيء لتحقيق ذلك حتى نحاول أن نوفره أو نتصف به؟
- فابتسم وقال:
- الجرأة الكبيرة علي والتي تطلقان عليها تهور، فهذه لا تناسبكما أبدًا، فجرأتي قد تدفعني للقيام بتصرفات قد ترونها أنتما وغيركما جنونية، لكنني أراها طريق لغايتي وهدفي، أضف إلي ذلك أنني حين كنت أسرق الليمون وأخذه عنوة من الرجل المسكين كما قلتما قبل قليل أنني لم أخذه عنوة أو أسرقه إلا بسبب كونه مسكين وضعيف، فالقوي ينال نصيبه ويقوي من هذا الضعيف وما أكثرهم في المجتمعات، صدقاني هم يستحقون ذلك؛ لأنهم هم من وضعوا أنفسهم في هذا الموقف.

- فانصدم علي من حديث صديقه الذي أفزعه:
- منطق مخيف ومريب سليم يجعلني أخشي عليك كثيرًا.
- فضحك سليم بشدة ساخرًا، وقال:
- بل اخشى على نفسك أنت علي فأخلاقك الرفيعة هي حقًا شيء جميل وكفاحك ومثابرتك على العلم شيء يقتدي به ولهو شيء مثير بحق للإعجاب، ربما كنت سأحسدك وأتمنى أن أكون مثلك هذا لو قابلتك في زمن غير هذا الزمن، لكن للأسف أنا لا أتمنى ذلك؛ لأنه يعيق الوصول لهدفي الكبير، يومًا ما ستصل لتلك الحقيقة، فالفرق بيني وبينك أنني عرفتها مبكرًا، ولكنك ستعرفها وتعيها متأخر ووقتها سنلتقي مجددًا يا صديقي، والآن سأنهض لأرتاح بفراشي الذي بيد لي أنه الأقسى على جسدي وظهري، ولكن تبين لي أنه أقل قساوة من أرضية الحجز الذي نمت عليه أيام وليالي، ولكن لا تقلقان فأرضية كأرضية الحجز قد لا تؤلم ظهركما فقط، بل قد تكدر صفوكما وتزعجكما أيضًا مسببة لكما الإحباط والشعور بالدونية، لكن من هو مثلي يجدها دافع له لتجديد عهده الذي قطع على نفسه بأن يفعل الغالي والنفيس؛ لأجل طموحه اللامحدود، ثم نهض واتجه نحو غرفته وسط نظرات استغراب شديدة منهما ولاسيما علي الذي ظل يُلاحقه بنظراته حتى دخل للغرفة وأغلق عليه الباب، بل إنه ظل يحدق بالباب وهو مغلق للحظات أخرى حتى قال محمود حين لاحظ ذلك التركيز الشديد منه
- دعك منه علي ولا تلقي لكلامه هذا أي اهتمام، فهو شخص بائس كما قلت، يصدر الإحباط لي ولك، يظن بأن العالم سيسخر لأجله.
- فانتبه علي لكلامه، ثم رد عليه قائلاً:

- ولكنني لم أكن أظن بأن شخص كسليم لديه فلسفة عميقة بهذا الشكل، حتى وإن كانت مريبة ومفزعة نوعًا ما وتخفي داخلها أبعادا خطيرة، بالفعل قد لا تعلم من تقف إلى جواره إلا عند الأزمات والشدائد.

- يبدو أنك تأثرت بكلامه السخيف هذا يا علي.

- بل قل تعلمت، تعلمت أنه حين أرى شخصًا مثل سليم بعنفه، وتهوره، ولديه هذا الإصرار الكبير؛ للوصول لهدفه الغامض والمريب، والذي يبدو غير واضح، وغير منطقي، ويخاطر في سبيل ذلك بأي طريقة مهما كانت، فيجب على من هو مثلي أن يثابر، ويصمد، ويصر أكثر وأكثر للوصول لهدفه المنطقي والمقبول والذي نسجه ويسعى له منذ زمن دون أن يمل أو يكل، فلا تقلق محمود، فأنا لم أتعلم من كلامه ما يُغير وجهتي، ولكن تعلمت ما يزيدنا تصميمًا للوصول لها .

- وأنا تعلمت ألا أقوم مرة أخرى بعمل طبخة مكلفة لنا كهذه وأتحدث خلالها مع شخص مستفز كسليم، فها هو ألقى بطبقه عليَّ وعلى الأرض، وها أنا تركت الطعام للقيام بتنظيف جلبابي مما لحق به، فهو الوحيد لدي وأنت تركت طبقك لتستمع له وتناقشه حتي صار باردا.

- فضحك علي قائلاً وهو ينهض:

- لا عليك محمود، فأظن أنني شبعت الآن ولا حاجة لي في الطعام، كما أود منك أن تضيف كلفة هذا الطعام لحسابي الخاص ولا تحاسب سليم عليها فقد دفع حسابه.

- دفع حسابه كيف وأنا معكما طيلة اليوم ولم أراه يعطيك أية نقود؟

- ألم أقل لك أنني تعلمت منه؟ إذًا فقد دفع حسابه.

- فبقي محمود بمفرد بعدما قام بتنظيف جلبابه وأخذ يضرب كفًا بكف على مجهوده الذي بذله ساعات أمام النار ولم ينصفه أصدقائه في النهاية بتناول وجبتيهما كما كان يمني نفسه.

- وبعد هذا توالت الأيام حتى أتى الموعد المنتظر وهو موعد امتحان السنة الثالثة للمرحلة والتي كان قد استعد لها بالطبع علي جيدًا، ولما لا؟ فهي السنة الفاصلة والحاسمة له وهي بداية حقيقية ومهمة جدًا نحو تحقيق أحلامه التي باتَ يقترب منها بخطى ثابتة، وبالطبع كانا صديقيه الأخرين قد استعدا للامتحان، ولكن ليس بنفس الحالة من الاهتمام والمذاكرة، فهما كانا قد وضعا لنفسيهما أهداف لا تحتاج إلى مذاكرة جيدة وجهود مضنية للوصول إليها، ودخلا الثلاثة الامتحان وتوالت أيام الامتحان وكان علي في منتهى السعادة؛ نظرًا لأدائه المتميز بالامتحان، وكانا أيضًا صديقاه مبتهجين ليس لأدائهما المتميز في الامتحان طبعًا، ولكن لأنهما قاما بحل الأسئلة التي تمكنهم من تحقيق مبتغاهما، وانتهت الامتحانات والكل في انتظار للنتيجة، وتلك الفترة كان يقضيها علي بين العمل وأسرته، فلا وقت للراحة لديه، أما صديقاه فكانا في حالة من المرح واللهو غير مهتمين بموعد النتيجة، ثم أتى يوم نتيجة امتحان الثانوية وها هو علي يحصل على درجة ممتازة في الامتحانات تجاوزت (99%) تمكنه من دخول الكلية التي يرغب بها وهي كلية الطب، وبالطبع كان في هذه اللحظة يشعر بأنه أسعد إنسان بالدنيا فقد علم أيضًا أنه من العشر الأوائل على مستوى الجمهورية، رغم عدم حصوله على أية دروس خارجية طوال مدة دراسته، فكان مكتفيًا

فقط بالشرح داخل المدرسة وكم كانت سعادة أسرته به وفخر أبويه به في تلك اللحظة، وقد كان أباه يتباهى به أمام الجميع، فها هو ثمرة فؤاده يرفع رأسه ليس في قريته أو مدينته فقط، ولكن في مصر كلها بعد أن أصبح من أوائل الجمهورية، هذا كان حال علي، أما حال صديقيه الآخرين، فلم يختلف كثيرًا عنه، فهم كانوا أيضًا في منتهى السعادة وذلك ليس لأنهم حصلوا على مجموع كبير، ولكن لأنهم أخيرًا قد انتهوا من كابوس الثانوية العامة الثقيل جدا على نفسيهما وعقليهما أيضًا ومقبلين على مرحلة جديدة أكثر انفتاحًا وتحررًا من سابقتها، فقد حصل سليم على مجموع بسيط قد يمكنه من دخول أحد المعاهد وهذا كان أقصى أمانيه، أما محمود فقد حصل على مجموع لا بأس به قد يمكنه من دخول أحد الكليات، وبالطبع أيضًا كانت هذه هي أقصى أمانيه، فكم يعبر ذلك الموقف ورد الفعل عن حجم الاختلاف بين حالهما وحال علي رغم الصداقة التي ربطت بينهم الثلاثة طيلة الثلاثة سنوات الماضية واختلاف نظرة كل منهم في الحياة، والتعليم، وما يمكن أن يحققوه من ورائه.

ومرت فترة الإجازة وكان علي قد قدم أوراقه للتنسيق وكان قد حدد الرغبة الأولى له وبالتالي تم قبولها، وهي كلية الطب بجامعة الإسكندرية، وبالتالي زادت وبعدت المسافة بينه وبين أهله وأسرته أكثر وأكثر وزادت بالتالي همومه، فقد لا يتمكن من زيارة أهله بالكاد سوى مرة أو مرتين في الشهر وهم في أمس الحاجة إليه، فحال أبيه وأمه يضعف مع مرور الأيام، ولكن أبيه أيضًا هذه المرة يهون عليه الأمر ويخبره بأنهم سوف يكونوا في أفضل حال وعليه فقط أن يعتني لنفسه

ولا يعبأ بهم، فنظر الولد إلى أبيه وعينه بدا عليها الدموع قائلاً لأبيه: يا والدي إني أبذل كل هذا لأجلكم وأنا في منتهى السعادة، فأيضًا أستطيع أن أضحي بكل هذا من أجلكم وأنا أيضًا سعيد.

. فنظر إليه أبيه في كل ود وعطف لحال ولده وقال له: إن سعادته سوف تكتمل حين يراه واحد من أهم رجال المجتمع، فهذا اليوم يمكن لي أن أستريح وأنا في غاية السعادة، وهذا لن يحدث حتى تكمل ما بدأته وما أطلبه منك فقط هو أن تعتني لنفسك، فأنت الآن أصبحت شابًا يافعًا وذاهب إلى مدينة كبيرة كالإسكندرية، سوف تمكث فيها العديد من الأيام والليالي، فإن بها الطيب، والخبيث، والمحلات، والأنشطة التجارية، وأيضًا المراقص، والملاهي الليلة، وغيرها فعليك فقط أن تحرص على نفسك، وتطمئنا عليك، وتركز فقط في ما أنت ذاهب إليه.

فأخبره ابنه بأنه سوف يأخذ بنصحه وسوف يجعل نصيحته طوقًا في عنقه يُلازمه في كل وقت.

ومرت باقي أيام الإجازة وهو يعمل مع أبيه ها هو موعد الدراسة قد آن فعليه أن يحزم حقائبه متوجها تلقاء الإسكندرية؛ لكي يباشر العام الدراسي من بدايته.

ها هو يخطو خطوات ثابتة نحو أهدافه وطموحاته، ولكن تلك المرحلة ليست كمثيلاتها في السابق من حيث التفكير، وطبيعة الحياة الجامعية، وكذلك طبيعة الحياة بمدينة كبيرة كالإسكندرية أكثر انفتاحًا عن ما كان فيه، فهو الآن معرض لضغوط أكثر وأكثر، هذا كله بخلاف طبيعة الناس التي سوف يتعامل معهم، فهو سوف يتعامل مع طلبة وأناس من كل مكان بمصر وكذلك من بلدان ودول أخرى مما يرفع سقف

التحديات أمامه، ولكن في نفس الوقت يمكنه من توسيع أُفقه الفكري بشكل أكبر إذا أدرك أن الاستفادة من تلك المرحلة ليست استفادة دراسية فقط وهذا ما فطن له بالفعل، فسرعان ما اندمج في الحياة الجامعية، وحصل على سكن في المدينة الجامعية، وبدأت تكون له صداقات وعلاقات مع العديد من الطلبة، ولكن شغله الشاغل آنذاك هو الحصول على عمل إضافي في أي محل يمكنه من أداء التزامه بمصاريفه اليومية والجامعية، وبالفعل مع البحث الدائم وفق في الحصول على عمل في أحد السوبر ماركات الكبرى، وكان يعمل بها مدة ستة ساعات يومية مقابل مبلغ يعينه على التزاماته اليومية وسداد مصاريفه الجامعية، وكان يعمل مع التزامه بالمحاضرات في مواعيدها، فقد عود نفسه على ألا تفوته أية محاضرة منذ بداية العام الدراسي، ومرت الأيام على ما يرام وهو في حالة كفاح بين العمل، والكلية، والمذاكرة، لا يكل من ذلك، وكان يطمئن من حين لآخر على أهله عن طريق الهاتف وبالطبع ليس الاتصال على هاتفهم، فهم لا يمتلكون أية هواتف سواء ثابتة أو نقالة، فقد كان يتصل على تليفونات أحد الجيران القريبين منهم بالقرية، وفى تلك المرحلة أحاطت به العديد من التنظيمات داخل الحرم الجامعي على اختلاف أشكالها وانتماءاتها محاولة استمالته بشدة نحوها؛ نظرًا لما رأته فيه من سعة الأفق، والقدرة على الإبداع، وتحمل المشاق، والمعاناة، والمسؤولية، ولكنه كلما حاول أحد من هؤلاء التقرب منه ومحاولة استمالته، والتأثير عليه، واللعب على أوتار المعاناة بداخله، كان يتذكر دائمًا نصيحة والده له قبل أن يذهب إلى الجامعة وهو أن يتجنب الدخول في أي نشاط أو مجال قد يعيق هدفه الأساسي، وهذا ليس

سلبية منه، ولكن حجم الضغوط التي تعرض لها بالسابق تجعله يفكر ألف مرة قبل ممارسته والخوض في أي عمل سياسي أو غيره، خاصة من داخل الجامعة؛ نظرًا لحساسية الموقف، ففضل البقاء دون انتماء بعينه، ولكنه أصبح أكثر تطلعًا على الحياة داخل البلد وأكثر إدراكًا ووعيًا عن حالها، ومع هذا لم يفقد علاقته بأي من أصدقائه رغم اختلاف انتماءاتهم الفكرية أو حتى الدينية، فهو كان موضع تقدير دائم، وأصبح نجمه يبرز داخل الجامعة خاصة بعد اجتياز اختبار النصف الأول من العام متفوقًا على أقرانه وحصوله على تقدير عام امتياز، وهذا ما جعله محط أنظار الجميع داخل الكلية ولاسيما محاضريه بالكلية التي بها فقد علموا بأن مثل هذا الشخص في هذه الظروف الصعبة لم يأتي؛ لكي يحصل فقط على شهادة أو أن يصبح طبيب فقط، ولكن أهدافه أبعد من ذلك بكثير وهناك العديد منهم من حاولوا مساعدته خلال تلك الفترة ونصحه، ومرت الأيام والشهور وهو على تفوقه قائم ويحصد الدرجات النهائية، وخلال السنة الثالثة من الكلية وفى أحد الأيام بينما كان علي هذا الفتى متوسط القامة، وذو الجسم المعتدل فليس بالبدين ولا النحيف، صاحب حواجب تبدو طبيعية، ومتوسطة، وقريبة من بعضها، ولكنها ليست متصلة ومرفوعة لأعلى، ذو بشرة قمحية، وشعر أسود مموج، وبملامح وجه بيضاوية، ذات جبهة عالية دائرية، وحد الشعر يبدو دائريًا، وكذلك الذقن، وذو وجنات مسطحة بعض الشيء، ولديه عيون بنية داكنة ومتوسطة الحجم، وذو أنف مدببة، ذو وجه بشوش تظهر من ملامحه أمارات المثابرة، والاجتهاد، والطموح الواضحة، جالسًا بمحطة الترام وقعت عينه على شخص بمحطة الترام

جالسًا منتظر الترام القادم، فدقق النظر به بشدة حتى تيقن أنه صديقه القديم في الثانوية محمود، فذهب إليه مسرعًا ومن شدة فرحه أصبح يناديه من بعيد رغم جلوسه وعدم تحركه من مكانه، فالتفت محمود ناحية الصوت المنادى باسمه، فإذا به ينتفض من مكانه حين رأى صديقه علي وذهب هو الآخر من شدة فرحه باتجاهه مسرعًا غير مهتمين لنظرات الناس وعانقا بعضهما بشدة حتى إن الناظرين والعابرين من حولهما ظنوا أنهما أخوان ولم يريا بعضهما من زمن ليس بالقليل ولم يكونوا يعرفون أن هذه المشاعر القوية ليس نتاج إخوة بينهما وإنما نتاج صداقة قوية ومتينة حين جمعتهما مدرسة واحدة وسكن واحد برفقة صديقهما الآخر سليم على مدى ثلاثة سنوات، فكم كان حجم، ومتانة، وصدق العلاقة، والصداقة التي ربطتهم ببعضهم البعض، ولم يلتقيا الاثنان ببعضهما منذ نتيجة الثانوية العامة، وبالطبع كان هناك الكثير من الكلام، والحوارات، والتساؤلات التي يريدان أن يبوحان بها لبعضهما، ولكن حرارة اللقاء والشوق كانت أشد تعبيرًا من أي كلام، وبالطبع دارت بينهما حوارات كثيرة كان لعل أبرزها حين بدأ علي بالحديث قائلاً بعدما جلسا على إحدى الأرائك القريبة من مشهد لقائهما:

- إيه يا محمود كم من وقت طويل وسنين مرت دون أن أراك رغم أنك في بالي دائمًا وقد سئلت أحد معارفك منذ مدة بعيدة عنك وعن أحوالك، فقال لي أنك دخلت كلية الخدمة الاجتماعية، فكيف حالك بها؟

- الحمد لله، فالأمور على ما يرام، فقد وفقت في دخول معهد الخدمة الاجتماعية بدمنهور، وأنتَ أخبرني عن أحوالك وكيف هي

الدنيا معك؟

- قد وفقت في الوصول إلى الكلية التي أرغب بها، وهي كلية الطب، وقد حصلت على تقدير امتياز مع المرتبة الأولى على الدفعة في العامين الماضيين.

- فشعر بالفرحة لصديقه قائلاً:

- كم أنا في منتهى السعادة لسماع هذه الأخبار عنك، والله إنك يا علي تستحقها، فكم أنتَ شخص مكافح وصبور منذ أن عرفتك إن استمريت على هذه النتائج، فستصبح معيدًا بالكلية أليس كذلك؟

- هذا بالفعل ما آمل فيه وأسعى إليه

- ولكن هل لك منافسين من الزملاء الآخرين؟

- بالطبع فلا تكاد تخلو كلية ما من مثل تلك المنافسات كما تعلم، فهناك طالبين متفوقين عن غيرهما، ولكن ليس بنفس نتائجي أحدهما ابن لدكتور بالكلية والأخر ابن لأحد أشهر التجار بالإسكندرية على حد علمي.

- إذن فعليك الانتباه يا صديقي، فأنت الآن بين فكين السلطة والسيادة من جهة والمال من جهة أخرى ولك الله.

- فهمت ما تريد قوله، ولكن أخبرك بأن هناك العديد من المحاضرين وعدوني بأن فرصتي لن تضيع إذا استمريت على نفس الحال وعليَّ فقط أن أركز في الدراسة والحصول على أعلى التقديرات وسأصل لمرادي بالنهاية .

- ولكن وعود اليوم كما تعلم تصبح أوهام في الغد وعلى العموم أتمنى لك كل التوفيق، فأنت بالفعل تستحق أكثر من ذلك.

- ولكن أخبرني، ما حال صديقنا المتمرد سليم؟ فكم أنا مشتاق لرؤيته؟

- وأنا كذلك.

- بدا على وجه علي التساؤل قائلاً:

- إذن إنك تعنى أنك لم تراه؟ فقد كنت أظن أنك تراه باستمرار وتعرف عنه كل شيء، فهو من نفس ثريت.

- بالفعل، ولكن هذا فقط حتى صيف العام الماضي.

- إذن ماذا حدث بعد ذلك، أخبرني فأنا صرت قلقًا من كلامك، أحدث له أي مكروه؟

- لا، ولكن أنت تعلم جيدا شخصية سليم، فهو متمرد من يومه، فقد دخل أحد المعاهد المتوسطة وما إن دخله حتى صار يرسب فيها لمدة عاميين متتاليين.

- أهذا من قلة المذاكرة والحضور؟

- بالتأكيد، فأنت تعرفه جيدًا، فكان لا يبالى بالدراسة والمذاكرة، بل حتى حضور المحاضرات فكان يحضر محاضرة ويترك عشرة دون حضور، هذا ما لحظته عليه حين كنا نتقابل، فلا يلقي بالاً لشيء.

- أتعنى بأنه لم يخلص بعد من حالة التمرد الملازمة له؟

- بل إنها زادت وصارت أكثر حدة ويتخللها نوع من عدم قبول الواقع برمته، فبالأمس القريب كان متمردًا ورافضًا لواقع أبيه وخشونة معاملته له، أما الآن فقد أصبح رافضًا لواقع الحياة كلها.

- وضح أكثر فأي أنواع الرفض للحياة وواقعها المقصود بكلامك عنه؟

_ في المرات الأخيرة التي قابلته فيها على أحد المقاهي القريبة من معهده الذي يدرس به، بدا عليه الضيق الشديد والملل، فظننت أن به مكروه، فسألته عن حاله فقال: إن الأحوال يا صديقي لم ولن تتغير بهذه البلاد، فلا أمل فيها ولا عيش فيها بدون المال.

وسألته مندهشًا: وما حاجتك الآن إلى المال وأنت لازلت في طور التعلم ولم تنتهي بعد منه؟ فإذا انتهيت من دراستك فوقتها ابحث عن فرصة وظيفية مناسبة لك يمكنك من خلالها تحقيق طموحك.

فقال لي متعجبًا وضاحكًا ضحكة بها نوع من سخريته المعروفة لكَ بسبب كلامي: فرصة وظيفية أحقق بها طموحي! إنك تحلم في زمن لا وقت فيه للأحلام وللأسف حتى حين تحلم تحلم أحلام تافهة لا قيمة لها أبدًا، فما فائدة العلم والدراسة وأنا أعلم ما نهاية ذلك؟ وما فائدة ضياع الوقت والمال في ذلك؟ حتى تلك الوظيفة البائسة التي تتحدث عنها والتي أعلم يقينًا أنها لن تأتي وإن أتت حتى، فهي تناسب شخص مثلك، أما أنا فحتمًا سأركلها بوجههم مرة أخرى.

بدي على وجه علي الانزعاج الشديد والصدمة في نفس الوقت مما سمعه معلقًا:

- كيف يفكر هذا الشخص؟! وكيف وصل إلى هذا المستوى من فقدان الأمل؟ ألا يعلم أن العلم هو بناء في ذاته، فإن أفاد المجتمع بعدها بما في ذاته وبخل عليه فوقتها هو لم يخسر ما بذاته، فأنا وأنت والآخرين مثله ومثلنا لابد أن يكون لنا نظرة أكثر عمقًا، فكلنا لدينا طموحات وآمال نريد أن نحققها من خلال العلم والشهادات وهذه أولاً وأخيرًا أدوات ممكن أن تنجح أو أن تخفق وليس العيب فيها، ولكن في أسلوب

إداراتها من خلال القائمين على ذلك فضلاً عن الظروف والمعوقات التي قد تعترض طريقنا، ولكنه هو كان دومًا هكذا فلا زالت كلماته التي كان يقولها لي ولك تدق بأذني حتى وقت قريب، ولكنني كنت أظن أنه قد تغير مع الأيام، والسن، والنضج العقلي، لكن واقع حديثك الآن ينفي ذلك تمامًا، بل ويوحي بأن الأمور قد تأزمت أكثر معه، على العموم هيا أكمل لي وماذا حدث بعد ذلك؟

- بالفعل كما قلت علي، فقد تأزمت أكثر فوقتها سألته إذن ما هو الحل من وجهة نظرك؟ قال لي إنه السفر.

- سألته وكيف يكون ذلك؟ فقال لي: إنها الهجرة.

- الهجرة! وأي هجرة يقصد؟ وكيف يكون ذلك؟

- هذا بالفعل ما سألته فأجاب قائلاً: إنها أوروبا يا صديقي وتحديدًا إيطاليا، أما عن كيفية ذلك؟ فإن ذلك لن يتم بشكل رسمي.

. فقلت له: إنك تقصد بشكل غير شرعي؟

. فرد عليَّ: سمها كما تشاء، فالأمر سيان بالنسبة لي، المهم أن أصل إلى هناك، ولكن المشكلة تكمن في المال.

حينها قلت له: الآن فهمت ما حاجتك إلى المال في هذا الوقت.

فأجاب قائلاً: وليس أية مال، إنه مبلغ كبير يتجاوز عشرات الألوف.

فسألته: وكيف تكون تلك الهجرة الغير شرعية؟

فرد قائلاً: عن طريق البحر ولا يمكنني أن أبلغك أكثر من ذلك، فالأمر لازال في طي الكتمان.

- وكيف يمكن لهذا الفتى وأنا وأنت نعلم ظروفه جيدًا أن يفي بتلك المبالغ الكبيرة على إمكانيته، وكيف يجرؤ ويغامر مثل هذه المغامرة

التي يمكن أن تأدي ليس بمستقبله فقط، بل بحياته كلها؟

- هذا أيضًا ما وجهته له من أسئلة، فأجاب قائلاً: لقد بعت ذهب والدتي وذهب أختي المخطوبة أيضًا ودون علم خطيبها حتى، ولكنه لم يفي بالمبلغ المطلوب بعد وقد بدأ صبري ينفذ، فلم يبقى لديَّ وقت أضيعه، فعليَّ أن أنجز الأمور بسرعة أكثر، أما بالنسبة للمخاطرة التي تقصدها، فالمخاطرة الفعلية هنا وليس هناك، فحين أصل إلى هناك وقتها سوف تنطوي صفحة كبيرة من الألآم والاحتياج، ووقتها سألني هل يمكنك مساعدتي في هذا الأمر؟

- فقلت له: يمكنني أن أساعدك بمائة أو مائتين جنيه على الأكثر، فهذا كل ما لديَّ.

- فتبسم قائلاً: أقدر لك هذا، ولكن ما أحتاجه أكثر من ذلك بكثير ولابد أن أدبره بأية طريقة؟

- وهنا انتهى الحوار وافترقنا وقد أبلغني وقتها إن إذا رأيتك أن أرسل لك سلامه، فهو مشتاق لرؤيتك كثيرًا، ومن وقتها لم أره أو أسمع عنه شيئًا.

- فقال علي وهو مذهول مما سمعه عن صديقه:

- أية طريقة يقصد؟ لقد أقلقتني بالفعل على هذا الفتى.

- لا أدرى، ولكن في الأيام التالية لحديثي معه حدث شيء ما في القرية.

- وأي شيء تقصد؟

- أنها عملية سرقة لذهب أحد نساء القرية، وقد قيل وقتها كلام كثير بأن السارق من داخل القرية وليس من خارجها.

- أتقصد أن يكون الفاعل هو؟

- الله أعلم (إن بعض الظن إثم)، ولكن لما لا، فأنت تعرفه جيدًا فهو يسير على مبدأه الذي يردده دومًا ولا يحفظ سواه، وكأنه قيل لأجله ولأجل تهوره (الغاية تبرر الوسيلة) ألا تذكر موضوع الليمون؟

- فجلس علي يفكر للحظات فيما سمعه قبل أن يقول بلهجة تنطوي على الأسف:

- يتولاه الله أينما يكون وأتمنى له الخير على كل حاول، كم كنت أود رؤيته، ولكن هكذا هي الدنيا أصدقاء الأمس فرقاء اليوم، أما الآن يا صديقي فقد أخذنا الكلام وقد آن أوان الغداء، فهيا بنا لأحد المطاعم القريبة؛ لأنك ضيفي اليوم ولست كأي ضيف إنك صديق عزيز جدًا لم ألقاه منذ زمن.

- أشكرك بشدة يا صديقي على هذه المشاعر النبيلة وليت كل الصداقات مثل صداقتك يا علي، فكم افتقدتك كثيرًا، وافتقدت نصحك، ورشدك، ورجاحة عقلك، واتزانك يا علي.

- وتوالت بعدها الأيام وتتابعت الأحداث حتى حان ميعاد امتحان السنة السادسة والأخيرة من الكلية وها قد اقترب علي من آماله، فقد حصد المرتبة الأولى طيلة السنين الماضية وما عليه الآن سوى الإتيان بمسك الختام؛ لكي تكمل وتتم الفرحة المنتظرة له، وبالفعل حصل ما أراده وأصبح ترتيبه النهائي الأول على دفعته، وقد كرم من كليته أفضل تكريم، وقد كان هذا اليوم هو أسعد أيام حياته، فها هو الآن على مفترق طرق بين الحياة العلمية والحياة المهنية، وقد آن أوان الأحلام إلى أن تصبح حقيقة والطموحات إلى واقع ملموس، وقد كان خلال تلك الفترة قد قام

بتقديم ورقه للخدمة العسكرية الإلزامية، وقد حصل على تأجيل مدته ثلاثة سنوات، وكان المرشح الأول؛ لأن يكون معيدًا بالقسم، وكان معه اسمين آخرين إنهما نفس الطالبين الملاحقين والمنافسين له طيلة سنين الكلية، ولكن كان هو يتفوق عليهم بفارق كبير في الدرجات والتقديرات وذلك على الرغم من فارق الظروف الكبير بينه وبينهما، وقد كان القسم في حاجة إلى معيدين، فقد كان هو المرشح الأول وبقوة وكان في انتظار أي من الزميلين الآخرين، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن، كانت صدمة وليست أية صدمة، إنه فقدانه لتلك الوظيفة المهمة التي كانت ستنعكس عليه بمنافع وعوائد كثيرة، كان في أمس الاحتياج لها في هذا التوقيت سواءً مادية أو معنوية، وكان هو أكثر شخص جدير بتلك الوظيفة داخل الكلية، ولكن ماذا حدث؟ ومن المتسبب في ذلك؟ هذا ما سوف نعلمه في السطور التالية :-

كان علي بالفعل متأهبًا بشدة لتلك الوظيفة التي ستخدمه كثيرًا سواءً من الناحية العلمية والعملية أو من الناحية المادية، وكان لديه ثقة كبيرة في أنه المرشح الأول لها وذلك من واقع تقديراته، وإمكانيته، وكذلك أراء المعيدين، وطاقم التدريس عنه وعن مستواه، ولكن حين أتت اللحظة الفارقة والحاسمة وهي لحظة إعلان نتيجة القبول النهائية وقد بدت عليه وقتها الثقة والسعادة؛ نظرًا للأسباب السابقة، فكانت المفاجأة وأيضًا الفاجعة له، فقد أعلن اسمي صديقيه الآخرين كمعيدين بالقسم دون التطرق إلى ذكر اسمه، وقتها صدم صدمة شديدة مما سمع ولم يتفوه بكلمة واحدة خلال بضع دقائق من هول الصدمة عليه، فما سمعه لم يكن فعلاً يحمل شيئًا من المنطق، ولا من اللوائح والأنظمة

المعتد عليها في مثل تلك الوظائف بالكلية، وظن في نفسه أن ما سمعه ربما لم يكن حقيقي أو ربما من خياله، فسأل أحد الجالسين بجواره عما سمعه، فأكد له صحة ما سمع وقتها صرخ في وجه الهيئة التي انعقدت خصيصًا لإعلان النتيجة بشكل رسمي قائلاً: ما هذا الظلم؟ وكيف يكون ذلك؟ ألست الأول على دفعتي؟ ألست أحق بالوظيفة منهما؟ ماذا حدث وماذا فعلت أنا لكي تكون تلك النتيجة؟ أريد أن يقول لي أحد منكم أن ما حدث به خطأ؟ لأنه لابد أن يكون به خطأ، فلا يصح مرور أمر كهذا دون اتخاذ موقف ومحاسبة المسؤول عنه.

فانزعج أعضاء الهيئة من الدكاترة وكذلك بعض الحضور بشدة وبدا عليهم الغضب من هذا التصرف العفوي الذي بدر منه وخاطبه بعضهم قائلين له: إذا كنت مستاء مما تم إعلانه، فعليك وقتها أن ترفع شكوى إلى إدارة الكلية يتم مناقشتها والبت فيها، ولكن مثل هذا التصرف مرفوض مطلقًا ويمكن أن ينعكس عليك بشكل سلبي جدًا، فكن حذرًا في تصرفاتك يا علي ودعك من استخدام تلك المفردات القاسية التي خرجت من لسانك ولتعلم بالنهاية أننا الأحق بتحديد من نراه مناسب لشغل وظيفة معيد بالقسم وليس أنت أو حتي غيرك.

حينها صمت علي وبدأ يتمالك نفسه ويستوعب خطورة حديثه بهذه الطريقة وكتم غيظه بداخله، ولكنه شعر بأنه لن يحتمل أن يمكث أكثر من ذلك، فلم يعد هناك حاجة لوجوده، فقام بمغادرة القاعة بسرعة جدًا متوجها إلي الخارج، ثم غادر الكلية وقد بدا عليه الآسي والحزن الشديدين، وما أن ذهب إلى مسكنه حتى انهمر في بكاء شديد لم يعتاد عليه، ولكنه كان من ألم الموقف وهوله على نفسه، فعناء السنين السابقة

ظهر في تلك اللحظة، وظل علي هذا الحال من الحزن والانطواء علي نفسه قرابة الأسبوع، لا يكلم أحدًا مطلقا من المسجد إلى السكن وهكذا، ولكن في وقت ما انتبه إلي نفسه قائلاً: لماذا هذا الضعف والهوان الذي أمر أنا به، وتذكر موضوع الشكوى التي يجب أن يكتبها، فهم مسرعًا ليكتبها خصوصًا بعد أن علم من أحد المعيدين داخل الكلية أن موقفه قوي طالما معه ما يثبت أحقيته في أن يكون معيدًا بالكلية من شهادات، وتقديرات، وبيان درجات معتمد، فقام بكتابة شكوى قوية موجهة لعميد الكلية موضحًا فيها ما ألم به من ظلم ومؤيدًا ومدعمًا بشهاداته ورأي عدد من طاقم التدريس عنه والاشادة به من قبلهم، وقام برفعها لعميد الكلية وأخبروه بأن الموضوع سوف يأخذ بضع أيام لمناقشته والبت فيه، وغاب عنه أنه بذلك فتح علي نفسه أبواب كثيرة هو في غني عنها، فذهب إلي مسكنه منتظرًا نتيجة تلك الشكوى ولم يكن يعلم أن هناك مكائد تدبر وتحاك له في طي الكتمان، فيبدو أن والد أحد الطالبين اللذين تم ترشيحهما وقد كان رجل أعمال ونفوذ قوي ولديه سمعة لم تكن جيدة لم يعجبه ما أقدم عليه علي ورأي فيه تهديد لابنه وللوظيفة التي تحصل عليها رغم عدم احتياجه المادي لها، ولكنه فقط يرى فيها نوعًا من الوجاهة الاجتماعية حين يصبح ولده معيدًا بالكلية ومن بعدها دكتورًا بالجامعة، وهذا بلا شك أمر في غاية الأهمية بالنسبة له أكثر حتى من ابنه للحد الذي دفعه بأن يحاول رشوة علي بإعطائه مبلغ مادي يقدر بـ(مائة ألف جنيه) عن طريق أحد موظفيه في سبيل سحب شكواه وعدم الاكتراث لتلك الوظيفة، ولكن ما كان من علي وقتها إلا أن عنف هذا الموظف الذي استقبله بمسكنه من دون سابق موعد وأخبره

بلهجة حادة تنطوي على إصرار واضح منه: لن أتنحى عن شكواي مهما قدمتم من إغراءات، فهذا حقي وأنا لن أتنازل عنه، وحتمًا سأصل إليه في أقرب وقت وأبلغ من أرسلك بألا يحاول مجددًا معي، فربما يجد رد أقسي من هذا، والآن أظن أن المقابلة قد إنتهت، فالهدف الذي أتيت لأجله قد أخفقت فيه.

فشعر هذا الموظف بنوع من الإهانة بدا على وجهه المتجهم؛ لأن هذا يعد طرد له بعد حسن الاستقبال في البداية، فما كان منه إلا أن غادر بعدما فشل في إقناعه، وعاد لرب عمله محملاً بخيبة الأمل وبهذا الرد المفحم الذي ينطوي على جرأة وإصرار جعلت وجه هذا الرجل محتقنًا بشدة ويعض على أسنانه وقتها من فرط الغيظ الذي أصابه وقتها ويزداد عناد وتصميم على تنفيذ ما سعى له، عناد وتصميم جعله ينتهج أسلوب آخر مع علي، ففي أحد الليالي وبينما علي جالس بسكنه مفكرًا في أموره وخصوصًا شكواه التي لم يتم البت فيها حتى تلك اللحظة، إذ بوجود طرق شديد جدًا على بابه، ففزع للغاية ونهض مسرعًا باتجاه الباب ليعرف من يطرق هذا الطرق الشديد، فربما الطارق أخطأ بالعنوان خصوصًا وأنه ليس على موعد مع أحد، ففتح الباب والضجر يملأ وجهه خصوصًا وهو يمر بحالة من الضغط والضيق الشديدين، ولكن المسكين لم يكن يعلم أن هذا الضيق سيزداد بفتحه للباب وذلك حين صدم لما رأي أمامه قوة أمنية مكونة من عسكريين وأمين شرطة يتقدمهم ضابط برتبة نقيب، فظن في البداية أن بالأمر لبس وسوء تفاهم، ولكن سرعان مازال هذا الظن حين أخبره الضابط قائلاً: أنت على؟ وهذا مسكنك؟

فلم يرد فى البداية حيث كان مازال يدقق النظر بهم وعقله لم يستوعب الأحداث بعد.

فكرر عليه الضابط نفس السؤال بلهجة أكثر حدة، فانتبه قائلاً: (نعم سيادة الضابط أنا علي.

فقال له وهل هذا مسكنك؟

فرد قائلاً: نعم هذا السكن مؤجر لي.

فطلب ممن معه أن يقوموا بتفتيش السكن بأكمله وسط اندهاش منه سائلاً الضابط: هل لي أن أعرف ما هو الداعي لتفتيش مسكني؟

فرد عليه بلهجة فيها بعض الاستخفاف: ستعرف بعد قليل الداعي لتفتيش مسكنك يا حضرة الطبيب، ألست طبيبا؟

فرد قائلاً باستغراب من معرفته بخلفيته التعليمية: نعم، ولكنني لم أمارس المهنة بعد، فأنا لازلت حديث التخرج.

فرد بمزيد من الاستخفاف: اطمئن فحتمًا سيأتي الوقت الذي سوف تمارسها به.

فيبدو أن علي لم يعجبه تلك الطريقة في التعامل معه، وكأنه متهم بشيء مخل فقال: هل لي ياحضرة الضابط أن أطلع على إذن النيابة بتفتيش مسكني؟

فرد عليه قائلاً: بالطبع، فهذا حقك، وأخرج له الإذن وأراه إياه. فتحير أكثر في الموضوع خصوصًا بعد المعلومات التي قالها الضابط عنه، فظن أنه ربما تكون هناك وشاية مغرضة من أحد للتأثير على سمعته، ولكنه فى ذات اللحظة كان مطمئن أن الأمر سينتهي، فليس لديه شيء مشين يخفيه بمسكنه، ولكن بعدها بقليل حضر أمين الشرطة حاملاً

لفافة غامقة اللون بيده، فتناولها الضابط منه قائلاً بعدما دقق النظر بها للحظات ووسط ضحكة خفيفة منه موجها حديثه لعلي الذي ينظر لهما وللشيء الذي أحضره أمين الشرطة باندهاش وحيرة واضحين ناتجة عن عدم معرفته بهذا الشيء: هذا هو الداعي يادكتور علي لقيامنا بتفتيش مسكنك، قالها وهو يشير لتلك اللفافة التي بيده.

فقال علي بعدها: وما هو هذا الشيء الذي تحمله بيدك؟

فرد قائلاً: حقًا لا تعرف هذا الشيء؟! لابأس هذا يا حضرة الطبيب مخدر البانجو.

فصدم علي مما سمع قائلاً بعد لحظات من الصمت والوجوم الذي ساد علي وجهه: مخدر البانجو؟! مستحيل، فأنا لم أرى تلك اللفافة مسبقًا، ولا أعلم كيف وجدتموها بمسكني؟

فقال له الضابط: إذن أنت تنكر حيازتك لها؟

فقال: بالطبع، فصدقني تلك اللفافة لم أراها إلا بيدك الآن.

فقال له الضابط: لابأس يمكنك أن تدلي بأقوالك تلك بقسم الشرطة حين نأخذك إليه.

فامتقع وجهه وقال بلهجة مرتجفة: تأخذونني لقسم الشرطة؟!

فرد عليه الضابط بلهجة جادة: وماذا كنت تظن؟! نجد في مسكنك تلك اللفافة من مخدر البانجو، فبرأيك هل سنأخذها ونغادر بدونك؟

ثم أمر أحد العساكر بوضع الكلبشات بيده، فقام العسكري بتنفيذ الأمر وسط حالة من الذهول اتضحت على وجه علي الذي أبدي نوعًا من الممانعة في البداية حين حاول العسكري وضع الكلبشات بيده، ولكنه رضح لتنفيذ الأمر بالنهاية حين تيقن أنه لا مفر من تنفيذه، وغادر

برفقة القوة الأمنية مسكنه، وحين نزل للأسفل ليركب سيارة الشرطة كان عدد من المارة والجيران قد تجمهروا بالقرب من المشهد لمعرفة ملابسات ما يجري حسب عادات الفضول التي يتصف بها أهل تلك المناطق الشعبية، فصدم بعضهم ممن تربطه علاقة أو حتى سابق معرفة بعلي؛ لأنه كان بالنسبة لهم شخص ملتزم، دمث الخلق، لم يسبق طوال فترة لإقامته بينهم أن صدر منهم ما يدل على سوء أخلاقه، وحاول البعض منهم الاقتراب من علي؛ ليعرف ما يجري، فاقترب رجل كبير فى السن يبدو من هيئته ومن لحيته البيضاء أنه قد ناهز الستين من العمر وكان يمتلك البقالة التي تقع في مواجهة العمارة التي يسكن بها علي، وكان علي دائم التردد عليه؛ ليقضي طلباته من عنده، وكان تربطه به علاقة طيبة، حيث كانا يتناولان أطراف الحديث سويًا كل ليلة بعد صلاة العشاء بمسجد الحي، وحين أصبح على مقربة من علي الذي ركب سيارة الشرطة التي تستعد للمغادرة لتوه سأله قائلاً: ماذا حدث يا علي؟ ولماذا تمسك بك الشرطة؟

فرد عليه بعد أن بدأت السيارة في التحرك ببطء وسط الحشود المحيطة بها ووسط صيحات أحد العساكر اللذين يعتلون السيارة لتلك الحشود بضرورة الابتعاد عن طريق السيارة قائلاً: إنه سوء تفاهم يا عم صلاح وإن شاء الله سيتم حلو.

وفي لحظة انطلاق السيارة بسرعة بعدما ابتعد المتجمهرون من أمامها، قال في عجالة: ولكنني أرجو منك ياعم صلاح أن ترسل لي أحد المحامين على قسم الشرطة.

فرد عليه بعدما ابتعدت السيارة بضعة مترات عنه وهو مسرع الخطي خلفها وبصوت عالي: اطمئن يا علي، سألحق بك ومعي المحامي.

لم يبقي بعد هذا المشهد سوي الغبار الذي خلفته سيارة الشرطة خلفها بعدما اختفت عن أنظار المحيطين ومن بينهم العم صلاح الذي سرعان ما تصل على أحد المحامين الذين يتعامل معهم والذي يتناسب مع إمكاناته المالية البسيطة، فأخبره بأنه سوف يحضر في غضون ساعة وكان سيارة الشرطة قد وصلت لقسم الشرطة التابع له الحي في غضون **10** دقائق من مغادرتها حاملة معها علي الذي نزل مكبل اليدين ومسكا به أحد العساكر دافعًا إياه باتجاه مدخل القسم وكأنه مجرم خطير متمرس في الإجرام وليس خريج كلية الطب صاحب الترتيب الأول على دفعته، الشاب الذي عرف بحسن الخلق، والمثابرة، والاجتهاد، والكفاح طيلة حياته ومنذ طفولته، وحين دخل القسم جعلوه واقفًا خارج مكتب الضابط الذي سوف يأخذ أقواله لبعض الوقت دون حتى الرفق به وتوفير كرسي يتناسب مع مكانته العلمية، وبعد مضي المزيد من الوقت أدخله العسكري أمام الضابط ليأخذ أقواله في محضر رسمي سائلاً إياه الأسئلة التقليدية في مثل هذا النوع من المحاضر كالاسم، والسن، والتعليم، ومحل إقامته الحالي، والبلد التي يتبع لها، فضلاً عن تلك الأسئلة المتعلقة بالمضبوطات التي ضبطت بمسكنه والتي وصفت بأنها لفافة من مخدر البانجو تزن (**150**جرام) والتي أنكر بالطبع سابق معرفته بها وإنكاره التام لتناوله أي من تلك المواد المخدرة طيلة حياته حتى السجائر التي يتناوله الكثير من الناس أخبر الضابط بأنه لم يسبق له أن تناولها، فسأله الضابط قائلاً:

إذا كيف وجدنا تلك اللفافة بمسكنك؟

فرد قائلاً: صدقني ياحضرة الضابط حقًا لا أدري كيف كانت تلك اللفافة موجودة بمسكني؟

إذن أنت تشك بأن أحد قد وضعها لك؟

فقال: لا أعرف، ثم تذكر بعض الأحداث التي حدثت له في الأونة الأخيرة ولازمه الصمت للحظات قبل أن يستأنف قائلاً: ياحضرة الضابط هل لي أن أسألك سؤال؟

بالطبع تفضل:

هل يمكنني أن تخبرني كيف عرفتم أن بداخل مسكني تلك اللفافة؟

ولو أنني غير مكلف بالجواب عليك، ولكن مع ذلك سأريحك، قد وصلتنا معلومة من طرف خارجي بأنك تتاجر بتلك المواد المحظورة؟

معلومة خارجية بأنني أتاجر بتلك المواد الممنوعة! ثم بدا شارد الذهن بعد الذي قاله الضابط قائلاً

يبدو لي يا سيادة الضابط أن هناك من هو مصر على العبث معي.

ومن ياترى هذا الشخص الذي تظن أنه قد قام بهذا التصرف معك؟

في الحقيقة أنا قد تعرضت لأحداث مؤسفة في الأونة الأخيرة، ثم حكي له بعضًا مما جري له بداية من رفض طلبه كمعيد بالكلية حتى تلك المقابلة مع الموظف الذي حاول رشوته.

فعلق الضابط قائلاً:

إذن أنت تشك برجل الأعمال هو من وضع لك المخدر؟

لا أدري، وأنا لا أستطيع أن أتهمه بشكل رسمي؛ حتي لا يتأزم الوضع أكثر وأقع في صدام مباشر معه، ولكنني ما زلت مصر على أن تلك اللفافة لا تعود لي مطلقا ولا أعلم عنها شيئًا أبدًا.

في الحقيقة يا على يؤسفني أن أخبرك بأن موقفك وفقًا لأقوالك ووفقًا لما وجدناه في مسكنك لن يكون جيدًا على الإطلاق، فحرر له الضابط بناء على أقواله محضر إتجار بمخدر الحشيش، وهو ما قد يعرضه لعقوبة كبيرة، وتم إغلاق المحضر دون توجيه إتهام منه لأحد، وتم حبسه أربعة أيام على ذمة القضية؛ لحين عرضه على النيابة وسط حسرة واضحة منه وذل حين تيقن أن الموضوع أصبح جاد وخطير للغاية، وخشي أن يصل الموضوع لداخل أروقة الكلية؛ فيؤثر على موقفه أكثر وأكثر وربما يعصف بمستقبله كله، ولكن خشي أكثر أن يصل الموضوع لأهله؛ فيصيبهم الألم النفسي جراء ما يتعرض له وفي تلك الأثناء كان العم صلاح والمحامي قد وصلا للقسم بعد خروجه من مكتب الضابط وهو في طريقه للحجز.

فاستوقفاه وبادره العم صلاح قائلاً:

علي ماذا جري لك؟

فقال بلهجة تحمل الألم بداخلها:

لا أعرف ماذا أقول لك يا عم صلاح؟ إنها حقًا مصيبة كبيرة وقعت بها، مصيبة كبيرة؟!

أخبرني يابني بما جري لك، فحكي له بعدما طلب المحامي من العسكري المرافق له بطريقته المهنية أن يسمح لهم بذلك كل ما حدث معه بداية من حضور قوة الشرطة حتى إدلائه بأقواله أمام الضابط قبل

قليل خاتمًا ذلك بقوله، ولكنك تعرفني جيدًا يا عمي صلاح، فأنا أقسم لك....فقاطعه قائلاً:

لا تقسم يا علي، فأنا لم أعرف شخص دمث الخلق، ومكافح، وملتزم، وناجح في تعليمه مثلك، وحقًا ما حدث معك لهو شيء محزن ومؤلم ولابد أن يكون ورائه لغز أو حتى أحد ممن يتعرض لك في الأونة الأخيرة قد قام بدس تلك اللفافة بمسكنك.

كنت أود أن أقول هذا أمام الضابط، ولكنني تراجعت مرة أخرى.

لما؟

لأنني غير متيقن تمامًا من ذلك، كما أن هذا الرجل نفوذه قوي ولا أعلم كيف سيكون رد فعله في حال اتهامي له دون دليل مادي، ولكنني لا أعرف كيف يمكن لأحد أن يتسلل لمسكني ويضع تلك اللفافة دون علمي؟!

ما أكثر الأشقياء يا علي الذين يمكنهم فعل ذلك وما هو أكثر منه نظير المال.

والحل يا عم صلاح، فأنا حقًا في ورطة؟

فرد عليه وهو يتطلع للمحامي الذي جلبه والذي يقف بينهما مستمعًا لما يجري.

اطمئن يا علي فقد أحضرت لك الأستاذ جلال المحامي وقطعًا سيكون لديه حلا لمشكلتك، أليس كذلك يا أستاذ جلال؟

بالتأكيد يا عم صلاح، ولكن لابد لي أن أحصل على نسخة من المحضر ووصف بالمضبوطات حتى يتسنى لي وضع طريقة لتخليص أخينا علي مما حدث له.

ومتي يكون ذلك ياأستاذ جلال؟

لا تتعجل يا علي، فلا أخفي عليك، فوفقًا لما سمعته منك فلن يكون الأمر هين هكذا خاصةً وأن الضابط قدد حرر لك محضر إتجار وليس تعاطي.

وهذا يعني ماذا؟!

للأسف عقوبة الإتجار وفقًا للقانون تكون أكبر من عقوبة التعاطي.

ماذا تقصد بعقوبة ياحضرة المحامي؟! فهل سيحكم عليَّ بتلك القضية؟

تمهل يا أخ علي حتى نجد طريقة مناسبة؛ لإخراجك من محنتك هذه، فربما نجد من وضع لك تلك اللفافة بمسكنك فوقتها سيصبح موقفك أفضل بكثير.

فقال علي وهو ينظر للعم صلاح:

يبدو لي يا عم صلاح أنني أخطأت حين تراجعت عن اتهامي لرجل الأعمال بأن ما يجري لي حتمًا من تدبيره، ولكن لابأس فحتمًا حين أعرض على النيابة سأوجه له إتهام رسمي.

فقال المحامي:

ومن يا ترى هاذا الرجل الذي تتحدثان عنه طوال الوقت؟.

فأخبره علي باسمه وخلال تلك اللحظات لاحظ العسكري وجود حركة من العساكر من حوله والأمناء وكأن أحد الضباط في طريقه إليهم، فقال: يكفي هذا وعليَّ أن أصطحب المتهم للحجز حتى لا أتعرض للمسائلة، وقبل أن يتحرك به، قام العم صلاح بإعطائه كيس به بعض الطعام والشراب يكفيان ليوم أو يومين مع وعده بمتابعته من حين لآخر،

وبعدها قام العسكري بوضعه بالحجز، فشعر بالأسف الشديد مما يحدث له، فلم يخطر بباله مطلقًا أن يكون بهذا الموقف الصعب ووسط هؤلاء المجرمين اللذين يحدقون فيه بوجوههم العابسة بنظرات لا تبشر بالخير، حتى أن أحدهم حين لاحظ الكيس بيده نهض من مكانه باتجاهه وقام بخطف الكيس من يده بدون مراعاة له أو حتى استئذانه وليس هذا فقط، بل قام هو وبعض مرافقيه بفتح الكيس واستخراج كل ما به من طعام وشراب والتهامه كاملاً دون إعطائه حتى بعض الماء؛ ليروي به ظمأه، فشعر بأنه لن يكون مرحب به وسط هؤلاء، فالتزم الصمت وظل يبحث له عن مكان ليجلس به بعد طول الوقوف والانتظار منذ أن خرج من مسكنه، وبالفعل حين وجد أحد الأماكن ذهب وجلس به واضعًا ظهره ورأسه على الحائط، ولكن على ما يبدو أن أحدهم لم يعجبه ذلك، فذهب نحوه وأخبره قائلاً: هذا مكاني.

فلم يجد بد سوى أن نهض مرة أخرى؛ ليجد له مكان آخر وما أن وجد مكان أخر حتى قام شخص أخر توجد بعض العلامات على وجهه وقال له باستخفاف: لا أعرف يا هذا لما تحب أن تجلس فى أماكن الأخرين.

فبدا عليه الضيق، وقال: إذن أين أجلس يا أستاذ.

فرد قائلاً بضحكة عالية: ماذا؟! يا أستاذ! أسمعتم إنه يقول لي أنا ياأستاذ!

فضحك الجميع بشدة وعاد ليقول له: لأجل كلمتك هذه سأدعك تجلس بالقرب من المرحاض دون أن يضايقك أحد هذه المرة وهذا وعد مني بذلك.

فأبا ذلك وظل واقفًا لبعض الوقت بوسط الزنزانة حتى تعبت قدماه وجلس على الأرض رافعًا قدميه ومائلاً برأسه للأسف بما يدل على حالة الإحباط الواضحة التي يمر بها سائلاً نفسه(ترى هل أخطأت حين أقدمت على تلك الشكوى؟ وهل أخطأت أكثر حين رفضت رشوتي؛ لأتنازل عن حقي الذي سعيت له؟ وما هذا العالم الذي أصبحنا نعيش به؟ هل أصبح البشر من حولنا قساة لهذه الدرجة؟ هل أصبح الطمع في حقوق الأخرين شيء عادي وتستخدم كل الأساليب في سبيل ذلك حتى لو كانت غير مشروعة؟ ياله من عالم موحش ومخيف)، ثم بدا عليه التأثر الشديد حين تذكر أهله قائلاً في نفسه بشيء من الألم: ترى كيف سيكون حال أسرتي حين يعلمون بما جري لي؟ ترى كيف سيكون موقفي أمامهم؟ وهم الآن في خضم سعادتهم بتخرج ابنهم من كلية الطب، ذلك الحلم الذي طال انتظارهم وانتظاري له، كيف سيكون رد فعلهم ورد فعل أهل القرية حين يعلمون بأن ابنهم الطبيب حديث التخرج مدان في قضية ترويج للمخدرات؟! ياله من شيء مخزي!، ثم ما لبث بعدها أن سقط نائمًا على أرضية الحجز من التعب والإنهاك من فرط التفكير فيما يجري له، ويبدو أن صديقنا سيتعرض للمزيد من المكائد وذلك حين قام المحامي جلال بمحاولة التواصل مع رجل الأعمال الذي تحوم حوله الشكوك منبهًا إياه لما قد يتعرض له بسب ذكر اسمه أمام النيابة وحين قابله هذا الرجل قال له: ومن علي هذا حتى أفعل معه ما ذكرته للتو؟ وما وجه استفادتي من ذلك؟

على حد علمي بأنك حاولت إعطائه مبلغ نقدي نظير تنازله عن شكواه؛ ليصبح معيدًا بالكلية بدلا من ولدك.

فرد عليه بلهجة حادة: اسمع مني الكلام الأخير، أنا لا تربطني علاقة بهذا الشخص الذي ذكرت اسمه ولم أقم مطلقًا بمحاولة التواصل معه وأي محاولة منه أو منك للزج باسمي في قضيته التي لا أعلم عنها شيء إلا منك الآن لن يقابل إلا برد فعل قاسي جدًا.

عليك أن تهدأ من روعك يا سيدي، أنا لم أتي إليك لتهديدك، بل على العكس، أنا أتيت إليك دون علمه وذلك بهدف منعه من الزج باسمك في تلك القضية.

فهدأ قليلاً حين تفهم المقصد من كلام المحامي

لابأس يا سيد جلال على الأقل حتى نجنب أنفسنا من البداية مشاكل ليست لمصلحتنا جميعًا وأظن أنني سأقدر لك هذا جيدًا، ثم فتح الخزينة المجاورة له وأخرج مبلغ 10 ألاف جنيه أعطاها إياه وسط بهجة واضحة على معالم وجهه قائلاً: هذه هدية لك مني ولك مثلها حين تنتهي القضية بدون أي إزعاج.

أطمأنك ياسيدي، فلن يكون هناك أي إزعاج لكَ أبدًا.

وفى اليوم الذي سوف يعرض فيه علي على النيابة كان المحامي، وقال له علي: أريد منك يا سيد جلال أن تعرفني بكيفية توجيه إتهام رسمي لرجل الأعمال الذي أكاد أجزم بأنه وراء كل ما يحدث لي.

جيد أنك ذكرت لي ذلك علي قبل الدخول إلي وكيل النيابة؛ لأنني بالفعل كنت أود أن أنبهك إلى بعض الأمور قبل أن تتلفظ بعبارات تؤزم موقفك أكثر وأكثر.

تؤزم موقفك أكثر وأكثر؟! وكيف يكون ذلك؟

من واقع معلوماتي عن هذا الرجل الذي ذكرت لي اسمه سابقًا أنه رجل أعمال ذو نفوذ قوي، وبأس شديد، ولديه طاقم مستشارين ومحامين على أعلى مستوي ولن يصمت أبدًا عن اتهامك له بأنه هو من وضع لك تلك اللفافة بمسكنك خصوصًا وأنك لا تمتلك دليل مادي على ذلك.

ولكن الشرطة بالتأكيد ستسعي لمحاولة الحصول على هذا الدليل في حال اتهامي له؟

فضحك المحامي، وقال: يبدو لي يا علي أنك لا تدرك كيف تدار الأمور، كما قلت لك أن هذا الرجل نفوذه قوي، فأقصي ما سيحدث أنهم سيرسلون له لأخذ أقواله وخلفه جيش من المحامين وبالطبع سينكر اتهامك له وحتى سابق معرفته بك، بل على العكس، ثم صمت

بل على العكس ماذا؟

ربما يقوم هو ومعه محاميه برفع قضية تشهير عليك؛ بسبب الزج باسمه واسم شركاته بهذه القضية ويصبح موقفك أسوء.

فشعر علي بالمزيد من الضيق قائلاً:

اللعنة، وكيف سيكون موقفي الآن أمام وكيل النيابة وتلك كانت ستكون حجة قوية لي في قضيتي؟

أولاً علينا أن نغير طبيعة القضية من إتجار إلي تعاطي.

تعاطي؟! ولكنني لم يسبق لي كما أخبرتك أن تعاطيت أي من تلك الأشياء مسبقًا.

ستقول أمام وكيل النيابة أنك تمر بأزمة جعلتك تقبل لأول مرة على تلك الأشياء وأنك على استعداد لإجراء تحليل لك لإثبات صحة كلامك.

ولكن هذا يثبت أنني مقبل على التعاطي وحتمًا سأحصل على حكم؟

هنا يأتي دوري أمام القاضي بالمحكمة ومع إثبات حسن سلوكك وأنكَ حقا تمر بأزمة، فوقتها سيكون القاضي رحيم بك ستحصل حتمًا على البراءة.

تلك مجازفة ياسيد جلال.

ولكنها أفضل حل لك حاليًا، وأنا سأبذل قصارى جهدي يا علي؛ لإخراجك من هذا المأزق، عليك فقط ألا تغير فيما اتفقنا عليه سويًا حين ندخل بعد قليل لوكيل النيابة.

فقبل علي برأي المحامي على مضض منه ودخلا بعدها بمدة وجيزة لوكيل النيابة ليدلي بنفس الأقوال التي اتفقا عليها وجدد وكيل النيابة بناءًا على أقواله حبسه مجددًا على ذمة القضية مع إجراء تحليل له لحين عرضه أمام القضاء.

خلال تلك الفترة كان أسرته باتت على علم بما حدث له؛ بسبب تأخره في التواصل معهم في الفترة الماضية وذهبوا لمكان حجزه وقابلوه بوجوه يكسوها الحزن والهم مما يحدث لابنهم، ولكنهم لا يملكون أية قدرة على إخراجه من محنته سوى محاولة التخفيف عنه حين قال بلهجة حزينة: سامحني يا أبي وأنت يا أمي، فأنا بدلاً من أن أكون مصدر فخر واعتزاز لكما وضعتكما في هذا الموقف المخزي.

لا تقل هذا يابني وارفق بنفسك، فأنا، وأمك، وإخوتك لا يهمنا سوى سلامتك وستبقي على الدوام مصدر فخر واعتزاز لأبيك وأمك.

وقالت أمه والدموع تملأ عينيها:

أقسم لك يا علي بأنني لم أهنأ بالنوم والراحة منذ أن عرفت ماجري لك ولم أكف أبدًا عن الدعاء لك ولتخرج من محنتك هذه والتي نعلم جيدًا أنك بريء منها تمامًا.

وحين أتي وقت القضية والنطق بالحكم، كان علي بالقفص وأيضًا أهله والعم صلاح جالسين بالقاعة منتظرين نتيجة مرافعة المحامي عنه أمام القاضي وفي نهاية الجلسة كانت الفاجعة حين حكم عليه بعامين، تلك الفاجعة التي نزلت عليه وعلى أهله وقتها كالجبل حتى أن والدته لم تتمالك نفسها، فأطلقت صرخات عالية بقاعة المحكمة تبعها نوبة إغماء لها، حاولا بعدها زوجها الذي إمتلئت عيونه هو الأخر بالدموع والعم صلاح بمحاولة إفاقتها مرة أخرى حتى نجحا في هذا، وكان علي لا يعرف ماذا يفعل وقتها، هل يحزن على نفسه من هذا الحكم القاسي أم يحزن على ما يجري لأسرته ووالدته أمام عينه؟ فيا له من موقف عصيب جدًا عليه وعلى تحمله للحد الذي جعله يضع يده على رأسه من فرط الإحباط والتألم بداخله، فتوجه له المحامي، وقال بلهجة تحمل الأسف: كما رأيت يا علي أمامك حاولت بكل الطرق وبذلت كل ما في وسعي محاولاً الحصول لك على براءة، ولكن القاضي لم يستجيب لطلبي، ولكنني أعدك بأن لا أكف عن المحاولة مرة أخرى خلال جلسات الاستئناف والنقض التالية.

فالتزم علي الصمت ولم يستطع الرد عليه، حينها ما جعل المحامي يحمل حقيبته ويغادر القاعة، فلحق به العم صلاح؛ ليخبره أيضًا بنفس الكلام وبعدها يضعوه مرة أخرى بالحجز وخلال جلسات الحكم التالية لم ينجح المحامي سوى في تخفيف الحكم لسنة ونصف، ويصبح هذا الحكم واجب التنفيذ، ما يعني أن يتأثر مستقبله بشكل بالغ ولم يختلف وقتها المشهد بالنسبة له ولأسرته عن المشهد خلال جلسة الحكم الأولى، وحاولت أسرته والعم صلاح التخفيف عليه ومناشدته أن يتمالك نفسه التي باتت وقتها مهمومة وحزينة بشكل واضح على قسمات وجهه المكدود والمصدوم، حيث يجب عليه الآن الصبر حتى تنقضي مدته التي حكم عليه بها وبعد خروجه يتدبر أمره وحياته التي حتمًا ستتغير مرة أخرى، وبعدها تم ترحيله للسجن الذي سوف ينفذ فيه الحكم؛ ليعيش أحلك وأصعب أيام حياته، يكتنفه الحزن والهم طوال الوقت الذي يمكثه بين جدران السجن المخيفة، وظلت أسرته تزوره بشكل دوري طوال فترة إقامته بالسجن، ولكن والده يبدو أنه لم يحتمل صدمة ما حدث لابنه، فجاءته جلطة وشل وجلس قعيدًا في البيت ما زاد من أعباء الأسرة أكثر وزاد من آلام وأحزان علي بالسجن بشكل كبير، حين اضطرت والدته لإخباره بما جرى لوالده رغم رغبتها في البداية عدم إخباره بذلك وذلك مع إلحاحه عليها حين لم يزوره في أخر زيارتين، فكم من ضغوطات ومآسي يتعرض لها الفتي في تلك المرحلة الصعبة من حياته والتي لم تنتهي عند هذا الحد فقط، بل ازدادت حين توفي والده قبيل خروجه من السجن بشهرين حزنًا عليه، ولكن والدته تمالكت نفسها وكتمت حزنها على زوجها أمام ابنها ولم تخبره بما جري لوالده حتى لا تحدث له

انتكاسة هو الأخر وهم في أمس الحاجة له، وحين أتى موعد خروجه الذي أصر بألا يخبر أسرته به، حتي يستغله كلحظة لرسم البهجة الغائبة عنهم وعن والده القعيد الذي كان يظن بأنه ما زال على قيد الحياة، وحين خرج من السجن سرعان ما ذهب نحو سيارات الأجرة مستقلاً السيارة التي سوف تأخذه لمركزه ومن بعدها استقل سيارة أخرى لقريته، وكان الوقت في نهاية النهار حاملاً معه بعض الأكياس التي تحتوي فيها على الفواكه المتوفرة بالسوق خلال تلك الفترة من العام، وحين وصل لباب بيته كانت أسرته كلها بالداخل متأهبين لتناول طعام العشاء، فدق على الباب لتقوم أخته الكبرى بفتحه وتتفاجأ به أمامها قائلة بصوت عالي وبوجه تملئه السعادة: أخي علي، أمي إنه أخي علي، ثم احتضنته بشدة ولم تفت لحظات على صيحاتها حتى تجمع حوله إخوته وتركت والدته ما كانت تقوم به بالمطبخ وقتها حين سمعت ما قالته ابنتها وذهبت مسرعة للخارج لترى فلذة كبدها أمام عينها، ليتحول المشهد على تلك الأسرة البسيطة لدقائق من السعادة والبهجة الغامرة قبل أن يحاول علي الوصول للغرفة الرئيسية؛ لكي يرى والده الذي لم يراه منذ شهور عدة، ولكن في تلك اللحظة تغير وجه والدته وإخوته واستوقفته عند باب الغرفة بشكل غريب، فسألها قائلاً: لماذا تقفي أمامي يا أمي هكذا؟

فردت قائلة: لأن أباك ليس داخل الغرفة.

فقال وهو ذاهب باتجاه الغرفة الأخرى بالمنزل: إذن حتمًا سيكون هنا، وفتح الباب، ولكنه فوجئ بخلو الغرفة تمامًا، فدب القلق بنفسه خصوصًا حين رأى الجميع ينظرون لبعضهم البعض نظرات لا تبشر بالخير.

فقال موجهًا حديثه لأمه: أين والدي يا أمي؟ هل تطورت حالته ويجلس الآن بالمستشفى؟ وحين تأخر الرد قال لهم: مالكم تنظرون لبعضكم البعض هكذا ولا تردون علي؟! أين والدي؟

فقالت له والدته والدموع بدأت تنساب من عينيها بلهجة ضعيفة وحزينة: لقد ازدادت حالة والدك سوءًا مع مرور الوقت حزنًا على ما جري لك ولم تفلح معه الأدوية ولا حتى محاولات الأطباء وتوفي قبل شهرين.

فوقع الخبر عليه كالصاعقة ولازمه الصمت للحظات قبل أن تنطلق منه صرخات تحمل الأنين الذي بداخله من صدمة فقدان والده: أنا السبب في ذلك، أنا السبب، فلو كنت صمت من البداية وقبلت بالأمر الواقع لما حدث كل هذا ولما فقدت والدي للأبد حزنًا عليَّ، يا ويلاه، يا ويلاه، وظل يرددها وسط بكاء أمه وإخوته من حوله شفقة عليه وعلى حالته حتى اقتربت منه والدته قائلة: هون عليك يا بني، فأنتَ لم تكون السبب في ذلك أبدًا، فهذا حتمًا قدره وقدرنا، ولهذا لم نود أن نخبرك من البداية حتى لا تزداد حالتك سوءًا وأنت بمحنتك.

ثم خرج ثائرًا ومسرعًا إلي الخارج قائلاً لهم: لا أود أن يلحق بي أحد منكم، فذهب متجهًا للحقل ومكث هناك وهو يبكي على فراق أبيه، وأصبح يتذكر تلك الأيام منذ أن كان صغيرًا وهو يعمل مع أبيه في الحقل ويقول في نفسه وهو في شدة البكاء: لقد تعب هذا الرجل كثيرًا في تربيتنا وبدلاً من أريحه في كبره، ها هو يقضي حياته بسببي، كم كنت أتمنى أن أريحه في كبره وأن أرسم على وجهه السعادة بدلاً من الشقاء

الذي رأه طوال عمره، فكم حجم الظلم الذي فشي وساد في هذا المجتمع والذي كان سبب في شقاء أسرة بأكملها.

بعدها أصرت أخته ووالدته أن تلحق به مع إخوته، فهي ما زالت تخشي عليه وقالت له حين وصلت له: يابني ليس بيدك شيء تفعله له الآن، كما أننا نخشي عليك أنت الأخر، فأنت أملنا من بعده، عليك فقط أن تدعو له بالرحمة.

فزاد بكائه من كلام والدته ولم يجد بد سوى أن ذهب معهم ووعدهم بألا يتركهم بعد الآن وأن يعتني بهم، وظل يعمل بالأرض كما كان يفعل أبيه وزاد شقائه ومتاعبه وكان الحال يضيق عليه يومًا فيوم، فحجم الدخل الذي يتحصل عليه لا يوفي بمتطلباته هو وعائلته، كما أنه ليس لديه رغبة في العمل في أي مكان داخل مصر بعد الذي رأه وألمه ألم شديد في نفسه وجعله يكره حتى ممارسة مهنته التي كافح وتحمل الكثير لأجلها، ومضت الليالي على هذا المنوال دون تغيير.

الفصل الثاني

في أحد الأيام بينما هو جالس على غير عادته في أحد مقاهي القرية؛ ليفكر في ظروفه وكيفية حلها والضيق الذي تملكه ولازمه في الشهور الأخيرة إذا بجمع من الشباب الجالس بجواره يتحدثون في موضوع ما وبدا فيهم الحرص في الكلام مع وجود حالة من الجدل بينهم، فأخذه الفضول أيضًا على غير عادته خاصةً وأن صوتهم بدأ فيه الارتفاع نوعًا ما، فعلم من خلال كلامهم أنهم يتحدثون عن الهجرة خارج مصر وتحديدًا إلى إيطاليا، وأن هناك أحد الأشخاص، من أحد القرى المجاورة سوف يساعدهم على ذلك؛ لقاء مبلغ مالي، وأن له خبرة ودراية كبيرة في هذا الموضوع، وله العديد من العلاقات التي تمكنه من ذلك، وقد قام سابقًا بتهجير الألاف عن طريق البحر من دون مشاكل، وأنهم يمكنهم أن يلتقوه خلال الأيام القليلة القادمة وهنا انتهى الحوار وانصرف الجميع وانصرف هو أيضًا إلي البيت، ولكن الموضوع لم ينصرف من ذهنه، فجلس طيلة الليل يفكر فيما سمع حتى حل الفجر، فقام وصلى وذهب إلى عمله وفي نهاية يومه أصر على الذهاب إلى نفس المقهى وما هي إلا دقائق معدودة حتى أتي نفس الجمع من الشباب، ولكن اليوم بعدد أكبر فاستنتج بأن الفكرة قد استقطبت عدد أخر منهم، وجلسوا سويًا للتحدث في نفس الموضوع حتى انتهي كلامهم وانصرف الجميع، وذهب إلي البيت ليفكر مرة أخرى في نفس الموضوع، فيبدو أن الفكرة بدت تلاقي قبول عنده، وبدأ يقول في نفسه: لم لا يكون هذا هو الحل لكل مشاكلي ومسؤولياتي التي تزداد مع الوقت، ولازمه الموضوع طوال ليله

ونهاره، فقرر الذهاب اليوم أيضًا إلى نفس المقهى، ولكن ليس ليجلس بجوار هؤلاء الشباب، ولكن لينضم إليهم ويشاركهم الحوار، وبالفعل ذهب هناك وأتى هؤلاء الشباب وكان أحدهم شاب يسكن بجواره، فطلب منه أن يستأذنهم؛ لينضم إليهم فوافقوا وبدئوا يشرحون له الموضوع حين قال أحدهم: هناك وسيط سوف يأخذنا من مصر إلى ليبيا وهناك يوجد شخص أخر سوف يحملنا عن طريق مركب كبير عبر البحر من السواحل الليبية إلى السواحل الإيطالية، وهذا طبعًا كله بصور غير رسمية، وهذا الشخص سوف يوضح للمهاجرين كيفية التعامل وكيفية دخول إيطاليا عند النزول إلى سواحلها، فهو له دراية كبيرة جدًا بذلك وهم أهل ثقة، وهذا كله نظير مبلغ يقارب (الستون ألف جنيه)

هنا قاطعه علي بدهشة قائلاً: (ستون ألف جنيه؟!!) مقابل كل هذه المخاطر، أليس ذلك بكثير ومبالغ فيه؟

فرد عليه: ليس بكثير إذا كان مقابل تحقيق كل أحلامك وطموحاتك التي أخفقت وأخفق الجميع في تحقيقها هنا، كما أن السفر بالطريقة النظامية معقد، ونادر جدًا، ومكلف جدًا أكثر من ذلك، والأمر كله بيدك فليس أمامنا إلا أيام قليلة وتبدأ الرحلة، فعليك أن تأخذك قرارك في غضون أيام قلائل وإلا ضاعت عليك الفرصة.

وانتهى حوارهم وبدأ علي يفكر في الموضوع وكيفية تدبير هذا المبلغ الكبير الذي لا يملك من إلا القليل جدًا، ودارت في ذهنه أفكار كثيرة حتى أهتدى إلي حل وحيد، ولكنه في غاية الصعوبة، فليس أمامه إلا أن يبيع القراريط التي يعيشون عليها؛ كي توفر له المبلغ واستشار والدته وإخوته في ذلك بعد أن أفهمهم الموضوع وما قرره، فرفضت أمه ذلك بشدة

وخافت عليه من السفر وطلبت منه المكوث معهم، فهم لا يمكنهم أن يفقدوه مرة أخرى، كما أن بيعه لقطعة الأرض يجعلهم يعيشون بلا مصدر للدخل، ولكنه ضغط على والدته بشدة وأخبرها بألا تقلق عليه وأن هذه فرصته وفرصتهم الوحيدة؛ لتغيير حياتهم للأفضل وأن عليه أن يضحي بنفسه في سبيل ذلك، كما أن عليهم أن يتحملوا قليلاً حتى يمكنهم أن يعيشوا أفضل، فرضخت أمه بعد ضغط منه عليها واستجابت هي وإخوته لرغبته ثقةً وأملاً فيه، في نفس الوقت وقاموا ببيع الأرض، ولكن المشكلة أن ثمن الأرض لم يكفي للوفاء بالمبلغ المطلوب، ففكر في كيفية تدبير باقي المبلغ خاصةً وأن الميعاد المتفق عليه قد اقترب، فقرر أن يرهن بيته الذي يعيشون فيه لمدة عام عند أحد التجار المعروفين، ولكن قام بذلك دون علم والدته؛ خوفًا من أن تغضب من ذلك، وذلك بحصوله على صك ملكية البيت دون أن تعلم وبحصوله على توكيل منهم، وكان يفعل ذلك وهو في غاية الأسف لما يفعله، فلم يكن بعادته أن يتصرف تصرف دون الرجوع إليهم ومناقشتهم فيه، ولكن ضيق الوقت كان يحول بينه وبين ذلك، فلا يمكنه الدخول في مفاوضات أخرى معهم قد تفشل بالنهاية، وبالفعل توفر في يده مبلغ يفوق المبلغ المطلوب، فترك منه جزء لأسرته يعيشوا منه لحين سفره وحين يصل إلى هناك يبعث إليهم مصاريفهم حين يعمل، وأخذ الباقي معه وقام بدفع المبلغ المطلوب بأكمله للوسيط الذي بدوره أخبره بميعاد السفر وهو بعد يومين، فقام بتوديع أسرته وهم في غاية الآسي والحزن؛ لفراقه وغربته متمنيًا أن يكونوا بخير في غيابه لتنتهي علاقته بأهله عن هذه النقطة وتبدأ مرحلة جديدة في حياته.

ترك علي أهله ليذهب إلى مصير لا يعلمه إلا الله وتركهم، ولكن همومهم لم تتركه فلازمته طوال سفره كما لازمته طيلة حياته وبدأت الرحلة الطويلة، فما هي إلا سويعات قليلة حتى غادر قريته على متن حافلة كبيرة متوجهةً إلي ليبيا مباشرة، ولكن عدد ركاب الحافلة لم يكتمل بعد، فظن أن هؤلاء هم فقط المسافرين وأن هذا الوسيط كان يهول له الأمور، ولكن على العموم غادرت الحافلة قريته، ولكنها طيلة طريقها كانت تحمل شباب من قرى ومناطق متعددة حتى اكتظت بهم الحافلة، فصدم علي، فالحافلة مملوءة لأكثر من طاقتها ويمكن أن تتعرض للخطر، ولكن ماذا يفعل، فالأمر بالنسبة له كله مغامرة، فعليه أن يكمل الرحلة علي أية حال، ثم فكر لدقائق في هذا المشهد داخل الحافلة سائلاً نفسه ماذا لو قمنا بحصر وجمع الأموال التي دفعناها أنا وهؤلاء الشباب وقمنا بعمل مشروع كبير، ألا يمكننا وقتها أن نحقق لنا ولبلدنا أكثر مما يمكن أن تحقق لنا غربتنا المجهولة؟ ولكن هذه هي الحياة، فالجميع يفكر في حاله فقط، ثم بعد أكثر من يوم في الطريق دخلت الحافلة إلي الأراضي الليبية وهناك استلمهم المتعهد داخل ليبيا وقام بأخذهم إلى أحد الأماكن؛ لكي يقيموا فيه بالقرب من الشاطئ الذي سيغادرون منه وذلك لمدة بضعة أيام قبل وصول المركب التي سوف يسافرون عليها وكانت أيام صعبة، فالمكان غير مناسب لعددهم، كما أن الطعام غير جيد، فكان الجميع مستاء جدًا من ذلك، ولكن المتعهد أخبرهم بأن الأمر لن يطول وما هي إلا أيام وتغادروا ليبيا ومر يومان وبعدها، فوجئ هو ومن معه بوفود مختلفة من مختلف الدول المحيطة وكلهم أقاموا في نفس المكان الذي هو فعلاً ضيق جدًا على عددهم الكبير،

وظن علي أن المركب كبير جدًا؛ ليحمل هذا العدد أو أنه يوجد أكثر من مركب، لذلك مرت أيام قلائل حتى أتاهم المتعهد قبيل فجر أحد الأيام وأيقظهم وأبلغهم قائلاً: عليكم حزم حقائبكم وأمتعتكم وأن تكونوا جاهزين على الشاطئ في غضون ساعة على الأكثر.

وبالفعل جهز علي ومعه الجميع وأصبحوا على الشاطئ قبل الموعد وكان ضوء النهار قد بدأ يبزغ وما أن خرج هو ومن معه إلا ووجدوا مركب داخل البحر، وكان هناك قوارب على الشاطئ لتحملهم من الشاطئ إلي المركب، وتم نقلهم جميعًا على المركب، ولكن هو كان في غاية الدهشة، فالمركب صغير مقارنة بعدد المسافرين، كما أنه مركب صيد عادي ويبدو عليه القدم وأنه متهالك بفعل العمل لمدة طويلة، فلا يمكنهم بأي حال من الأحوال السفر على مركب كهذه، فغضب بشدة هو ومن معه وقرروا أن يتحدثوا مع المتعهد عن ذلك، فأخبروه أن المركب صغير وطاقته لا تسع هذا الكم من المهاجرين، مما يمكن أن يعرضها ويعرضهم للغرق في عرض البحر، كما أن المركب قديمة ومتهالكة وقد عفا عليها الزمن، فرد عليهم قائلاً: أقسم لكم إن هذه المركب قد سافر عليها أناس كثيرين وأكثر منكم في العدد قبل ذلك، ولم يتعرضوا للخطر كما تتدعون وهي عائدة لتوها من رحلة كرحلتكم هذه، ومع هذا بدا عليهم الخوف والتردد، فطلب بعضهم منه وكان من بينهم علي أن يعيد لهم أموالهم ويعودوا من حيث أتوا، ولكنه أخبرهم قائلاً: ذلك أمر مستحيل، فلا يمكنكم استرجاع نقودكم؛ لأن الاتفاق بيننا مبني على ذلك، حيث أنكم أضاعتوا الفرصة على غيركم وعليكم أن تتحملوا ذلك،

كما أن عليكم خلال دقائق من الآن أن تقرروا فيما بينكم إما الركوب معهم أو البقاء.

فتشاورا فيما بينهم، فقال أحدهم: ماذا سنفعل الآن، فليس لدينا متسع من الوقت.

فقال بعضهم وكانوا قلة: نعود من حيث أتينا، فلا يمكننا أن نغامر بأنفسنا تحت أي ظرف، فهذا المركب ومن فيه هالكين لامحالة.

وقال البعض الآخر وهم الأكثرية بعد تفكير: لن نرجع مهما حدث، فليس أمامنا فرصة إلا أن نركب وإما نعبر إلى ما أرادنا وبذلنا كل هذا لأجله وإما يبتلعنا البحر والخياران بالنسبة إلينا أفضل من الرجوع إلي ما كنا عليه.

فاندهش علي مما سمع قائلاً ففي نفسه: كيف يمكن لشباب في هذا السن أن يتحكم به اليأس إلى هذه الدرجة؟ وما هي الظروف التي أوصلتهم لهذا؟ ومن المسؤول عن ذلك؟ هل هي صعوبة الحياة وضيق العيش، أم الظلم وعدم وجود عدالة اجتماعية، أم قلة الإيمان، وضعف النفس، والطموح المبالغ فيه؟ وتذكر حاله ووضعه قائلاً بشيء من الحسرة: حتى أنا نفسي لا يمكنني الرجوع أبدًا، فعلي أن أكمل ما بدأته وإلا سأخسر كل شيء حتى منزلي الذي أسكن فيه مع عائلتي، فلم يبقى لي شيئًا يعوضني عن ذلك سوى تلك الرحلة الغامضة. فذهب خلفهم ولحق بهم في اللحظات الأخيرة، وركبوا جميعًا المركب إلا عدد قليل جدًا لا يكمل العشرة منهم، وبدأ المركب يتحرك بهم؛ لتبدأ مع حركته رحلة كبيرة من المعاناة والمخاطر الغير متوقعة، فها هي المركب تتحرك خلسة وفي الخفاء حتى لا يعلم حرس السواحل بتحركها وحملها لمهاجرين غير

شرعيين، وتدخل المركب في عرض البحر لتقطع مسافة كبيرة مبتعدة عن الشاطئ وقد بدت أمواج البحر هادئة نسبيًا، بدأ علي يتجول بالمركب، ثم جلس في أحد الجوانب، وبدأ يحدق بالمهاجرين واحد تلو الآخر، وبدأت تجول في نفسه خواطر كثيرة، وقال في نفسه: أنه على الرغم من أن كل هؤلاء من مختلف الأقطار، والبلدان، ورغم اختلاف ألوانهم، ولغاتهم، وعاداتهم، وديانتهم، ونمط حياة كل منهم إلا أنهم اجتمعوا واجمعوا على هدف واحد وهو أن يخترقوا البحر حتى يعبروا إلى الجهة الأخرى منه، وهناك يجد كل منهم حلمه الذي يبحث عنه، ولكن يا ترى هل كل واحد منهم سوف يجد ما يريد، أم سوف ينقسموا ومع أي فريق سأكون؟ يبدو لي أن الإجابة صعبة جدًا وحلها يقع هناك على الشاطئ الآخر حيث ينتظرني حلمه الذي لم أحلمه وقدري الذي لا أعلمه عساه أن يكون خير ويعوض صبري وماتعرضت له من ظلم.

وبعد مرور أكثر من يوم على تحرك المركب وبينما هو جالس في أحد أركانها وحيدًا رغم معرفته ببعض المتواجدين على المركب من أبناء قريته، بدأت عيناه تعبر على وجوه المحيطين؛ عسى أن يري منهم شخص يمكنه أن يحاوره ويستفهم منه عن بعض الأمور، خاصة وأن رصيد المعلومات لديه عن تلك الرحلات والمغامرات صفر وأن ما لديه ليس سوى بعض المعلومات من ذلك الوسيط داخل مصر والتي تبين أنها تفتقد لقدر كبير من الواقع الحقيقي، وحين كان يمر بعينه على وجوه الناس لفت نظره شخص كان يقف على أحد جنبات سطح المركب وحيدًا مثله وكان متأملاً بشدة في البحر، وقد كان كثيف الشعر، رياضي البنية، طويل القامة، وذو وجه طويل أيضًا، وحواجب ورموش كثيفة،

ولديه وشم واضح على ذراعه الأيمن، ويرتدي سلسلة حول رقبته، يرتدي بنطال جينز أسود، وتيشرت ذو لون بيج، فقرر التعرف عليه وبالفعل نهض من مكانه ومشي نحوه واقترب منه، ثم ألقى عليه السلام، فرد عليه هذا الشخص سلامه، وخاطبه علي قائلاً:

- إن الوقت هنا ممل ورأيتك وحيد، فهل يمكننا أن نتعرف ببعضنا حتى يمر الوقت أسرع من ذلك؟

- بالطبع وهذا شيء يسعدني.

- أنا اسمي علي وما اسمك أنت؟

- اسمي مهدي بوعبيد.

- يبدو لي من لهجتك أنك من بلاد المغرب العربي.

- نعم بالفعل، فأنا مغربي، من أغاني، ولكن إن كان يبدو لك من لهجتي أني مغربي، فأنا متأكد من لهجتك ومن شكلك أنك مصري.

- بالفعل أنت محق، ولكن لما تقول إنك متأكد؟

- إنها الخبرة يا صديقي.

- معني كلامك أنك خبير وجوه أو سافرت للعديد من البلدان ومنها مصر؟

- لا هذا ولا ذاك.

- إذا هل يمكنني أن أعرف من أين أتتك تلك الخبرة؟

- لقد حاولت الهجرة قبل ذلك وخلالها تعرفت على أناس كثيرين وأنماط مختلفة من البشر، فكيف لا يمكنني بعد ذلك ألا أتعرف عليك!

- إذا هذه ليست المرة الأولى لك في محاولة الهجرة؟

- إنها المرة الثالثة لي.

- أتعني من كلامك أنك حاولت ذلك مرتين قبل ذلك سابقًا؟ أكانت إلي إيطاليا أم دول أخرى؟ وما الذي حدث في كل مرة منهم؟

- واحدة إلى اسبانيا وفشلت نتيجة تعرضي إلى عملية نصب ولم اكتشفها إلا متأخر والأخرى فكانت إلى فرنسا من خلال وفد طبي، ولكن انكشف الأمر في المطار، وها أنا الآن أجرب حظي للمرة الثالثة، ولكن هذه المرة إيطاليا.

- وما الذي يجعلك تغامر للمرة الثالثة رغم فشلك لمرتين؟ أليس في ذلك إهدار لمالك ويعرضك أيضًا للخطر؟

- أنا شخص أهوى المغامرة والمخاطرة من طفولتي، فقد كنت أتسلق الأشجار العالية وأقفز من فوقها حين كنت طفلاً دون أن أخشى من ذلك، وكنت مغرم بالمغامرات، فهذا الأمر يمثل بالنسبة لي التحدي والطموح في آن واحد، كما أنه في المرات السابقة لم يكلفني الأمر كثيرًا كهذه المرة، يبدو لي أن هذه هي المرة الأولي لك في السفر، فهل لي أن أعرف ما السبب الذي دفعك لذلك؟

- فقال بوجه متأسف:

- إنه ظلم المجتمع الذي نعاني منه؟

- كيف تعرضت للظلم؟

- إنها قصة طويلة وحيث الوقت هنا طويل ونريد أن نستهلك المزيد منه، فسأروي لك أهم أجزائها وبدأ يحكي له ما تعرض له من ظلم وما هو دافعه الفعلي لتلك المغامرة الغير مأمونة العواقب.

- فبدا مهدي مندهشًا ومتأثرًا وقال:

- هل هذا يعقل؟ أيوجد ظلم إلي هذا الحد؟! وبدلاً من تكريمك ودعمك تصبح محل إهانة وانتقاص، يا لك من شخص صبور ومكافح، ضحيت بأمور كثيرة من أجل أهلك وها أنت الآن تضحي بنفسك، فأنت شخص قلما يوجد مثلك وكم يسعدني حقًا أن أكسبك صديقًا لي، ولكن أنصحك نصيحة بألا تفكر فيما مضى ودعه يكون دافعًا لك لم هو آت، وأن تعلم بأن ما تعرضت له من ظلم ليس سوى حلقة واحدة من مسلسل ظلم طويل نتعرض له جميعًا ولكل منا حلقة فيه ودور يؤديه إما ظالم أو مظلوم.

- أتعني من كلامك أنك قد تجرعت أنت الآخر من كأس الظلم يومًا ما؟

- فأشعل مهدي سيجارة وقال:

- ومن منا وممن هم على شاكلتنا لم يتعرض له وسط تلك الفئة العفنة من البشر وفي ظل أجواء الفساد السائدة، فكم وجدته سواء في عملي، أو معاملات، أو حتى حياتي الشخصية، ولكن كنت دومًا متمردًا عليه ولا أستسلم له وهذه هي نتيجة ذلك، فقد وجدت أن بيئة العيش ببلدي لا تناسب من هو مثلي الآن، فقررت الرحيل، فأنا لن أغير طباعي كما أن بيئتنا لن تتغير طالما وجدت من الظالمين والفاسدين من يرتع وينمو فيها.

- فقال علي: إنها لا تختلف كثير عن بيئة العيش لدينا، فهي كلها بيئات فشي فيها الفساد والانحراف الذي لابد من مقاومته والقضاء عليه، ولكن كيف يكون ذلك ونحن نتركها خلفنا، فهل هذا هروب من

الواقع أم فشل في مواجهته؟ ربما تحمل الأيام المقبلة الإجابة على ذلك، وارتسمت وقتها على وجهه ابتسامة خفيفة.

- هل يمكنني أن أعرف ما سر تلك الابتسامة؟

- لا شيء سوى أنني تذكرت صديق قديم لي كان مبدأه في الحياة دائمًا (الغاية تبرر الوسيلة) وها أنا الآن وبعد مرور سنين أرضخ لهذا المبدأ، فعسى أن أقابله إما في البحر غريقًا، أو على الشاطئ قتيلاً، أو داخل إيطاليا متسولاً، أو في مكان أفضل من ذلك، المهم أن هناك ظنًا كبيرًا بأني سأقابله، ولكن أين ومتي؟ لا أدري.

- حتى أنا لي أصدقاء كثيرين غادروا منذ زمن منهم من غرق بالبحر، ومنهم من فُقد ولا ندري عنه شيء، ومنهم من عبر، ولكن من الذين عبروا هناك منهم من فقدوا أحلامهم وطموحاتهم على الجانب الآخر من الشاطئ، ولكن الأخطر من ذلك أن هناك الكثير من المهاجرين يفقدون أهم شيء يميز الإنسان منا، ثم سكت عن الكلام وعاد يدخن سيجارته بعد أن شد انتباه علي لما قاله في نهاية كلامه، ليسأله:

- لما صمت؟ أخبرني ما هذا الشيء الذي يفقده الكثيرين؟

- إنها الهوية، هويتي، وهويتك، وهوية كل هؤلاء، وكل ذلك يختلف من شخص لآخر، كل حسب ظروفه والضغوط التي يتعرض لها.

- ماذا تقصد بالهوية مهدي؟

- كل ما يمكن أن يدخل بنطاق الهوية، سواء ما يتعلق بالوطن، أو الدين، أو الأخلاق، أو الطموح، أو المبادئ وما تربينا عليه، كل هذا يمكن أن يتعرض لانتكاسة وتغير كبير.

- فامتقع وجهه قليلاً وقال: كل شيء يهون إلا أن تتغير هويتي، فهي شخصيتي وكياني ولا يمكن أن أفرط فيها أبدًا تحت أي ظروف مهما حدث.

- ولكن الظروف هي التي يمكن أن تفرض عليك ذلك، فتركيبة المجتمع هناك تختلف تمامًا عن مجتمعاتنا، فهناك نجد الحرية والديمقراطية، ونجد أيضًا العنصرية التي تناقض تمامًا تلك الديمقراطية، وستجد حتى أعتي العصابات الإجرامية هناك وليس هنا عندنا كما تظن، فلن تجد أحلامك فقط وستجد تركيبة مختلفة تمامًا من البشر وهذا كله سوف تراه بنفسك إن كتب لك ولنا العبور.

- أعلم كل تلك الأمور جيدًا، ولكن مهما كان حجم الضغوط، فلا يمكنها أن تتحكم في هويتك

- إنها أمور فرضية وليست اختيارية، فليس لنا إرادة في ذلك الأمر، من هنا وما هو قادم هي أمور تفرض عليك وعليك فقط الانصياع لها وسوف ترى ذلك بنفسك قريبًا أقرب مما تتخيل، وما هي إلا دقائق ودخل المتعهد ليخبر الجميع قائلاً:

- يجب عليكم أن تلقوا بأي أوراق أو مستندات تثبت هوية أي منكم وجنسيته بالبحر، فلا يجب أن يبقى شيء يثبت هويتكم وهذا كله لمصلحتكم أنتم.

- هنا نظر مهدي إلى علي وقال له: ألم أقل لك أنها أمور فرضية وسوف تري ذلك قريبًا، من الآن فصاعدًا تبدأ هويتك الجديدة في التشكل،

- لا أظن ياصديقي أنني سأتنزل عن هويتي أبدًا، ولكن مع هذا فيبدو لي أن هناك بعض المفاهيم بداخلي التي يجب أن تتغير؛ لأنها لا تناسب الفترة المقبلة وقد آن أوان التغيير، ثم أخرج من حقيبته الصغيرة التي بيده كل أوراقه وأي مستندات تدل على هويته، قائلاً: وها هي كل أوراقي الثبوتية ألقي بها في البحر؛ لأبدأ مرحلة جديدة لا أعلم ما أخفي لي بها.

- كان الظلام قد خيم على المركب ومن فيه وقد بدأ الطقس يتغير والبحر أيضًا فهم في بداية فصل الشتاء وبدأ الموج يزيد والمركب تتأرجح بشدة، فبدأ القلق والخوف عليهم جميعًا، فالموج في حالة من الازدياد، ثم بدأت السماء تمطر بشدة والرعد والبرق يزداد، والجميع في حالة ترقب، فالبحر لا يرحم صغيرًا ولا يوقر كبيرًا، فخرج عليهم قائد المركب؛ ليطمئنهم ويؤكد لهم بأن يهدأ الجميع، فهذا الأمر عادي بالنسبة له ويتعرضون له كثيرًا في عرض البحر، ولكن مع مرور الوقت لازال الموج يزيد، والمطر يزيد، وبدأت المياه تغمر المركب من السطح، ثم بدأت المركب في التمايل الشديد حتى كاد يبدو عليها السقوط على أحد جنابتها، وبدأت تميل بشدة من أحد جهاتها، فأرتبك الجميع وبدئوا يصرخوا في وجه القائد ويخبروه بأن المركب على وشك الغرق وإن المياه قد غمرت سطحها، فأخبرهم بأنه ليس بيده شيء ليفعله، حينها التفت علي نحو مهدي وخاطبه قائلاً: الأمر بات في غاية الخطورة فعلينا أن نتصرف بسرعة وإلا هلكنا جميعًا.

- فرد عليه مهدي: وماذا يمكننا أن نفعل؟

- فأجابه :لا بد لنا من نزح كمية المياه بأقصى سرعة من علي سطح المركب، وذلك بأن يتعاون الجميع في ذلك باستخدام كل الأدوات المتاحة لدينا، فلا وقت نضيعه.

- فرد عليه مهدي قائلاً: نعم الرأي، وبدأ يخبر الجميع بذلك بمنتهي السرعة واستجابوا كلهم وبدئوا يستخدموا ما لديهم من أدوات لنزح المياه وما ساعدهم في ذلك أن الأمطار بدأت تخف، ولكن الموج يزداد بشكل مخيف، فأصبحوا ينزحوا المياه من المركب طوال الليل دون توقف، فالأمر تحول لمسألة حياة أو موت، فالموت يحبط بهم من كل جانب والكل في حالة صراع وصياح من الأهوال، واستمروا ساعات على تلك الحالة دون توقف حتى حل الصباح، وبدأت تهدأ الأمواج، وبدأت المركب تستقر حينها تنفس الجميع الصعداء وبدئوا يمكثوا للراحة بعد هذا العناء الشديد، وبدأ ذلك المشهد يحفر في ذاكرة علي ولم ينساه أبدًا، فها هو الموت قد اقترب كثيرًا منه، وبينما هو يجلس إذ يسمعون صراخ أحد الشباب، فهبوا جميعًا لرؤيته، فإذا به يقول لهم: لقد فقدت أخي، بحثت عنه في جميع أرجاء المركب، لكني لم أره، أخشى أن يكون قد أخذه الموج ليلة البارحة، وبالفعل علم الجميع بأنهم فقدوا أكثر من عشرين شخصًا، بعضهم أخذته الأمواج الشديدة من على سطح المركب إلى البحر والبعض الآخر سقط حين كانت تتمايل المركب بهم، ولكن لم ينتبه أحدًا لذلك فقد كان وقتها من الصعب معرفة ما يجري بدقة على سطح المركب، فكانت المركب مظلمة، وصوت الأمواج، والطقس، والرعد يغطي على أي صوت بشري، وكان كلاً منهم لا يفكر إلا في شيء واحد وهو أن ينزح أكبر كمية وبسرعة من المياه من على السطح وإلا

غرقت المركب بهم جميعًا، ففعلاً كانت ليلة في غاية الصعوبة ولا يمكن أن ينساها أحدًا منهم، وتحول المشهد إلى مأساة إنسانية فقد فيها العديد من المهاجرين في مياه البحر وكان من بينهم أحد أفراد القرية التي يقطنها علي، فحزن حزنًا شديدًا عليه، فكان لديه أولاد وعائلة كبيرة مسؤولين منه، وكان يعلق آمال كثيرة على تلك الرحلة، ولكن شاء القدر غير ذلك، وتخيل علي حينها أن يكون قد لاقي نفس مصيره، فكيف سيكون حال والدته وإخوته، فقد تركهم بلا دخل ولا أرض، ولكن إذا وافته المنية فسيصبحون بلا مأوي، وقتها حمد الله على نجاته وتمنى أن يكمل الرحلة على خير، وأن يعبر؛ كي يفي بالتزاماته تجاه أسرته ويسدد الديون التي عليه، ومرت عليهم ساعات كثيرة داخل البحر وكان أغلب الوقت يقضيه مع صديقه الجديد مهدي يأكلون سويًا ويتناقشون في مختلف الأمور، وظلت الأمور هكذا حتى اقترب المركب من أحد الجزر وما هي إلا دقائق ويسمع الجميع دوي صفارات الإنذار قادمة من البحر.

- إنهم خفر السواحل الإيطالية؟ هكذا تحدث أحد الموجودين بالمركب بصوت عالي وكررها أكثر من مرة وكانوا بالفعل خفر السواحل ويشيرون للمركب؛ لكي تتوقف فورًا، وفعلاً توقف المركب في البحر، ولكن تلك النهاية لا يحبذها الجميع، فهي بمثابة نهاية الحلم لهم ولا يقبلوا أبدًا أن ينتهي الحلم هكذا، فقرر كثير منهم القفز في البحر والذهاب إلى الشاطئ قاطعين مسافة كبيرة جدًا سباحة مفضلين ذلك رغم علمهم بأنهم سوف يتعرضوا لإطلاق النار على الأقل على سبيل التهديد أو ربما لا يتحملوا طول المسافة ويغلبهم الإنهاك ويستسلموا للغرق، وقتها أشار مهدي إلى علي قائلاً: إنه لا وقت نضيعه إما أن نقفز

في البحر أو يمسك بنا خفر السواحل ونرجع أدراجنا خائبين الرجاء، فلا خيار أمامنا؟

- فأخبره علي قائلاً: إن الموقف حقًا صعب، والرجوع أصبح مسألة مستحيلة، وأن عليهما إتمام المغامرة للنهاية وليكن ما يكون.

- وقفزا الاثنان في البحر مع الباقين، فقامت بعضًا من عناصر خفر السواحل بإطلاق النيران في الهواء باتجاه من قفل؛ لكي يعودوا للمركب مرة أخرى وبالفعل استجاب الكثيرين لذلك، ولكن كان من بين الذين لم يستجيبوا أو يخشوا إطلاق الرصاص من حولهم كل من علي ومهدي، فخفر السواحل لا يقصدون من إطلاق الرصاص وقتها سوا تخوفيهم وتحذيرهم بهدف إيقافهم فقط؛ كي يعودون للمركب دون التعرض لهم بأي أذي، ولكن للأسف فقد أخطأ أحد الأعيرة النارية حين أصاب ذراع مهدي، ولعله كان الشخص الوحيد الذي تعرض للإصابة وقتها، فلاحظ علي ذلك وحينما اقترب منه علي؛ لكي يساعده طلب مهدي منه الذهاب بدونه وألا يكترث لأمره، فرفض التخلي عنه تحت أي ظرف وأيًا كانت النتائج، وقال له: إما أن نعبر سويًا وإما أن يأخذنا البحر معًا

- فرد عليه مهدي قائلاً له: إن الأمر في غاية الصعوبة فالمسافة بعيدة للشاطئ وأنه هالك لا محالة، فلا فائدة في ذلك.

- فأبي علي أن يسبح بدونه، ولكن كان للبحر والموج رأى آخر، فحال بينهما وبعدا عن بعضهما البعض حتى فقد علي مهدي في البحر وسط تلك الأمواج المتلاطمة وأصبح حزينًا جدًا ومتألمًا بشدة لما حدث، ولكن وقتها لم يكن أمامه إلا خيار واحد وهو أن يسبح على أمل

أن يجد من ينقذه من الغرق، فأصبح في حالة صراع مع البحر، فهو ضعيف في السباحة من ناحية كما أن المسافة بعيدة جدًا، فأصبح حاله هكذا حتى أاقترب يخت صغير كان مارًا بالقرب منه ولاحظه وهو يصارع الموج من بعيد وبه شخص كبير في السن أشار إليه بأن يقترب منه واقترب اليخت أكثر منه، ثم صعد علي عليه وبدا علي وجهه الأمل وخاطبه ذلك الشخص بلغته الايطالية، فلم يفهم منه شيء، فبدا يخاطبه بالإنجليزية وكان علي يجيدها بشكل جيد نوعًا ما من خلال دراسته وبعض الدورات التي تلقاها فيها، فسأله وهو ملقي على الأرض من التعب: ماذا حل بك؟

- فأخبره قائلاً: أنني أحد المهاجرين، وقد خرج علينا حرس السواحل، وطلبوا توقف المركب، ولكن أنا ومن معي قفزنا بالبحر حتى صار حالي كما ترى منهك من شدة السباحة التي لا أجيدها وكدت أغرق لولا....، ثم سمع صوت صفارة خفر السواحل، فإذا بأحد الضباط يقترب منهما فما كان من هذا الرجل إلا أن أعطي علي مسدسا بيده وطلب منه أن يطلق النار علي هذا الضابط، فارتعد علي بشدة من ذلك، فهو لأول مرة في حياته يمسك مسدسًا بيده ويطلب منه ذلك، فرفض بشدة وقال له: لماذا أفعل ذلك؟ فأنا لا أعرف ماذا يريد مني؛ لكي أطلق عليه الرصاص؟

- فأجابه قائلاً: إن لم تفعل أنت ذلك فسوف يفعل بك هو ذلك وسوف تنقضي أحلامك، فأنت الآن على بعد مسافة بسيطة جدًا منها، فبضغطك على الزناد سوف تبدأ أحلامك في التحقق، هيا افعلها، فأنت قادر عليها.

- فرد علي الذي لا يفهم كل الألفاظ، ولكنه فهم ما يقصده من كلامه: ولكنه يؤدي عمله وأنا مخالف، فضغط عليه هذا الشخص بشدة وذكره بأحلامه التي قد تذهب هباءً؛ بسبب موقفه هذا، فدار في ذهن علي العديد من الأفكار في تلك اللحظة، فتذكر أهله وحالهم وتذكر ما مر به خلال تلك المغامرة وبينما هو يفكر هكذا وصار عقله غائبًا ومشوشًا بشدة وقتها ومع الضغط الذي يتعرض له وبينما ترتجف يداه وهو يحمل المسدس إذا برصاصة تخرج منه وتصيب الضابط وترديه قتيلاً.

- فقال هذا الشخص وقتها لعلي مثنيًا عليه: يا لك من فتي شجاع وفعلت الصواب.

- ولكن صار علي في حالة من الهلع والفزع من هذا التصرف الأهوج الذي قام به ويقول: ماذا فعلت؟ ويكررها أكثر من مرة ويقول: أنا لم أكن أقصد ذلك، لقد كنت خارج وعي، ماذا يحدث لي؟ وما الذي أوصلني إلي ذلك؟ ثم بدأ يرتجف بشدة وبدا عليه الخوف الشديد لما فعل، فلم يدر بمخيلته أبدًا أن يكون في مثل هذا الموقف.

- وقال هذا الشخص مخاطبًا إياه: هون علي نفسك يا صديقي، فلم يكن هناك خيار ثاني أمامك، إما أن تقضي عليه في سبيل أحلامك، أو يقضي هو عليك، أو حتى يقبض عليك وتنقضي أحلامك تمامًا، وأخذ المسدس من يده وقام بلفه بمنديل ووضعه في كيس وقال له: أنه سيرميه بالبحر حتى لا تكون أدلة عليه وأن لا أحد يعلم ذلك سوى أنت وأنا، فمقتل ضابط يؤدي مهمته يمكن أن يعرضك للمسائلة القانونية التي ربما تصل لعقوبة قاسية للغاية. فقال علي وهو يضع يده على رأسه:

ياويلاه! لقد تحولت إلي مجرم بين لحظة وأخرى وأصبح هناك قتيل لو علمت أن كل ذلك سيحدث لي لما فكرت في الرحيل أبدًا، ولكن هكذا شاء القدر.

- فرد عليه الشخص قائلاً: اطمئن، فلن يعلم أحد أبدًا بما حدث، وتذكر دائمًا أن ما فعلته هو الصحيح وأن أي واحد مكانك سوف يفعل ذلك.

- فأصبح علي مستغربًا ومندهشًا بشدة من هذا الشخص المريب الذي لا يعرف لما يتصرف معه هكذا ولا يملك الوقت والظروف؛ لكي يعرف ويحلل تصرفاته، فماذا يفعل وقد أصبح شاهد على كل ما حدث ولا خيار أمامه سوى الانصياع له، ثم تذكر كلام صديقه الذي فقده في البحر مهدي وهو يقول له:(إن هناك أمور تفرض علينا لا مجال لنا فيها للاختيار).

ثم بدأ هذا الشخص بالتعرف عليه بعدما أحضر له كوبًا دافئًا من القهوة وبعض الحلوى ليتناولها، فدار بينهم حوار مستخدمين فيه مفردات اللغة الإنجليزية التي يسوء فيها فهم بعض الألفاظ؛ نظرًا لاختلاف اللهجات والخدمات، ولكن المعني يصل للطرف الآخر في النهاية، فتعرف هذا الشخص على علي ثم عرفه بنفسه قائلاً:

_ أدعي ماركو فيتوريو، يبدو لي أنك عربي من أي البلاد قدمت؟

- أنا مصري.

- مصري! إن مصر أم الدنيا وإنها أرض حضارة ولديكم أعظم حضارة في التاريخ، لقد زرتها مرات عديدة قبل ذلك، ولكن أخبرني ما الذي دفع بك إلي كل هذا؟

- إنها الظروف الصعبة التي يعاني منها الكثيرين ببلدي.

- وأية ظروف صعبة تجعلك تتعرض للمخاطرة الكبيرة تلك وتغامر بحياتك؟

- إن الظروف تختلف من شخص لأخر، فأنا مثلاً رهنت منزلي، وبعت أرضي، وتركت أسرتي تعاني من ضيق شديد في العيش من أجل تلك الرحلة.

- فبدا على ماركو التأثر مما قاله، وقال:

- كم أنا حزين لسماع ذلك منك، ولكن يبدو لي ومن إجادتك المقبولة للغة الإنجليزية أنك إنسان متعلم أليس كذلك؟

- بلي، فأنا جامعي، وتخرجت من كلية الطب، وحصلت على المرتبة الأولى فيها، ولكني لم أحصل علي حقي في التعيين بالكلية وحدثت لي مشاكل كبيرة؛ بسبب ذلك أدت إلى ما أنا فيه الآن.

- ولكن كيف تفقد حقك في التعيين رغم أنك الأحق بذلك؟

- تستطيع أن تقول إنه بعضًا من الظلم والطبقية التي نعاني منها وهذا فضلاً عن الفساد وسوء الإدارة، إنه موضوع كبير ومتشعب وله أبعاد كثيرة وقد يطول شرحه.

- عليك ألا تقلق يا صديقي، فمن الآن وصاعدًا قد انفتحت لك دنيا جديدة وعالم جديد ستنسى من خلاله كل ما عانيته في ماضيك الأليم وتحقق فيه أكثر بكثير مما تطمح، فأنت الآن مع ماركو.

- فاستغرب علي من كلامه بشدة، وقال:

- ماذا تعني بهذا الكلام؟ وكيف يمكنني أن أحقق أكثر مما أريد؟ أتسخر مني أما تعلم الآن ما المصيبة التي أنا بها، فأنا أصبحت مدانًا؛ لأني

مهاجر غير شرعي وأطلقت النار على أحد الضباط، فصرت مطلوب أمنيًا، إذا كيف يمكنني أن أحقق أكثر مما أريد وما وجه استفادتك من ذلك؟

- بالنسبة لكيفية تحقيق ذلك، فأنا لديَّ الكثير من الأعمال الحرة التي يمكنني أن أستعين بك فيها أما عن وجه استفادتي من ذلك، فأنا أري فيك الشخص الطموح، والذكاء الشديد، والقدرة على التحمل، والصبر، فصدقني أنا لي نظرة كبيرة في البشر ويمكنني أن أضع كل شخص في حجمه الطبيعي من أول حوار معه، فكيف بعد كل هذا ألا أستفيد من وجودك معي، كما أني أحب أن أساعد من هم مثلك ولديهم ظروف صعبة وتذكر دائمًا يا صديقي أننا لا يمكننا أبدًا أن نفترق عن بعضنا، فمصيرك أصبح مرتبط بي أليس كذلك؟

- فحدق فيه بعينه قبل أن يقول :

- فعلاً صار مرتبطًا بك.

وظل يفكر لبعض الوقت في أمر ذلك الشخص، فهو يشعر بريبة تجاهه كما أن جزء كبير من كلامه غير مقنع وغير مفهوم، ولكنه لا يمكنه على أي حال أن يفارقه.

- فيما تفكر يا صديقي؟ لقد أصبحنا أصدقاء، فافتح قلبك وعقلك لي إن كنت تعتبرني صديقًا لك بالفعل.

- بالفعل، فأنت أصبحت صديقًا لي، فيكفي ما فعلته معي، ولكن عقلي ذهب نحو التفكير في أهلي وأسرتي وعن أحوالهم الآن.

- لا تقلق عليهم وانتبه فقط إلى نفسك، فأنت مقبل علي حياة جديدة وها هو المستقبل والنجاح يمد يده إليك، فعليك ألا تفوت الفرصة على نفسك، فأنت أهل لها.

- أيمكنك أن تخبرني أين نحن الآن؟

- تقطع كل تلك الرحلة ولا تعلم أين أنت؟ نحن علي مشارف جزيرة صقلية وبالتحديد مدينة باليرمو .

- وكيف يمكنني أن أدخل إليها، فأخشى أن أتعرض إلى شيء من الشرطة، فأنا مهاجر غير شرعي ولا أدري كيف سيتصرفون معي؟

- لا تقلق يا فتى، فنحن لدينا طرق كثيرة لذلك ولما هو أكثر منه.

- فبدا علي متسائلاً، وقال

- نحن! ومن أنتم؟

- نحن فريق عمل واحد وسوف تتعرف على أفراد الفريق حين نصل؛ لأنك من الآن أصبحت عضوًا فيه، فعليك ألا تستعجل فسوف تعرف كل شيء فيما بعد، ها نحن قد اقتربنا من المرسى، فجهز نفسك؛ لكي تطأ قدمك لأول مرة على اليابسة الإيطالية متوجهًا نحو تحقيق طموحك وأهدافك التي غامرت سعيًا لأجلها، ثم قام ماركو ببعض الاتصالات الهاتفية عبر الهاتف الخلوي، وكان يبدو عليه أنه يشير في كل مكالمته إلي الضيف الجديد علي، وكان علي ينظر إلي ذلك ولا يحرك ساكنًا، فعليه الآن فقط الاستماع والتزام التعليمات وبعد نصف ساعة تقريبًا نزلا الاثنان من اليخت وكان ماركو يحمل حقيبة بيده وساروا علي أحد الطرق، فإذ بسيارة فخمة سوداء بانتظارهما وكان أحد الحرس قد قام بفتح الباب لهما، فأشار ماركو لعلى بالركوب فشعر علي وقتها بمدى أهمية هذا الشخص، وأنه ليس بشخص عادي، وأنه فعلاً مقبل على عالم جديد، فلابد أن يكون حذرًا في كل تصرفاته، فهو لا يعلم ماهية هذا العالم وماذا يخبأ له القدر؟ ثم صارت السيارة حوالي أربعونَ دقيقة وكان

الوقت في وسط النهار حتى وصلت إلى وسط المدينة، ثم دخلت من خلال أحد الطرق وواصلت سيرها حتى دخلت في ضاحية بعيدة نوعًا ما عن وسط المدينة وعن مركزها، ثم دخلت بهما السيارة من خلال طريق مداه قرابة (2 كيلو متر) وكان يؤدي في نهايته إلي قصر كبير جدًا وسط عدد من المرتفعات القريبة منه والتي تشكل حاجز دفاعي وأمني له، ويقبع في عزلة على ضفاف البحر، ويبدو عليه الفخامة والرقي الشديدين، وتعدد الأبنية بداخله، فضلاً عن سعته الكبيرة للغاية، وما لفت نظره أنه يتواجد به وحوله العديد من الحرس المسلحين، فظن أن بالأمر شيء، فبدا عليه القلق قليلاً، فشعر ماركو بذلك وهو بجواره وقال له؛ ليطمئنه: لا تقلق هكذا علي منهم، فهم مجرد حرس ليس إلا.

- وترجلا الإثنين من السيارة، فأقبل بعض الحرس عليهم وأخذوا الحقيبة من ماركو، ثم دخلوا إلى القصر فسأل ماركو علي وقال له وهو يحدق بالقصر المنيف، المهيب العالي، ذو الطلة الرهيبة، والطابع المعماري المميز، والذي يعجز عقله عن استيعاب تصميمه الرائع، وتفاصيله العديدة والمعقدة وحفظها بذاكرته التي بالتأكيد رأت غيره قبل ذلك ببلده، ولكن يبدو أن المنظر جذاب وملفت للغاية؛ ليستدعي منه كل هذا التركيز رغم ما يمر به: ما رأيك في بيتك الجديد؟

- فرد علي باندهاش، وقال: هذا القصر بيتي الجديد؟!

- فأجابه ماركو: نعم، بيتك الجديد، فأنت سوف تمكث معي في ذلك القصر، ألديك مانع في ذلك؟

فرد عليه: ليس لدي مانع، وكان علي قد ظهر عليه التعب والإرهاق الشديدين من جراء الأحداث التي تعرض لها، فهو لم ينم من قرابة

اليومين، وقد لاحظ ماركو ذلك عليه، فطلب احدى الموظفات داخل القصر وتدعي إيزابيلا بوسكونو، تبدو في نهاية الأربعينات من العمر، ليست بالجمال الصارخ ولا حتى المثالي، فهي تبدو عادية جدًا، ولكنها بالتأكيد ليست قبيحة، وهي امرأة طويلة، لديها وجه مربع، ذو جبهة وفك واسعين، وعيون بنية ضيقة، وأنف كبير لحد ما، ولديها حاجبين رفيعين، مستقيمين، وشعر أسود ناعم ذو قصة قصيرة، ولديها شفاه علوية وسفلية رفيعة، وقوامها من ناحية البطن والأرجل يتسم بالامتلاء، تبدو من تعبيرات وجهها أنها عملية، ولديها حدس واضح، وتتسم بالذكاء، والحضور الذهني، وخاطبها بالإيطالية بشكل جانبي، ثم قال له: عليك أن تذهب معها إلى غرفتك، فأنت يبدو عليك التعب الشديد وعليك قبلها تناول وجبة الغذاء، وتأخذ حمامك، ثم تخلد بعدها لنوم عميق، وأنصحك وقتها ألا تستيقظ إلا بعد أن تكون قد أشبعت كامل رغبتك من الراحة والنوم العميق؛ لأن لدينا أعمال كثيرة لننجزها فيما بعد.

- وذهب بالفعل معها إلى غرفته داخل القصر ودخل إلى الغرفة وأغلق الباب على نفسه بعد أن شكرها، ثم نظر حوله فلم يصدق ما يرى فلم يدر بعقله أن يجلس بغرفة كهذه من قبل وأن ينام على فرش كهذا، وبينما هو يفكر قليلاً إذا بأحد يطرق الباب عليه طرقًا خفيفًا، ففتح الباب، فإذا به يجد أحد الخدم وقد أتى له بوجبة الغداء حتى باب غرفته، فدخل ووضعها على منضدة الطعام داخل الغرفة، ثم انصرف، وكان على يرى كل هذا وهو في غاية الحيرة من أمره، فمنذ ساعتين أو أكثر

كان يُصارع الأمواج وقد أوشك على الموت، ولكن ها هو الآن يجلس في غرفة فخمة كهذه وفي قصر متسع كبير كالذي يمكث فيه، فأصبح حقًا لا يدري، أهذا واقعي وحقيقي أم أن خياله صور له كل هذا؟ فهو حتى تلك اللحظة لم يستوعب حجم ما حدث خلال تلك الساعات القليلة والذي تأكد أنه حتمًا سيحتاج لمزيد من الوقت؛ ليستوعبه ويفهم ملابساته، ثم جلس علي السرير ووضع رأسه على الوسادة مفكرًا فيما يدور حوله والأحداث التي مر ولا زال يمر بها وبمجرد أن وضع رأسه على وسادته حتى ذهبت عيناه في نوم عميق وما أن نام حتى طاردته الأحلام والكوابيس، فلم تغب أبدًا عن ذهنه حتى في منامه تلك الصور والأهوال التي عاشها في طريقه منذ أن غادر بيته بمصر وخاصة تلك الصورة التي أطلق فيها الرصاص على أحد رجال حرس السواحل وهو في مهمته، وكان يحلم بأن هناك طرقًا شديدًا على الباب أثناء نومه، فقام مفزوعًا فإذا بالشرطة الإيطالية فوق رأسه شاهرين مسدساتهم نحوه ومخاطبين إياه بلهجة حادة: انهض أيها الفتى، فأنت مهاجر غير شرعي وليس لديك أوراق ثبوتية لهويتك، كما أنك أطلقت النار على أحد الضباط أثناء تأدية مهامه، فإن مصيرك إلى السجن وربما الإعدام.

- وكان يرد عليهم قائلاً: أنا لم أكن أقصد قتله، فقد ضغطت على الزناد من دون قصد، صدقوني، أنا لم أكن أقصد ذلك، صدقوني، فأنا لم أمسك مسدسًا بيدي طيلة حياتي.

- وكانوا يردون عليه: عليك فقط أن تقول ذلك في المحكمة وهي التي ستقرر مصيرك، وأخذوه بعدها بالقوة.

- ففزع من نومه فزعًا شديدًا وعلم أن ذلك كان كابوسًا يطارده طيلة نومه، واستيقظ وكان صباح اليوم الثاني قد حل، فقام علي من نومه بعدما أشبع رغبته في النوم، ولكنه بات لا يعلم الوقت أو الأيام وذلك بسبب الأحداث الجسيمة التي تعرض لها خلال الفترة السابقة ولا يعلم حتى عدد الساعات التي نامها، فنهض من سريره متوجهًا نحو الحمام؛ كي يتحمم ويغير ملابسه البالية والمتهالكة بالطبع من أثر العناء والشقاء الذي رأه في رحلته العصيبة، وكان الحمام بجناحه ووجد دولاب ملابس داخل الجناح وقد كان مترددًا في فتحه، ولكنه تذكر كلمات ماركو أن عليه أن يتصرف بحرية تامة، وفتح الدولاب فوجد فيه ملابس كثيرة جدًا ومتنوعة، ولكن هذا لم يلفت انتباهه فما لفت انتباهه هو أن جميع الملابس التي بحث فيها عن شيء يناسبه كلها تحمل مقاسه ويبدو عليها أنها جديدة وكأنها مشتراه خصيصًا له، فدار في نفسه سؤال: كيف عرفوا مقاسي ومتى اشتروا كل تلك الملابس؟ فلا يمكن أن يدخل أحد عليَّ وأنا نائم ويضع ويرتب تلك الملابس بهذه الطريقة دون أن أشعر به، فتيقن أن الأمر تم قبل حتى وصوله القصر، فسأل نفسه لماذا هذا الشخص وهؤلاء الناس يعاملونني بتلك الطريقة؟ وما فائدتهم مني؟ فهم لا يعرفون عني شيء، فهل هذا من قبيل الكرم، أم أن ورائه غرض آخر لا أعلمه؟ وبعدها صرف تلك الأفكار والأسئلة عن عقله، فهو أصبح مجبر وليس مخير في الأمر كما أن هذا الوضع أفضل بكثير من أن يصبح مشردًا بالشوارع بحثًا عن مكان يؤويه أو حتى ربما يجد من خلال شخص كماركو عملاً يناسبه، فيتحقق له كل ما أراده من دون أن يشقي أو يبذل مجهود كبير للوصول له، وأخذ من الملابس ما يناسبه وأخذ حمامه وغير

ملابسه، ولكنه تذكر أنه لم يصلي أي فرض من أيام، فهم ليصلي، ولكنه لا يعرف التوقيت أو حتى اتجاه القبلة، فقرر أن يخرج من غرفته ليسأل أحدًا عنهما وما أن خرج حتى وجد شخصان بالردهة، فخاطبهما فلم يستطيعوا فهمه أو يستطيع هو فهمهما، فأشارا له؛ لكي يذهب باتجاه غرفة في بهو القصر الشاسع، والواسع، والمزخرف بطريقة مميزة للغاية والذي يحتوي على تحف ثمينة ونادرة جدًا في كافة أركانه بعضها مطلي بالذهب والفضة وأخر من الأحجار الكريمة، فضلاً عن الكريستالات الباهظة والراقية للغاية التي تتدلي من سقفه المرتفع، إضافة إلى العديد من اللوحات التي تبدو أصلية والمعلقة على حوائطه بشكل بديع ومهيب، فدخل تلك الغرفة فوجد فيها تلك السيدة التي أوصلته إلى غرفته جالسة على مكتبها، فخاطبها بالعربية في البداية، فلم تفهم ما بقصد، ثم خاطبها بالإنجليزية التي تجيدها هي الأخرى، فردت عليه قائلة: إننا الآن بعد الساعة الثالثة ظهرًا، ولكنني لا أعرف ماهي القبلة التي تقصدها وكيفية تحديدها، وفي هذه الأثناء دخل عليهما ماركو قائلاً:

- مساء الخير يا صديقي، يبدو لي أنك أفضل حالاً من الأمس، فهل أشبعت رغبتك من النوم والراحة؟

- نعم، ولكن فقدت الوقت والأيام، فلم أعد أعلم شيء أو حتى عدد الساعات التي نمتها.

- لقد نمت يا صديقي قرابة العشرين ساعة.

- فبدا مصدومًا من هذا الكم الهائل من الساعات وقال :

- **20** ساعة! أنا لم أنم في حياتي كل تلك المدة متصلة، كيف مر علي كل هذا الوقت وأنا نائم ولم أشعر به وكأنها ثلاثة أو أربعة ساعات؟!

- هذا طبيعي جدًا، فأنت أتيت من رحلة في منتهي الشقاء، والتعب، والمغامرة، فكان لا بد لجسدك من الراحة التامة.

- ولكن أخبرني كيف يمكنني أن أحدد اتجاه القبلة هنا؟ حتى يمكنني أن أصلي، فأنا لم أصلي من وقت طويل.

- فبدا مستغربًا هو الأخر ما يقوله ولم يفهم ما يقصده متسائلاً:

- أية قبلة وأية صلاة تقصد بكلامك؟ وكيف يمكنني أن أساعدك؟

- فرد قائلاً بعد أن تفهم أن هؤلاء لا يعرفون ما يقصده من سؤاله:

- أنا شخص مسلم وأقوم بصلاتي خمس مرات يوميًا.

- يا صديقي نحن في مجتمع حر ولا نحجر على أحد في معتقده الديني، فلا يعنينا أي معتقد يتبع أو حتى لا يعتقد، فهذا أمر يخصه وحده ومع ذلك فسوف نخصص لك مكان يمكنك من خلاله أداء شعائرك وطقوسك الدينية، ولكن الآن أخبرني هل أشبعت رغبة معدتك من الطعام كما أشبعت رغبة جسدك من النوم؟

- لا، لم أتناول أي طعام حتى الآن.

- فنظر ماركو لإيزابيلا الواقفة بالقرب منهما وعنفها قائلاً:

- ألم تحضروا له أية طعام من الأمس؟

- بالطبع سيد ماركو أحضرنا لغرفته وجبة بالأمس، ولكن لا نعلم هل تناولها أم لا؟

- نعم، لقد أحضروا طعامًا لي بالغرفة، ولكن بمجرد أن دخلت الغرفة وأضجعت قليلاً على السرير حتى غابت عيني في نوم عميق ولم استيقظ إلا منذ ساعة تقريبًا، كما أن كثرت التفكير ألهتني عن الطعام.

- إذن يا عزيزي تلك إذن فرصة؛ لكي نتناول طعام الغداء سويًا وفي نفس الوقت أعرفك بأعضاء أسرتنا التي أصبحت عضوًا فيها واللذين سوف نتعامل معهم كثيرًا لاحقًا.

- أشكرك على هذا الكرم.

- عليك أن تخبري الطهاة؛ كي يجهزوا الطعام لنا خلال نصف ساعة من الآن وعليك أن تخبري الجميع؛ كي يحضر.

- أمرك يا سيدي.

- هيا بنا يا صديقي نستغل هذا الوقت حتى يحضروا الطعام؛ لكي نتجول قليلاً بالمكان الذي سوف تمكث وتعمل به.

- فتعجب من كلامه قائلاً

- أعمل وأمكث به في آن واحد!

- نعم، فهذا القصر كبير جدًا، وبه أبنية متعددة، وما أنت به الآن هو مكان إقامتنا الرئيسي لكل منا جناحه الخاص به وأود الآن أن أعرفك بتلك الأبنية الإدارية لنا والتي من خلالها ندير أعمالنا بالداخل والخارج.

- أفهم من ذلك أن لكم أعمال داخل ايطاليا وخارجها.

- بالطبع، فنحن مؤسسة عملاقة ولا تستعجل في معرفة ذلك، فسوف تعرف كل شيء في أوانه ووقته، والآن هيا بنا؛ كي لا نضيع الوقت في الكلام، ثم خرجا الاثنان وخلال تجوالهما بحديقة القصر قال له ماركو: الرجل المسن متوسط الطول، وممتلئ الجسد والذي واضح من النظر له بأنه قد ناهز السبعين من العمر، فها هو الشيب يضرب بشعره المشذوب والممشط بفرق جانبي الذي لم يترك له سوي القليل من الخصلات السوداء، وهو رجل طويل الوجه، ذو لون بشرة متوسط

البياض، لديه جبين عريض، وأذن كبيرة، وأنف متوسط، وعينان غائرتان إلى حد ما، يتضح على جبهته خطوط التجاعيد التي تعبر عن كبر السن، ويبدو من طلته وهيئته بأنه رجل جاد، ومثابر للغاية، وعصامي، ويتمتع بحكمة كبيرة، ومعرفة بمدارك الحياة ودروبها.

- الآن أنت في حديقة القصر الكبيرة والتي تغطي أغلب مساحة القصر تقريبًا والتي يمكنك أن تستمتع بها في أي وقت تشاء، كما يوجد بالقصر مسبح كبير كما تراه هناك، ويوجد لدينا قسمين، قسم سكني وأخر إداري، ثم أشار بيده من بعيد، هذا الأول على يمينك ذي الخمس طوابق هو المبني الرئيسي للإدارة، ندير من خلاله أعمالنا بالداخل والخارج ونعقد به اجتماعاتنا الدورية لمتابعة أخر النتائج لأعمالنا، والمبني الذي بجانبه هو مبني التدريب والتنمية والذي تعقد من خلاله دورات التدريب والتنمية لكافة منسوبينا وستقوم إيزابيلا في وقت لاحق باطلاعك على المزيد من التفاصيل على كافة المباني ومراكز الخدمة بالقصر؛ لتكون على إطلاع بكل شيء حتى يتسنى لك التحرك بحرية كأي فرد أخر متواجد هنا، وبعد انتهاء تجوالهما عادا للقصر واتجه علي بصحبة ماركو نحو غرفة الطعام الرئيسية وكانت مقسمة إلي حجرتين، حجرة كبيرة بها أماكن للجلوس قبل وبعد تناول الطعام، وحجرة أخري لطاولة الطعام، فدخلا الحجرة الأولى المخصصة للجلوس والتي تحتوي على أثاث مترف في غاية الفخامة واليقين، يبدو أنه باهظ الثمن خطف بصر صديقنا متأملاً به، وبجماله، ورونقه، وتناسقه، وتألقه الواضح، وكان بها عدد من الأشخاص لم يرى أحد منهم من قبل، وكان عددهم خمسة رجال وامرأة هذا بخلاف إيزابيلا، ثم بدأ ماركو يعرفه بهم جميعًا

الأول هذا مارسيلو ريكاردو، منسق العلاقات الداخلية والمسئول عن إدارة العمليات بالداخل ومتابعتها، أما الثاني، فهو بيترو انزو مسئول التدريب، والتنمية، والتأهيل وسوف تتعامل معه كثيرًا في الفترة القادمة، أما الثالث الوسيم هذا ألبيرتو ماركيتي مسئول العلاقات الخارجية والمسئول عن إدارة العمليات بالخارج وهو يتحدث ثمان لغات، أما الخامس هذا فهو جيوفاني فانتوني رجل المهام الصعبة والخاصة لدي ويعتبر المسئول الإداري الثاني بعدي، أي كما تقولون بمصر ذراعي الأيمن، أما تلك الفتاة العشرينية الجميلة والتي لا تترك السيجارة من يدها لحظة واحدة، فهي قطتنا الصغيرة سيرينا أماليو مسئولة عن إعداد الحسابات والتقارير الخاصة بالمجموعة سواء بالداخل أو الخارج وكذلك عن كافة النواحي المالية المتعلقة بالمجموعة، ولكل منهم فريق العمل الخاص به والمسؤول عنه، أما الأخيرة هذه، فأظن أنك رأيتها كثيرًا، ولكنك لا تعرف مهامها بالتحديد، فهي مسئولة عن القصر والإقامة داخله، كما أنها بما لديها من خبرة تعمل كمستشارة خاصة للمجموعة وتقوم بالتحضير لكافة الاجتماعات ولديها ثلاثة لغات، هذا فضلاً عن عملها كسكرتيرة خاصة لي، ثم عرفهم به وقال في بداية حديثه موجهًا كلامه للجميع بما فيهم علي نفسه، لعلكم جميعًا على دراية بدرجة ما باللغة الإنجليزية وكذلك علي وإن كان هناك فارق في اللهجة أو سوء فهم لبعض الكلمات أو عدم القدرة على التعبير عنها بالألفاظ التي تناسبها، ولكن لابأس، ففي النهاية المعنى يصل لي وله، لذا أحبذ أن يتم التواصل بينكم وبينه بها رغم علمي بصعوبة ذلك على البعض منكم والذي تعلمها، ولكنه لم يستخدمها كثيرًا في عمله أو حياته الشخصية،

ولكن كما قلت فالأهم أن يصل المعني المراد سواء لكم أو له على الأقل في البداية؛ حتى نحل مشكلة اللغة والتواصل بيننا وبينه وتصبح أكثر سهولة ومع ذلك فأنا شخصيًا لم أجد معاناة كبيرة في فهمه كما أظن أنه لم يعاني أيضًا في فهمي، أليس كذلك علي؟

بالتأكيد، فالمعني يصل لي في النهاية حتي مع سوء فهم بعض المفردات والعبارات

كما يتعين عليكم أن تقوموا على معاملته معاملة تليق به وبمكانته وأن تلبوا كل رغباته وتجيبوه على كافة استفساراته؛ لأنه أصبح جزءًا منكم وأخ لكم، كما أن أمره يهمني بصفة شخصية فلا أود أن أسمع أن أحد سواء أنتم أو غيركم تسبب له بشيء من الضيق أو الإزعاج، فهذا قطعا لن أقبله أو أتهاون فيه، حينها شعر علي بمدى أهميته التي يجهل سببها بالنسبة لماركو، ثم طلب ماركو من الجميع التوجه نحو حجرة الطعام؛ لكي يتناولون الطعام ودخلوا الحجرة، فجلس ماركو على رأس الطاولة، ثم أشار إلى علي؛ لكي يجلس بجانبه من اليمين، ثم طلب من الجميع الجلوس كلٌ في مكانه، فجلسوا وبدئوا يتناولون الطعام وقد كانت أمامه وليمة كبيرة متنوعة الأصناف التي لا يعرف أغلبها، وكان علي في غاية التعجب، فهو لم يجلس طوال حياته على مائدة بهذا الشكل والتنوع أو حتى في غرفة طعام فخمة كهذه وأمامه هذا الكم الهائل من الطعام الذي لم يتناول منه سوى الخضروات، والأرز والمعكرونة بأنواعها، وفضلاً عن المقبلات؛ نظرًا لحالة الشك التي تراوده في مدى مشروعية تناول لحوم الطيور والحيوانات التي يظن أنها لم تذبح وفقًا للشريعة الإسلامية، فحين شعر ماركو بأنه لم يتناول شيئًا من اللحوم أو الدجاج، سأله عن ذلك قائلاً:

هل طريقة طهو الدجاج واللحم لا تعجبك لهذه الدرجة، أم أنك إنسان نباتي؟

فرد بشيء من الخجل:

في الحقيقة لا هذا ولا ذاك سيد ماركو، ولكن فقط.

فقط ماذا؟ حتى يمكنني أن أساعدك؟

كما أخبرتك سابقًا، فأنا شخص مسلم ولدينا طقوس معينة في ذبح الطيور والحيوانات.

فهز ماركو رأسه قائلاً:

نعم، فهمتك، حسنًا لابأس هذه المرة وسأوصيهم هنا بأن يوفرون لك كل ما قد تحتاجه ويناسبك.

أخشى أن أكون إنسانًا ثقيل عليكم.

لا تقلق من هذه الجهة، فهذا يعد أمر بسيط للغاية بالنسبة لنا، ثم عاد وتناول الطعام ولم يلفت نظره على طاولة الطعام سوى تلك النظرات التي يتم تمريرها من حين لآخر من ذلك الشخص العبوس الوجه والقاسي الملامح الجالس في مواجهته وهو جيوفاني والتي بدا فيها نوعًا من التحديق الشديد له والتي تنطوي على نوع من الريبة والشك، ولكن الأهم أنها لم تكون نظرات ودودة أبدًا ولا مجرد نظرات عابرة والتي أثارت قلقًا فوق القلق لدى علي، فيكفيه ما يمر به من مفاجآت، فلا يريد أن يكتسب أعداء أو خصوم هنا بهذا القصر وفي بداية مشواره خاصة أنه جاهل تمامًا بهذا العالم وبما سوف يقبل عليه، ثم أكمل الجميع الطعام الذي لم يخلو أيضًا من النبيذ الذي لم يقترب منه هو الآخر طوال تناوله للطعام، ثم نهضوا لاحتساء القهوة والشاي، وبعدها طلب ماركو من

الجميع المغادرة ما عدا علي، وإيزابيلا، وبيترو، ثم قال ماركو لبيترو باللغة الإنجليزية التي يجيدها هو الأخر: عليك أن تبدأ من الآن وصاعدًا أن تجهز وتعد لدورات مكثفة لعلي، أريده خلال مدة مناسبة أن يكون تم إعداده بشكل جيد؛ ليبدأ العمل رسميًا معنا، فعليك أن تعلمه الإيطالية خلال تلك المدة من خلال دورات مكثفة، وكذلك إعطاءه دورات أخرى في باقي الأمور الخاصة بالعمل.

فرد الكهل الثلاثيتني الذي يميل للطول، ذو الشعر البني، متوسط، وناعم، وممشط بطريقة عادية، وأنف متوسط قصير، ولديه بشرة فاتحة، وعيون سوداء، ويتمتع ببنية رياضية، ويبدو من وجهه أنه منطقي، ومفكر، ومتعقل، يوجد بعض الندوب برقبته والتي تبدو قديمة وكأنها تعود لحادث ما تعرض له خلال فترة من حياته.

- أنا على أتم استعداد لذلك، فهذا عملي وأنا أجيده جيدًا، ولكن التحدي يمكن فيه هو ذاته، فهل هو على استعداد لذلك؟

- هل سمعت ما قاله بيترو؟

- فرد قائلاً وقد بدا عليه بعض الارتياح:

- نعم، أنا على أتم استعداد، ولكن ما هي طبيعة هذه الدورات؟ وما أهمية تعلم الايطالية؟

- إنها دورات إدارية في مجال عملنا وسوف يقوم بيترو فيما بعد بشرحها تفصيليا لك، أما بالنسبة لأهمية تعلم الإيطالية، فكما قلنا قبل تناول الطعام أن يتعين علينا حل تلك المشكلة ونجعلها كأولوية في التدريب وذلك يقتضي بالطبع تعلم الإيطالية تحديدًا؛ لأنها لغتنا ولغة

أهل هذه البلاد وحتى يتسنى لك التعامل والتواصل مع الناس بسهولة ويسر سواء داخل العمل أو خارجه، أليس هذا صحيح؟

- فرد علي:
- بالطبع وأنا أحبذ ذلك، ولكن متى سوف نبدأ ذلك؟
- فقال ماركو:
- في أي وقت تراه مناسب لك أنتَ، فلا نريد الضغط عليك.
- ففكر علي للحظات قبل أن يرد:
- هل من الممكن أن نبدأ اليوم؟
- فابتسم ماركو قائلاً:
- يبدو عليك الحماس الشديد والإصرار وهذا يثبت أن نظرتي لم تخيب فيك، ولكن أظن أنه من الصعب البدء اليوم، ثم التفت لبيترو قائلاً: هل من الممكن غدا يا بيترو؟
- بالطبع وسوف أكون على استعداد من الغد.
- عليك يا بيترو أن توفر تقارير دورية وأسبوعية عن مستوى التقدم في الأداء، كما يتعين عليك أن تعامل علي بصفة أخوية، وألا تمارس عليه أية ضغوط في تدريبه، وأن توفر له الأجواء النفسية التي تساعده على التدريب.
- أمرك يا سيدي ويمكنك أن تطمئن من هذه الجهة، فلن أضغط عليه كثيرًا في التدريب، كما أنني سوف أوافيك بتلك التقارير عن الأداء أولاً بأول،
- والآن عليك الذهاب حتى تجهز وتعد خطة عملك من الآن للغد، فها هو الرجل يبدي حماسة كبيرة، فنريد ألا نكون أقل منه بيترو.

- فقال بيترو وهو ينهض مبتسمًا:

- قطعًا سيد ماركو سأعد الخطة المناسبة لتدريب أخينا علي وفى أسرع وقت.

- ثم غادر بيترو الحجرة وتركهم ثم أكملوا الحديث، فقال ماركو:

- عليك أن تعرفي صديقنا، وأخانا، والوافد علينا حديثًا بالقصر جيدًا حتى يمكنه التحرك بسهولة ويسر دون أية قيود، ثم تعرفيه كيفية التواصل مع طقم الطهاة داخل القصر؛ حتى يحضروا الوجبات والمشروبات التي يرغب بها والتي تتناسب مع معتقداته، كما عليك أن تجيبيه على كل استفسار له وأن تعرفيه بكل شيء، أريدك ألا تخفي عليه أية معلومة، فنحن هنا لا نخفي على بعضنا البعض وعلى أي شخص يعمل معنا أية معلومات أو بيانات، وذلك حتى تبدو الأمور واضحة كل الوضوح أمامه من البداية، ثم التفت له واستأنف قائلاً: وحتى يستطيع بعدها أن يبني قرارته وفق رؤية واضحة وليست مبهمة له، كما أن عليكِ أن تأخذيه بعد ذلك إلى مكتبك الخاص وتأخذي منه البيانات التي قد تحتاجينها منه وذلك حسب رغبته هو فقط أي، أنه إذا أراد أن يحتفظ بشيء خاص لنفسه، فعليك أن تتجاوزيه وألا تضغطي عليه، أفهمت ذلك جيدا؟

- نعم سيد ماركو سوف أنفذ ما طلبته مني تمامًا.

- سوف تتعامل من الآن وصاعدًا مع إيزابيلا، عليكَ أن تسألها أي سؤال ترغب فيه فهي سوف تجيبك عليه؛ لأنها الأكثر دراية بكل شيء وتفصيله هنا سواء خاصة بالعمل، أو المكان، أو الأشخاص حتى أكثر مني

شخصيًا، فسوف تجد كل المعلومات والإيضاحات التي ترغب فيها عندها، فهي كما قلت لك المستشارة الخاصة بالمجموعة.

- ولكن ما طبيعة البيانات التي من الممكن أن تحتاجها مني؟

- إنها فقط بعض البيانات الشخصية حتى يمكنها إعداد ملف خاص بك كباقي الأفراد الأخرين، أليس لديك رغبة في ذلك؟

- بالتأكيد لا، فالأمر بسيط، ولكنني أردت الاستفسار فقط؛ كي أكون مستعد.

- كما عليك أن تعرف القصر جيدًا، فهو كبير وبه أجنحة وطوابق عديدة وذلك حتى تتحرك فيه بسهولة، فسوف تعيش فيه الفترة القادمة.

- ولكن إذا أردت الخروج خارج القصر، فكيف يكون ذلك؟

- من الجيد أنك سألت هذا السؤال الآن، فأنت يا صديقي بالنسبة لنا شخص معلوم ونعلم ونقدر ظروفك، ولكن الناس بالخارج يجهلونك ولا يعرفون عنك شيء سواء عنك أو عن ظروفك، فخروجك وتجولك بالخارج الآن ربما يسبب لك مشاكل أنتَ في غني عنها، وأريدك ألا تفهم من كلامي هذا أننا سوف نتخلى عنك، ولكن فقط نريدك ألا تضع نفسك في مواقف صعبة لا داعي لها الآن.

- ولكن إذا رغبت في الخروج؛ لأسباب ضرورية فما العمل وقتها؟

- أحب أن أخبرك مبدئيًا بأنا لدينا كل شيء ممكن أن تحتاجه هنا، ولكن إذا كان هناك ضرورة قصوى من الخروج، فعليك فقط أن تخبر إيزابيلا بالأمر وهي سوف تدبر لك ذلك، ألديك شيئًا أو سؤال آخر الآن؟

- لا، ليس لديّ سيد ماركو.

- حسنًا علي أستأذنك في أن تنتظرنا بالخارج قليلاً، فلدي موضوع خاص بالعمل سوف أناقشه على عجالة مع إيزابيلا.

- وخرج علي وانتظرهما بالخارج، ثم أكملا كلامهما بعد خروجه.

- عليك أن تحصلي منه علي كل المعلومات التي يمكنك الحصول عليها منه سواء كانت عن نفسه، وأسرته، وأهله، وبلده، وظروفه وأصحابه، ترفقيها بملف خاص به وتخزنيها على الحاسوب، ثم تجروا له كشف طبي كامل ويرفع تقرير بذلك، ويرفق مع الملف، وكذلك الحصول على بصمة الأصابع والعين الخاصة به ويرفق تقرير بهما مع الملف، وكذلك فصيلة دمه وبعد ذلك تعرضي الملف عليَّ، كما عليك أيضًا الحصول على التقارير التي سوف يرفعها بيترو عنه وترفقيها مع ملفه.

- سوف أنفذ كل ما طلبته مني، ولكن أريد فقط أن أسألك سؤال سيد ماركو يشغلني منذ أن أحضرت هذا الشخص إلى هنا.

- هاتي ما عندك إيزابيلا.

- من هذا الشخص؟ وكيف تعرفت عليه؟ وما الثقة التي جعلتك تأتي به إلى هنا بيننا؛ لكي يطلع على أسرارنا؟

- ولو أنني لست في محل استفسار من أحد هنا على تصرفاتي مهما كانت، ولكنني مع هذا سأريحك أنتِ تحديدًا، إنه أحد المهاجرين الغير شرعيين قدم من مصر على حد قوله بعد أن أتممت تلك العملية التي اضطررت للخروج فيها بنفسي، ولكن يبدو أنه كان هناك وشاية سخيفة مسبقة، فظل يطاردني بعض رجال خفر السواحل وبقي واحد منهم يطاردني حتى وجدت هذا يُصارع مع الأمواج، فجاءتني وقتها فكرة مشروع كبير حين رأيته من بعيد ورأيت إصراره، فأركبته معي وأوهمته

أن الضابط من خفر السواحل ويلاحقه للإمساك به وأعطيته مسدسًا ، ومع الضغط عليه وقتها فضلاً عن حالة التوتر والهلع اللتين كانا عليهما، ضغط على الزناد فأرداه قتيلاً، ثم أخذت المسدس من يده وعليه بصماته ووضعته في مكان خاص، وبالتالي أصبح طوع أمري كما ترين.

- فتبسمت إيزابيلا مشيدة بما فعله.

- يالا عبقرتيك سيد ماركو وحسن استغلالك للظروف، ولكن يبقي السؤال الملح كما هو فما فائدتك وفائدتنا منه؟

- كما تعلمي جيدًا يا عزيزتي، فقد فقدنا في الفترة السابقة أحد أهم رجالنا والذي كنا نعتمد عليه في عمليات كثيرة.

- فبدت وكأنها فهمت ما يرمي له:

- أفهم من ذلك.

- فلم يدعها تكمل قائلاً:

- نعم إيزابيلا، فمنذ فقدناه ظهرت لدينا ثغرات كثيرة وكبيرة في عملنا ولم نجد الشخص الذي يمكن أن يغطي مكانه إلى الآن، فكان بالفعل محترفًا في عمله ولولا بعض التصرفات والتجاوزات التي صدرت منه؛ لما استغنيت عنه وأنهيت خدماته أبدًا، وخلال تلك المدة وأنا أبحث عن رجلاً يغطي مكانه ويكون مجهولاً لدى الأجهزة الأمنية، بل فضلت في لحظة من اللحظات أن يكون مجهولاً للمجتمع كله خصوصًا مجتمعنا، كما أن هناك ثغرات كبيرة بعملنا والعديد من المهام الكبيرة المعلقة والتي يتوقف عليها نشاطنا وأنت تعلمي طبعًا ما أقصد.

- وما الذي يضمن لك سيد ماركو أن يصل إلي المستوي الذي تريده؟

- فتجهم وجهه وبدا عليه علامات الانفعال قائلاً بلهجة جافة:

- منذ متى وماركو يسيء اختياراته إيزابيلا؟ أتذكرين كيف كنت وماذا أصبحت الآن؟ وكيف كان الأخرين وكيف صاروا الآن؟ من فعل كل هذا؟! إنه أنا، أنا الذي كونت هذا الفريق بفكري، ونظرتي، وفلسفتي التي لا تخيب، فكيف تسألنني هذا السؤال بعد ذلك.

- فحاولت أن تمتص غضبه وانفعاله قائلة:

- اعتذر لك سيد ماركو، فحتمًا أنا والجميع نعلم جيدًا فضلك علينا، ولكن فقط أخشى الأمر.

- فعاد ليبعث الطمأنينة بنفسها:

- إطمئني، فسأجمع كافة البيانات التي تتعلق به منذ أن خرج من بلده حتى وصوله إلينا بطرقي الخاصة وفى غضون أيام قليلة ستصبح كل معلومة عنه أمامي هنا، وأولاً وأخيرًا هو مجرد فكرة لمشروع أرسمه بذهني وأراه مناسبًا له، ولكن في حالة فشل التجربة لأي سبب فسوف يكون مصيره إلى نفس البحر الذي انتشلته منه، كما أرغب منك في شيء.

- وما هو؟

- عليك أن تخبريه وتعرفيه كل شيء وفي نفس الوقت لا يعرف شيء أتفهمي؟

- بالطبع أفهم ما تقصد، فهذا عملي سيد ماركو.

- كما عليك أيضًا أن تراقبي تحركاته، وتسجلي مكالماته، ويفضل أن تضعي له كاميرا مراقبة دون أن يشعر بذلك، وحاولي تقييد مواقع الإنترنت عند استخدامه لها، فلا يصل لأي معلومة تخصنا وتخص عملنا

قد تفسد ما نخطط له من البداية، وذلك لبعض الوقت حتي نري ما يمكننا عمله في الفترة اللاحقة.

- حسنًا سيد ماركو سأنفذ كل ما طلبته من دون أن يشعر بشيء، كما أن شخصيته وطباعه من خلال الوقت الذي تعاملت معه فيه وفى ضوء خبرتي يدل على أنه لن يحاول البحث عنا كثيرًا وسيرضخ لنا مع الوقت خصوصًا بعد الذي قلته لي وملابسات إحضارك له تؤكد أن سيطيعنا في كل ما نطلبه منه ولن نبذل معه مجهود في إقناعه.

- فضحك ماركو ضحكة خفيفة، فاستغربت من ضحكته الساخرة، ولكنها لم تعقب حتي قال هو:

- هذا التحليل قطعًا بخبرتك، ولكن خبرتي أنا تؤكد أننا سنعاني بشدة ونبذل قصاري جهدنا حتي نقنعه بالعمل والانضمام لنا، فالإصرار الذي رأيته في عينه وهو يصارع الأمواج فضلاً عن تلك الرحلة المحفوفة بالمخاطر والتي خاضها؛ لأجل فقط الوصول للشاطئ الآخر وهو يعي ويعلم مسبقًا أنه ربما يفشل بعد كل هذا ليدل يقينا على أن شخص مثله لن يلين لنا بسهولة هكذا كما تظنين، كما أن طباعه تبقي تحدي آخر لنا، حتمًا سنصطدم بها في وقت ما.

- أعذرني سيد ماركو فيما سأقوله، فطالما أن الأمر يبدو معقدًا هكذا سيد ماركو، فلما المغامرة به من البداية؟

- لا أخفي عليك، إنه أحيانًا يكمن في التحدي الذي بداخلي، أنا أكثر من كونه يصلح للعمل أو لا يصلح، فإضافة لمستي السحرية على الأشخاص لتحويلهم لكيان آخر قد يناقض تمامًا حالتهم الأصلية، لهو بحق من أهم الأشياء التي تجلب السعادة والمتعة لنفسي، والآن يبدو أننا

أطالنا الحوار عليك الخروج له وبدء العمل وكما قلت لك كوني حذرة تمامًا معه ،كما أن ما أخبرتك أنت به للتو لا أحب أن يعرفه أحد آخر هنا حتى بيترو الذي سيشرف على تدريبه، أفهمتي؟

- نعم سيد ماركو اطمئن، فأنا دومًا سرك العميق وفى انتظار موافاتي بتعليمات جديدة.

- ثم خرجت إيزابيلا من الغرفة متوجهة نحو علي، وبعدها اعتذرت له عن التأخير وطلبت منه التحرك معها؛ كي تعرفه بالقصر جيدًا، فذهب معها وأخبرته أن القصر به مبنيين للإقامة، المبني المتواجد به ومبني أخر لباقي الموظفين، والحرس، والعمال وعرفته بمبنى الإقامة الرئيسي أو القصر قائلة: كما ترى إن المبني الرئيسي أو القصر نفسه كما تحب أن تطلق عليه، عبارة عن ثلاثة طوابق رئيسية، فالطابق العلوي يخص السيد ماركو؛ لإقامته، والطابق الثاني الذي تمكث بأحد أجنحته الآن مخصص لفريق العمل الرئيسي بالمؤسسة، وهم من جالستهم بغداء اليوم ومنهم أنا وقريبًا سأقوم بتغيير كل الأثاث والديكورات الخاصة بجناحك حسب رؤيتك وتفضيلك، أعتقد أنك بت تفهم قدرك لدى السيد ماركو، ويوجد أجنحة بالطابق السفلي للضيوف ولبعض الموظفين الإداريين الكبار والحرس الخاص بالسيد ماركو، وكذلك عرفته بمكان الطهي والطهاة وأخبرتهم بضرورة القيام على خدمته وتلبية كل رغباته، وأشارت له أنه في حالة رغبته أي شيء سواء كان طعام، أو شراب بارد، أو ساخن، فعليه فقط الاتصال بالتحويلة الداخلية الخاصة بهم وسوف يحضروا له ما طلب فورًا، ثم دلته على صالات الطعام الرئيسية والحمامات الخاصة بالقصر، ثم توجهت به إلى المبني الآخر والمقسم إلى

قسمين، قسم خاص بالإقامة والمبيت وأخر خاص بأماكن السهر واللهو، وقد كان به صالة رقص ديسكو، وبار، وصالة ألعاب كالبلياردو، والبنج وغيرها، وصالة مقامرة أيضًا، وصالة عرض مسرحية، وكذلك قاعة سينما وكان به مصاعد خاصة للوصول إلى تلك الأماكن، وكذلك صالة ألعاب رياضية، وأماكن خاصة بالاسترخاء وحمامات ساونا، وجاكوزي، ثم أخذته إلى مرأب السيارات الخاص بالقصر، وكان يوجد به تقريبًا جميع فئات وأنواع السيارات التي يمكن أن تخطر بالبال كل هذا وعلي يسمع وهو في منتهي الذهول، فكان يظن أن القصر كبير، ولكنه لم يكن يتوقع أن يكون بهذا الحجم الضخم وأن يشمل بداخله على كل هذا، فشعرت إيزابيلا بالدهشة في عينه فسألته: ترى ما سبب اندهاشك الواضح هذا؟

- فقال لها: إنني لم أكن أتوقع أن يكون القصر بهذه الضخامة والكيفية، فهو بمثابة عالم مصغر به تقريبًا كل شيء.

- فعلقت عليه قائلة: ألم يخبرك السيد ماركو بذلك أثناء حديثنا؟

- ثم رأى أحد الأبواب بالقرب من المرأب ويبدو عليه أنه مغلق بنظام الشفرة، فسألها عليه وإلى أين يؤدي؟ فأجابته قائلة: بأنه مجرد باب مغلق ولا نستخدمه كثيرًا، فلا تهتم له، والآن هيا بنا إلى المكتب؛ كي نكمل حديثنا هناك، فشعر وقتها وهو في طريقه معها إلى المكتب بنوع من الريبة، فهو رغم اهتمامهم الملاحظ به وشرحها كل شيء له ورغم تأكيد ماركو بألا تخفي عليه أية معلومة إلا أنه يبقى هناك جزء من الغموض يحيط ببعض الاستفسارات، ووصلا إلى المكتب الخاص بها في المبني الإداري، وكان في غاية الأبهة، والفخامة والاتساع، فطلبت منه

الجلوس على طاولة في مكتبها وجلست أمامه وقالت له بعد أن أحضرت له كوبًا من القهوة ليحتسيه:

- عليك أن تتعامل معي وكأنني لا أعرف شيئًا عنك حين أسألك، ولا ترهق نفسك بالإجابة عليَّ، فأي سؤال قد يسبب لك بعض الإحراج أو تظن أنه انتهاك لخصوصيتك، فيمكنك تجاوزه، فأنا أقدر ذلك لاختلاف الثقافات، ثم سألته عن بياناته الشخصية من اسمه الكامل، وسنه، وتعليمه وأفراد أسرته، وعددهم، ومحل إقامته ببلده، ثم سألته عن حياته الشخصية، وأصدقائه، والخلفيات والظروف الاجتماعية التي أتي منها ورحلته إلى إيطاليا منذ خروجه حتى وصوله، فحكي لها كل شيء فأشفقت عليه وأشادت به في نفس الوقت بعدما سمعت منه الكثير من التفاصيل عن حياته وعن رحلته قائلة:

- يا لك من فتى صبور وهمام! ويا لها من معاناة لك ولأسرتك، ولكن أحب أن أطمئنك، فأنت الآن على مسافة قليلة من تحقيق طموحك، وأهدافك، وتحقيق مستوى معيشة أفضل لك ولأسرتك والأمر كله يرجع لكَ.

- وكيف ذلك؟!

- كلما كنت أكثر تطورًا، و إبداعًا، وتحديًا فسوف تجد أكثر بكثير مما تطمح به، فنحن لدينا أعمال كثيرة تحتاج إلي الخبرة، والموهبة، والتحدي والتي لا يمكن لأي شخص الوصول فيها إلا إذا توافرت فيه هذه الشروط والإمكانات.

- سوف أبذل قصارى جهدي؛ كي أصل إلى أفضل مستوى وأداء في أسرع وقت؛ لكي أكون عند حسن الظن.

- نتمنى ذلك.
- هل من شيء آخر يمكنني أن أقدمه لك؟
- لا، شكرًا على هذا الوقت، والآن يمكنك أن تغادر إذا رغبت في هذا.

ثم غادر علي المكان، وبعدها قامت إيزابيلا بعمل مكالمة هاتفية لبيترو أفهمته من خلالها بضرورة توخي الحذر حينما يتعامل مع علي، وألا يطلعه على أي بيانات خاصة بأعمالهم السرية، وأن يركز معه فقط في تدريبه، وأن يبذل قصارى جهده معه في عملية التطوير، والتنمية، والتأهيل، وأن يرفع تقارير عن معدل التطور لديه بصفة يومية، وأن يكون التدريب وفق خطة معدة مسبقًا، وأن يتم التدريب وفق مستويات تبدأ بالمستويات الأولية العادية، ثم تنتقل نحو المستويات الأكثر احترافية وخصوصية، وألا يتم الانتقال إلي أي مستوى دون إخبارها هي شخصيًا بذلك؛ حتى يمكنها تقييمه أولاً بأول، وأكدت أن اللغة هي أهم شيء في البداية، كما أخبرته بأنه يتعين عليه أيضًا أن يخبر أفراد فريقه بذلك وبضرورة أن يشعروه دائمًا بأنه يحصل منهم علي كل البيانات التي يحتاجها.

فأجابها بيترو بأنه سوف ينفذ كل التعليمات بمنتهى الدقة والحرص، وخلال فترة الليل بدأ علي بالتجول بالقصر، فوصل للبناية المتواجد بها محل إقامة باقي الموظفين، وتحديدًا للقسم الآخر منه والخاص بالترفيه، فاستخدم المصعد بهدف التجول فيه وأخذه الفضول لدخول إحدى الصالات الرئيسية به والتي لا يتذكر بوضوح عما أخبرته إيزابيلا بشأنها، ولكنه دخلها على أي حال، فإذا بأناس يسهرون داخل هذا الملهي المهيأ

لهم لمثل تلك الأغراض، فوجدهم يسكرون، ويقامرون، وتعلو ضحكاتهم، وصيحاتهم وتخالط النساء الرجال بشكل يبدو مخل وفي مشهد لم يرى مثله في حياته من عدم الحياء الذي يتخلله والذي لم يعتاد مسبقًا، فذهل من ذلك وخرج مسرعًا والجميع ينظر إليه في تعجب ويسمعون ما يقول وهم لا يفهمون منه شيء، فكان يقول وهو خارج مسرعًا: أعوذ بالله من ذلك، أعوذ بالله من ذلك، أعوذ بالله من ذلك، وظل يرددها هكذا حتى رجع للقصر ودخل غرفته مغلقًا بابه على نفسه بشكل محكم وكأنهم سيتبعونه إليها أو سيفرضون عليه ما لا يريده ولا يحبه، وظل يذكر الله ويستغفره كثيرًا حتى هدأت نفسه، ثم قرر في نفسه ألا يذهب هناك مرة أخرى مهما حدث، وأن عليه فقط التركيز في عمله قائلاً: هؤلاء الناس لهم طبيعة خاصة والحريات عندهم لها مفهوم مختلف وليس لها سقف محدد ولا تتناسب معي ومع ما نشأت عليه مطلقًا، فعلي فقط أن أخذ ما يناسبني وأترك ما لا يتناسب معي، ثم قرر أن يذهب ويتوضأ ويصلي في أي اتجاه رغم أنه لا يعرف القبلة، فصلي وذهب ليخلد إلى النوم حتى بدون عشاء وحين وضع رأسه على الوسادة بدأت الأفكار تهب إليه، وظل يفكر حتى غابت عيناه في النوم، وما إن غابت عينه في النوم حتى طارده ذلك الكابوس الذي بدأ يلازمه في نومه، فصارت صورة الضابط الذي أطلق عليه الرصاص لا تفارقه حتى استيقظ من نومه، وفي صباح اليوم التالي خرج نحو حديقة القصر وظل هناك متجولاً بها، ثم جلس على أريكة منتظرًا بيترو، لكنه تأخر في الوصول، فظل هكذا طيلة قرابة ثلاثة ساعات حتى وصل بيترو إليه وبدأ يتحدث إليه قائلاً:

- صباح الخير يا عزيزي.
- صباح الخير.
- يبدو لي أنك منتظر منذ وقت، أليس كذلك؟
- نعم، لقد صار لي هنا حوالي (ثم نظر لساعته) ثلاثة ساعات وأنا في انتظارك، فقد استيقظت مبكرًا وتناولت فطوري وتوجهت إلى هنا.
- فتعجب بيترو قائلاً:
- منذ ثلاثة ساعات! أعذرني إذًا على تأخيري، أنا
- لا عليك فكانت فرصة مناسبة للاستمتاع بهذا المنظر الجميل من بداية الصباح.
- كم يعجبني هذا النشاط، ولكن هل أنت معتاد على ذلك؟
- نعم منذ الصغر وأنا استيقظ في تلك المواعيد ولا أنام الكثير من الوقت.
- عادة جيدة تجعلك أكثر نشاطًا وتستفيد من الوقت المتاح بشكل أكبر.
- ولكن هل يمكن أن نبدأ العمل من الآن؟
- بالتأكيد وإلا لما كنت هنا الآن وأحب أن أخبرك يا صديقي أنك صرت من الآن وصاعدًا رجلي وعليك ألا تضعني في موقف لا أحسد عليه مع الآخرين.
- وكيف يمكن لي أن أضعك في هذا الموقف؟
- أنت تعلم بأنني سوف أرفع تقارير دورية عنك وعن أدائك ومعدل تطورك وهذا يتوقف عليك، وعلى إصرارك، وتحديك، فهل تقبل التحدي؟

- نعم وأنا على استعداد لذلك.
- فلنبدأ بالعمل إذن.

ومشيا الاثنان باتجاه مركز التدريب الموجود بالجزء الإداري من القصر حتى وصلا هناك ودخلا الاثنان معًا، وكان المكان متعدد الأدوار ويتم الوصول إليها إما عن طريق السلالم العادية أو المصاعد، فبدأ يعرفه بالمكان أولاً، وقال له: ما نحن فيه الآن هو الدور الأرضي ويوجد به الاستقبال، وأماكن للجلوس، وتناول المشروبات والأطعمة الخفيفة، ويمكنك الجلوس به وقت الراحة وأيضًا مشاهدة التلفاز، ثم انتقلا بعدها عبر المصعد إلى الدور الأول وقال له: أما بالنسبة لهذا الدور، فهو خاص بالتدريب على أعمال السكرتارية، والأعمال المكتبية، بالإضافة إلى الأعمال الإدارية الخاصة بأعمالنا والتي سوف يقوم بتدريبك وتأهيلك فيها نخبة من المؤهلين لهذا الغرض والذي يمكنك أيضًا من خلالهم تعلم الكثير، ثم صعدا إلى الدور الثاني وقال له: أما هذا فكما ترى، مزود بالعديد من أجهزة الكمبيوتر والشبكات المتطورة جدا؛ وذلك من أجل التدريب على أنظمة الكمبيوتر، والشبكات، والإنترنت، ولغات البرمجة، والتطبيقات المتعلقة بهم، وبه جزء خاص بدراسة الاتصالات السلكية واللاسلكية، ثم صعدا إلى الدور الثالث وهناك قال له: أما هذا الدور، فهو خاص باللغات ومزود بمعامل لغات متطورة وفق أحدث نظم ومناهج الدراسة التي لن تجدها خارج هذا المكان، وما يهمنا فيها بالطبع بعد إجادتك المقبولة للإنجليزية، هو تعلم اللغة الإيطالية حتى تسهل عليك التعامل معنا ومع المجتمع داخل إيطاليا، ثم انتقلا إلى الدور الرابع وهناك قال له: أما هذا القسم خاص بالتنمية البشرية والتأهيل

الشخصي والذي سوف تزيد فيه من قدرتك على التعامل مع الآخرين سواء كان عملاء، أو إداريين، أو زملاء، أو حتى أشخاص عاديون وزيادة لباقتك وقدرتك على إدارة الحوار، وكيفية الخروج من أصعب المواقف بفطنة وذكاء، وبعدها صعدا سويا إلى الدور الخامس حيث صالة الألعاب الرياضية والتأهيل الجسدي وبدأ بيترو يتحدث قائلاً: أما هذا المكان فهو كما ترى صالة ألعاب رياضية متنوعة ومزودة بأحدث الأجهزة المعدة خصيصًا لهذا الغرض، وهنا يمكنك من خلال التدريبات اليومية زيادة طاقتك ولياقتك البدنية وقدرتك على القتال اليدوي من خلال ألعاب الحركة وغيرها من ألعاب القوة.

وهنا ازدادت دهشة علي مما سمع، فسأله: وما علاقة الرياضة وخاصة الرياضات القتالية بالأعمال التي تؤدي في مؤسسة كهذه؟!

فأجابه قائلاً: يا صديقي لا يوجد إنسان لا يحب الرياضة، كما أنها أصبحت شيء أساسي لكل شخص منا، فنحن جميعًا هنا لا يمكنا الاستغناء عنها ونمارسها بصفة اعتيادية سواء كانت لها علاقة مباشرة بأعمالنا أو ليس لها علاقة مباشرة، فهي صارت شيء مهم، كما أنها بناءً على ذلك أصبحت جزء مهم في تدريبك، وتأهيلك، ومدرجة ضمن الخطة التدريبية التي أعددتها ورفتها في تقرير إلى السيد ماركو، كما أن هناك العديد من الشركات تشترط على منسوبيها ومن يرغب الالتحاق بها ممارسة الرياضية وشهادات تثبت ذلك، فالواقع العملي يختلف هنا عما رأيته في مكان أخر، أيوجد لديك مانع في ذلك؟

فرد عليه قائلاً: لا، ولكن فقط استغربت من الوضع، فأنا لم أرى أو أسمع بذلك سابقًا.

فأخبره قائلاً: يا صديقي عليك ألا تقلق من شيء وعليك فقط التركيز في عملك، فأنت هنا في مدرسة شاملة مزودة بأحدث نظم التدريب وقائم عليها نخبة من أمهر المدربين والذي سوف يعود عليك بالنفع الكثير قبل أن يعود علينا نحن والذي من الممكن أن يكلفك خارجيًا نقودًا كثيرة لا تستطيع إنفاقها أو حتى توفيرها، فأنت المستفيد الأكبر في هذا، فلما التفكير كثيرًا في الأمر؟! كما أحب أن أخبرك بأن ما سوف تتعلمه سواء كان له علاقة مباشرة بما سوف تشغله من عمل مستقبلاً أم لا؟ فهو بناء لك وثقل لشخصيتك فمن متى وما نحن نتناوله في دراستنا العادية له علاقة مباشرة بأعمالنا لاحقًا، فكثير من المواد التي درستها أنا وأنت وغيرنا ليس لها علاقة بأعمالنا بالمرة ومع هذا فهي زادت من ثقافتنا ومكانتنا، ثم نزلا سويًا إلى الطابق الأرضي مرة أخرى وطلب من جميع المدربين والمحاضرين الحضور، ثم عرفه بهم جميعًا وبدور كل واحد منهم في تدريبه والجزء المتخصص فيه، ثم طلب منهم يقوموا على تأهيله وتدريبه على أعلى مستوى ممكن ووفق أدق المعايير وأن يبذلوا قصارى جهدهم معه؛ لأن السيد ماركو بنفسه مهتم بموضوعه وسيتم رفع تقارير بذلك وأي تقصير منكم سوف يعرض صاحبه للجزاء، فأكد الجميع على التزامهم بما قاله، ثم خرج الجميع وتبقى الاثنان وتوجه علي سائلاً: معنى كلامك أني سوف أتدرب هنا وعلى أيدي هؤلاء بمفردي أليس كذلك؟

فقال بيترو: نعم، كل هؤلاء تم اختيارهم خصيصًا لتأهيلك وتدريبك؛ لأنهم من أكفا المدربين، أعلمت إذن مدى قدرك ومدى اهتمامنا بك؟

فأراد علي أن يستفهم عن مدى أهميته لديهم، فقال: هل لي أن أسألك سؤال خاص ويحيرني منذ أن أتيت إلى هنا وأريد منك إجابة صريحة عليه؟

بكل تأكيد.

بحكم خبرتك هنا في هذه الشركة المجهولة لديَّ وهذا المكان، ما وجه الاستفادة الفعلية مني؟ وما الذي يجعلهم ينفقون هذه النفقات من أجلي مع العلم بأنني من الممكن أن أفشل في الوصول إلى المستوى الذي يرضيهم؟

فارتبك بيترو حين سمع سؤاله المباغت هذا، ولكنه في نفس الوقت أجابه إجابة ماكرة، فقال:

أولاً هذه الشركة لن تكون مجهولة لك كما تظن إلى الأبد، فسوف تعرف كل شيء في وقته وأوانه، فلا تتعجل في ذلك، وثانيًا بالنسبة لوجه الاستفادة منك، فنحن نعلم جيد كيف نستفيد منك في حال وصولك للمستوى المرغوب، أما في حالة عدم وصولك للمستوى المرغوب وأنا شخصيًا أشك بهذا، فإن تلك النفقات تحمل كمصروفات توظيفية بالشركة، فليس من الضروري أن كل المصروفات تساهم في تحقيق إيرادات لنا، فمن الممكن أن تكون مجرد تكلفة من ضمن التكاليف الكثيرة بالشركة وهذا مبدأ معروف في التجارة في كل مكان، أفهمت ما أقصد؟

فبدا عليه بعض الاقتناع من إجابته: يبدو لي أني فهمت، ولكن أخبرني كيف سأبدأ؟ ومع من؟

هذا هو المفيد، عليك أن تعلم أننا سوف نعاملك على أساس مستوى صفري ونبدأ معك من البداية وسوف يكون هناك أربعة برامج

تدريبية عليك ان تختار منها ما يناسبك الأول: البسيط خمس ساعات يوميًا لمدة خمس أيام، والثاني العادي ستة ساعات لمدة ستة أيام، والثالث المكثف ثمانية ساعات لمدة ستة أيام، والرابع المكثف جدًا تسعة ساعات لمدة ستة أيام أسبوعيًا.

أوه، أعتقد أن البرنامج المكثف جدًا عندكم هو مريح جدًا بالنسبة لي.

لا أفهم ما تقصده، أيمكنك التوضيح أكثر؟

ما رأيك لو أصبحت ساعات التدريب اليومي ستة عشر ساعة وبدلاً من ستة أيام نجعلها طوال الأسبوع.

فقال بيترو متهكما:

أمجنون أنتَ أم أنك تسخر مني؟!

لا والله، فأنا جاد جدًا فيما أقول، فطالما أننا سأتدرب وأمكث هنا فلما لا أستفيد من كل دقيقة ولحظة في التدريب للوصول للوضع المثالي في أسرع وقت.

إذن أنت تريد أن تقضي على نفسك وأنا لن أشاركك في ذلك، فمتى سوف ترتاح وتتناول واجباتك وتستمتع بحياتك.

لا تقلق عليَّ، فأنا تعودت على ذلك مبكرًا جدًا، منذ أن كنت صغيرًا ، فحياتي كلها شقاء وتعب، لم أتذكر يومًا أني عشت كبقية الناس، كما أحب أن أخبرك بأنه يكفيني خمس ساعات يوميًا للنوم وباقي الوقت يكفي للمذاكرة وتناول الطعام، كما أنه لا وقت لديَّ للهو والسهر، الوقت يكفي فقط للعمل.

يبدو لي أنك متهور، ولكن على العموم عليكَ أن توقع على ذلك، فهذا البرنامج ليس مدرج ضمن خطتي، كما سيجعلني أعدل فيها وأزيد

عدد المدربين؛ حتى يمكنهم مجاراتك في ذلك.

وما هي كيفية التدريب والتأهيل؟

فلتعتبر نفسك في مدرسة لمدة معينة وسوف يتم وضع جدول يومي لك تمر من خلاله على كل الأقسام مع التركيز أكثر على اللغة طبعًا كما اتفقنا، ولكن عليك أن تمهلني يوم أخر حتى يمكنني إعداد خطة وجدول بديل وحتى أخبر السيد ماركو بالتعديل الجديد.

وماذا سوف يكون علي فعله الآن؟

سوف أخذك إلى المستودع الخاص بنا؛ لتأخذ متطلباتك التي تحتاجها خلال التدريب.

ثم نزلا سويًا عبر المصعد إلى القبو في الأسفل ودخلا إلى حيث يوجد المستودع وبدأ علي بالتجول فيه، وكان أشبه بمتجر كبير لم يرى مثله من قبل، وسأله قائلاً: إن هذا المكان كبير ويشبه المتجر، فهل أنتم تتاجرون في تلك الأدوات والمستلزمات؟

فقال له بيترو وهو يضحك: نتاجر في تلك المستلزمات! قطعًا لا علي، إن كل ما تراه معد فقط لاستخداماتنا سواء في مجال التدريب والتطوير، أو في مجال العمل، أو حتى للأغراض الشخصية، فلا مانع في ذلك ويتم عمل تطوير دوري لتلك الأجهزة والأدوات، فسوف تجد هنا كل ما هو جديد في عالم التكنولوجيا والإنتاج أولاً بأول، فنحن لدينا تعاقدات مع كافة الشركات والوكالات الخاصة بذلك، كما يمكنك أن تأخذ كل احتياجاتك من هذا المكان، حيث يتواجد بداخله أقسام متعددة، ثم بدأ يشير ليعض منها فهذا مثلاً قسم خاص بأجهزة الكمبيوتر المكتبية، والدفترية، واللوحية وكافة مستلزماتها، وملحقاتها، وذاك قسم

خاص بأنظمة الطباعة المتطورة وملحقاتها، والأخر خاص بأنظمة التصوير سواء الفيديو أو الفوتوغرافي، وأنظمة البث السينمائي، وكل أنظمة التسجيل والميكرفونات المعدة لتلك الأغراض، وكذلك أجهزة التسلية والترفيه، كما يوجد أيضًا هناك قسم خاص بكافة الأدوات واللوازم المكتبية، وأوراق التصوير، وحقائب اليد، وأدوات الرسم، فعليك أن تأخذ من هنا كافة الأغراض واللوازم التي يمكن أن تحتاجها طوال فترة التدريب، كما يمكنك أيضًا أن تأخذ ما يناسبك للأغراض الشخصية والتي يمكن أن تحتاجها فيما بعد.

فسأله وهو مذهول: وكيف يمكنني أن أختار من بين هذا كله؟! فهذا يحتاج إلى وقت كثير؛ كي أختار المناسب، فسوف أدع تلك المهمة لكَ أنتَ، فاختار ما سوف أحتاج إليه.

حسنًا، هذه المرة سوف أختار لك أدواتك ولوازمك، ولكن عليك بعد ذلك أن تتصرف بحرية ودون تحفظ، فأنت هنا أصبحت مثلنا تمامًا لك ما لنا وعليك ما علينا.

وبدأ يختار أغراضه من جهاز حاسوب وجهاز أخر لوحي، وكاميرا تصوير متطورة، وأجهزة تسجيل صوتي، وأدوات مكتبية وحقائب خاصة لتلك الأغراض، ثم تم عمل إذن صرف بها من المستودع وقع عليه هو وأعطاه للمسئول عن المستودع.

فرأى علي أن الأمور تتم هنا بشكل نظامي وليس عشوائي، ثم دخلا من خلال باب أخر في القبو إلى حيث المكتبة، فأخبره حينها بأن هذه المكتبة مقسمة إلى قسمين رئيسيين، الأول هو ما نحن فيه الآن والخاص بالكتب، والمخطوطات، والمجلدات في كافة المجالات سواء في الأدب

واللغة، والعلوم، والطبيعة والإحصاء، والتاريخ، والجغرافيا وغير ذلك كثير والتي يمكنك الاطلاع والاستعارة منها في أي وقت تأتى فيه إلى هنا، أما القسم الآخر، فهو عبارة عن المكتبة الإلكترونية والمزودة بأجهزة حاسوب متطورة متصلة بالإنترنت فائق السرعة، وبها أحدث البرامج، والتطبيقات الإلكترونية والبرمجية والتي يمكنك أيضًا الاستفادة منها وقتما تشاء.

فارتسمت على وجهه علامات الوجوم الممزوج بالصمت المريب.

فسأله بيترو: هلا أخبرتني عن تلك التعبيرات التي أراها على وجهك وحالة الصمت التي تبدو عليك منذ وقت؟

فرد عليه: إنني فقط ذهبت بفكري وخيالي للخلف عدة أيام، فقد حدثت لي أحداث كثيرة ومؤلمة خلال تلك الأيام، تركت أهلي وعرفت أناس لم يدر بخيالي أنني سألقاهم يومًا وواجهت الموت، والخوف، وفقدت أناس في البحر، وكان لي صديق لم تدم صداقاتنا سوي يومين فقط، ولا أعلم مصيره الآن، حيث فقدته بالبحر هو الأخر وق.....، ثم توقف عن إكمال كلامه عند تلك النقطة مكتفيًا بما قاله؛ خشية أن يتورط في حديث وهو لا يعرف إلي أي وجهة يوجهه.

فسأله: ما لك صمت فجأة عن الكلام وكأن هناك شيء لا تريد أن تخبرني به؟

فرد عليه: لا، لا، إنها مجرد أحداث مؤلمة لا أريد أن أزعجك بها، فلا زلت أتذكر تلك اللحظات التي فارقت بها أهلي ووطني، وها أنا الآن هنا في هذا القصر الكبير الذي يعتبر بمثابة مدينة متكاملة بها كل شيء يمكن أن أحتاجه، فكأن الله يعوضني عن تلك الأحداث والألآم التي مرت عليَّ،

ولكن مع ذلك فلازلت لا أعلم ما الذي يخبأه لي القدر والدليل على ذلك ما أنا فيه وما سبقه منذ أن خرجت في تلك الرحلة، فلم يكن أبدًا كل ما حدث من ضمن مخططاتي يومًا ما أو حتي خطر ببالي.

فرد عليه: يا صديقي هون على نفسك وعليك فقط التركيز في ما أنت مقبل عليه، فها هو المستقبل الباهر يفتح أبوابه لك، فلا تغلقها بتلك الأفكار السيئة والألآم المحزنة والتي يمكن أن تشكل حاجز بينك وبين ما تحلم بتحقيقه، فأنت من واقع كلامك وقراءتي لشخصيتك فتى طموح، وجاد، ومثابر يمكن أن تكون في وضع أفضل مما كنت عليه، عليك فقط ألا تعبث في عقلك بتلك الأفكار اللعينة، أفهمت تلك النصيحة جيدًا؟

نعم، عندك حق، فإنه يتعين عليَّ أن أنسى ما علق في عقلي من أحداث الماضي وأن أهتم فقط لمستقبلي.

والآن سوف أغادر وأتركك هنا تتجول بالمكتبة على راحتك وحين تنتهي يمكنك أن تغادر إلى جناحك وليكن الغد موعد أخر لنا سويًا؛ نعوض فيه ما لم نقم به اليوم.

كم كنت مشتاق؛ لكي نبدأ اليوم.

لا بأس في ذلك أيها الفتى الهمام، فالوقت بحوزتنا ولكي يتسنى لي إعداد برنامج أخر وفق التعديل الجديد فذلك يعد أفضل لك ولي.

وحين تركه بمفرده بدأ يتجول بالمكتبة ولفت نظره وجود كتب وروايات بكل اللغات حتى باللغة العربية، فأخذه الشوق والحنين لقراءة بعضها، فأخذ أحد الكتب وظل يقرأ فيه لفترة طويلة قرابة ساعتين متصلتين ناسيًا الوقت، فأنتبه فجأة ونظر في الساعة، فوجد وقت كثيرًا

مر عليه، كان يظن في نفسه أنه ربما دقائق وبدأ يشعر برغبة في الطعام، فقرر الذهاب إلى القصر؛ كي يتناول وجبة الغداء، وقام باستعارة الكتاب؛ لكي يكمل قراءته في جناحه، وحين وصوله إلى غرفته اتصل على المطبخ ولكي يحضروا له طعام الغداء، فأحضروا له وجبة بحرية شهية والتي لو تناولها في مكان أخر ربما تكلفه مبلغ باهظ جدًا لا يقدر على دفعه، وحين انتهى من الطعام بدأ يكمل قراءته.

في مساء نفس اليوم ورده اتصال من إيزابيلا وطلبت منه الحضور إلى مكتبها، فذهب على الفور وحين وصوله ألقى عليها التحية، قائلاً:

مساء الخير سيدة إيزابيلا.

مساء الخير علي، هيا أخبرني كيف حالك اليوم؟

بخير، فقد خرجت اليوم برفقة السيد بيترو من الصباح وتوجهنا إلي مركز التدريب وتعرفنا على المدربين وأقسام التدريب.

جيد للغاية، أخبرني إذن ما الذي تدربت عليه في هذا اليوم؟

لا شيء.

فأبدت اندهاشها واستيائها في نفس الوقت.

لا شيء! وما السبب في ذلك، هل هناك تقصير من أحد؛ كي نتخذ معه إجراء؟

السبب في ذلك يعود إليَّ أنا، فقد غيرت في برنامج التدريب ليصبح عدد الساعات يوميًا ستة عشر ساعة طول الأسبوع مما تطلب تعديل في خطة التدريب.

ولكنك بهذه الطريقة تقسو على نفسك بشدة، فالتدريبات بها جزء ذهني وجسدي مما يسبب لك ضغط كبير، فهل أنت مدرك تأثير ذلك عليك؟

نعم سيدتي، فأنا مدرك لنفسي جيدًا عن أي أحد هنا، وأعلم قدراتي وطاقتي جيدًا، وأظن أنه لن يخشى أحد عليَّ أكثر مني نفسي.

علي راحتك، فيبدو أنك حقًا معتاد على الشقاء، لكن أخشى أن يؤثر ذلك على النتائج بالنهاية.

لا تقلقي أيضًا حيال النتائج، فهي بلا شك تعنيني وتهمني أكثر من أي أحد أخر، فطالما أصبح هذا التدريب الفيصل بيني وبين العمل بشكل رسمي، فلما لا أتفرغ له تفرغ كامل، فليس لدي شيء آخر أقوم به هنا.

حسنًا علي، ولكنك لم تسألني بعد لما أحضرتك إلى هنا؟

فقط كنت منتظر أن تخبريني بنفسك .

ما رأيك لو قمنا بإجراء بعضًا من الفحوصات الطبية لك؟

فعلت وجهه علامات الدهشة الممزوجة بالتساؤل، قائلاً:

فحوصات طبية؟! ولما؟ هل أنتم تخشون أن أكون حامل لأمراض معدية مثلاً؟

لا، ولكن حتى يمكننا استخراج شهادة صحية لك ترفق مع ملفك الخاص، فهذا أمر طبيعي جدًا ونأخذ منك بصمات الأصابع، والعين، وفصيلة الدم، حتى نتمكن من عمل ملف كامل لك يصلح بعد ذلك في أن نستخدمه؛ لكي تقيم إقامة نظامية أم أنك تريد أن تظل مجهولاً؟

لا طبعًا، ولكن كيف؟ وأين يمكنكم عمل تلك الفحوصات والسيد ماركو قد منعني من الخروج ؟

وما الذي يضطرك إلى الخروج؟ فلدينا كل شيء هنا وكافة المعدات التي نتطلبها في ذلك وكافة الكوادر المدربة لهذا الغرض، فما يضطرنا إذن إلى الخروج؟!

كلما ازداد مكوثي في هذا المكان كلما ازداد تعجبي فيه، كل شيء تقريبًا يمكن أن يحتاجه المرء، ولكن متى سوف نبدأ؟

يمكن أن نؤجل ذلك إلى وقت أخر هذا على رغبتك.

ولما نؤجل؟ فيكفي ما أضعناه اليوم من وقت دون فائدة، أيمكن أن نبدأ تلك الفحوصات الآن؟

فابتسمت قائلة: على ما يبدو أنك لا تريد أن تضيع حتى دقيقة واحدة، إذن هيا بنا.

توجها سويًا بعد خروجها إلي المستوصف الخاص بالقصر والمعد لمن هم فيه والذي يحتوي على العديد من الغرف الخاصة بالرعاية الصحية والمزودة بأجهزة طبية متطورة قلما تجدها بكل المستشفيات الأخرى، وبه معامل تحاليل، وغرف أشعة والغريب وجود غرف خاصة للجراحة وهو ما لفت نظره، فسألها وما الحاجة لوجود غرف للجراحة هنا؟ ألا تكفي غرف الرعاية؟

فأجابته قائلة: ربما يتعرض أحد الأشخاص في أي وقت لشيء كالزائدة الدودية مثلاً أو شيء حرج يتطلب تدخل عاجل جدًا وربما في وقت متأخر من الليل، ففي هذه الحالة تكون هناك ضرورة من وجودها، كما أننا لا نستخدمها إلا في أضيق الحدود، كما أحب أن أخبرك بأن المكان هنا في غاية التعقيم ولا مجال للخوف والقلق من العدوى، كما أن

لدينا هنا كوادر متخصصة ومدربة لذلك وهذه الكوادر تتبعنا نحن فقط، أي أنها غير مرتبطة بعقود أخرى لدى أي أحد.

ثم بدأ بعد ذلك في إجراء فحص شامل على كل جسده وأعضاءه، وعمل أشعات مختلفة، وتم قياس الضغط، وأخذ عينة من الدم، وقد قام الطبيب المختص حين كان يفحصه بتوجبه عدد من الأسئلة له، فسأله: هل أنت تدخن أو سبق لك ذلك؟

فأجابه: لا، ولم يسبق لي أن دخنت في حياتي.

ثم سأله: هل تتناول الكحوليات والمسكرات أو سبق لك ذلك؟

فأجابه: بالطبع لا، فهذا محرم لدينا جدًا، كما لم يسبق لي أن تناولت أي شيء من هذا.

ثم سأله عن علاقته بالجنس الآخر وهل سبق له إقامة علاقة جنسية سواء في نطاق الزواج أو خارجه؟

فأجابه وقد بدى عليه نوع من الانزعاج من الأسئلة واستشعر بنوع من الإحراج نظرًا؛ لوجود إيزابيلا معه، فهو لم يعتاد أبدًا على تلك الأسئلة: لا، فأنا لست متزوج، كما لم يسبق لي أن أقمت أي علاقة خارج إطار الزواج، حيث أن تلك العلاقات محرمة دينيًا ومنبوذة اجتماعيًا لدينا، ثم أحب أن أعلم ما سر كل تلك الأسئلة؟ وهل أنا أعاني من شيء خطير أو مزمن؟ فأنا طبيب وقادر على استيعاب وتقييم حالتي.

فأجابه الطبيب (لا ولكنها مجرد أسئلة ستفيدنا في التقييم النهائي أيها الطبيب والتقرير النهائي فسوف نعده ونرسله إلي السيدة إيزابيلا غدًا.

ثم غادرا المكان إلى الأسفل مرة أخرى وترك علي إيزابيلا متوجهًا إلى غرفته، ثم جلس على سريره يفكر في الأحداث التي يمر بها، فهو يرى أشياء عجيبة في هذا القصر الكبير، كما أنه لا يحصل علي إجابات منطقية لم يحيط به ولما يتعرض له، كما باتت تساوره شكوك دائمة في الموضوع منذ بدايته وظل يفكر في الأمر حتى ذهبت عيناه في النوم، حتى دون أن يغير ملابسه، وبدأت الكوابيس تطارده مرة أخرى، فيبدو أنها ستلازمه في الفترة المقبلة، كما أنها تعبر عن حالة التخبط التي هو عليها، وفى صباح اليوم التالي وحين استيقظ من نومه بدأ يومه بنفس طريقة اليوم السابق، فتناول فطور واتجه إلي مركز التدريب مبكرًا، ولكنه لم يمكث كثيرًا هذه المرة حتى حضر بيترو حاملاً حقيبة بها أوراقه، فألقى عليه التحية، ثم ذهبا إلى مكتبه، وتناولا أطراف الحديث، وتناقشا حول الخطة التدريبية المعدلة، وجدول التدريب الجديد، وقد كان شامل لكل الأقسام يوميًا تقريبًا، وبالفعل بدأ تدريبه بالتنقل يوميًا بين كل الأقسام يوميًا، والكل ينظر له في تعجب من نشاطه الكبير والتزامه الشديد، وكانوا يظنون أن هذا سيستمر فقط لبضع أيام أو أسابيع، فلا يمكنه الاستمرار على هذا النحو لفترة طويلة حتى وإن استمر فحتمًا سوف يفضي به الأمر إلى الفشل الذريع، كل هذه الظنون والأوهام حوله، وهم يجهلون طبيعته ولا يعلمون أن ذلك ليس سوا نزهة فيما عاناه في صغره من شقاء لا يتحمله من هو أكبر منه سنًا، وما أثار تعجبهم أيضًا هو معدل التطور المذهل في مستواه بشكل ملحوظ، والذي بدأت تتحدث عنه التقارير التي ترفع عنه والتي تظهر بوضوح مدى التقدم الذي يحرزه مجتازًا كل التوقعات كعادته، مثيرًا إعجاب ماركو

خاصة بعد الشهادة الصحية التي تثبت خلوه من أية أمراض مزمنة، أو خطيرة، وأنه بكامل صحته ولياقته، كما أبرزت التقارير مدى الذكاء الفريد لديه والفطنة العالية التي يتمتع بها والتي كان يبحث عنها كثيرًا في شخص يمكنه الاعتماد عليه في الفترة المقبلة، ولكن ما كان يثير تحفظ علي ويقلقه دائمًا هذا التدريب البدني والذي لا يمكن اعتباره بالمرة على أنه مجرد رياضة عادية كما قيل له خاصة وأن هناك تركيز شديد عليه، كما أنه يتدرب على ألعاب قتالية وعنيفة، فلا يدري ما علاقة ذلك بالعمل العادي؟ فهو يتدرب وكأنه سوف يدخل معركة أو حرب وليس مجرد أعمال روتينية أو إدارية كما يعتقد، ومرت الأيام والأسابيع على هذا المنوال وبدأ يشعر بتطور ملحوظ في نفسه سواء من الناحية الذهنية أو البدنية، فبدأت تبرز عضلات جسده وتقوى بشدة، كما بدأ يتقن الإيطالية بسرعة جدًا، ولعل ذلك كان من ضمن أولوياته التي كان يعيرها أغلب الاهتمام وما ساعده في ذلك هو مكوثه أغلب الوقت وسط أناس لا يتحدثون غيرها حتى وصل به المستوي في ذلك، إلى أنه بدأ يتحدث بها مع المدربين، والعاملين، ويقرأ أيضًا بعض الكتب باللغة الإيطالية، وهو ما أثار اندهاش الجميع حتى من يعلمه اللغة، فالمستوى الذي وصل إليه في هذا الوقت القصير عالي جدًا ومثير للإعجاب، كل هذا والكل يراقب التطور في مستواه دون أن يشعر بذلك وصار محط اهتمام الجميع لاسيما وهم يرون مدى الاهتمام الملحوظ من ماركو به، فهم لا يعلمون في أي مكان سوف يعمل وأي المناصب سيتقلد وفي أحد الليالي بينما هو جالس بمفرده يفكر كالعادة تذكر أهله الذين لم ينساهم أبدًا، ولكنه تذكر هذه المرة أنه تركهم بلا مال كما أن منزلهم الذي يمكثون به مرهون

وأنه إلى الآن لم يحصل على دخل أو راتب؛ كي يرسله لهم وهو لا يدري إلى متى سوف يستمر ذلك، فواتته فكرة حيث قرر بعدها الذهاب إلى إيزابيلا، وحين وصوله إلى مكتبها طلب منها أن ترتب له في الغد لقاء مع السيد ماركو لأمر عاجل، وحاولت أن تفهم منه الأمر عساها تنجزه له دون أن يلجأ إلي ماركو، ولكنه أخبرها بأن الموضوع خاص ولا يمكن إنجازه إلا من خلاله، فأخبرته بأنها سوف ترتب له ميعاد في الغد مع ماركو، فشكرها وغادر المكان متوجهًا إلي جناحه، وأخذه الفضول في تلك الليلة ولأول مرة أن يفتح التلفاز، فكان لا يكترث له في الفترة السابقة، وكانت الغرفة لديه مزودة بشاشة تلفاز كبيرة وحين فتحه وبدأ يبحث بين قنواته وجد سيلاً من القنوات الأجنبية منها الإخبارية، والثقافية، وأيضًا الإباحية التي لم يعتاد عليها، فقام سريعًا بتغيير الأقمار المتاحة لديه إلى الأقمار العربية والتي سعد كثيرًا بوجودها، فكأنه وجد شيئًا ثمينًا كان قد فقده، فأخذه الحنين إلى وطنه وانقطاع الأخبار عنه أن يفتح أحد القنوات الإخبارية ويشاهد أخر الأحداث على الساحة، وما أن فتح حتى أصابه الحزن والآسي الشديدين من جراء الأحداث التي تتعرض لها المنطقة والتي زادت من حزنه وإحساسه الأليم بالغربة وقلب المحطة على أحد القنوات المصرية، فوجد برنامج يسلط الضوء علي المعاناة التي يعانيها الناس ويتجول في القري الفقيرة، والمعدمة، والأحياء العشوائية التي تندر بها الخدمات وما يعانيه الأهل فيها، فتذكر أهله والعذاب الذي يعيشونه في الوقت الذي يتنعم فيه، فاغرورقت عينيه بالدموع وشعر بالأنانية التي لم يعتاد عليها في حياته، فهو الشخص الذي دائمًا ما يُضحي من أجل الأخرين، ولكن ها هو الآن يعيش حياة مرفهة ويترك

الأخرون يعانون، وسأل نفسه: إلى متى سيظل الناس يعانون بهذه الطريقة وحتى بغيرها؟! إلي متى سنظل نموت غرقي في البحار، أو قتلي على الشواطئ؛ هربًا من الواقع ولا نجد وقتها حتى من يوارينا الثري؟ إلى متى سيزداد الغني غنى ويزداد الفقير فقرًا؟ إلى متى سيظل يهرب ويشقي العلم ويبقي وينعم الجهل؟ وظلت تراوده الأسئلة والأفكار حتى خلد للنوم، واستيقظ في الصباح وكان التلفاز مازال مفتوحًا، فأغلقه سريعًا، وغير ملابسه، وتوجه إلى مقر التدريب، وفي نهاية اليوم أرسلت إليه إيزابيلا؛ كي يحضر إلى مكتبها وبالفعل ذهب إلى هناك، ثم أخبرته بأن ماركو بانتظاره، فسألها إلى أين سيقابله.

فقالت له: لا بد أن تتحرك معي إلى الخارج؛ كي تقابله.

فسألها إلى أين بالتحديد؟

فقالت له: سوف تعرف الآن، فهيا بنا.

وذهبا سويًا إلى حيث المبني الإداري الرئيسي والموجود به مكتب إيزابيلا نفسه وأخذا المصعد سويًا إلى الدور العلوي، وكان المصعد مخصص فقط إلى الصعود إلى مكتب ماركو، وقد كان المكتب في نهاية ممر كبير يؤدي إليه وحين وصلا حتى مكتب السكرتير الخاص بماركو، قالت له ويدعى روزاريو وللحرس المتواجدين على الباب: إن السيد ماركو يريده بالداخل.

فقال روزاريو: نعم فالسيد ماركو أبلغني أيضًا بذلك للتو، في إشارة منه للحرس؛ كي يفسحوا المجال لعلي الذي طلبت منه الدخول بمفرده ولم تدخل معه.

فسألها قائلاً: لما لم تدخلي معي؟

فقالت له: أنا عندي بعض الأعمال عليَّ أن أنجزها، كما أن الموضوع الذي سوف تتحدث فيه خاص وسوف أعود حين يطلب السيد ماركو مني ذلك، فلتتفضل، فهو في انتظارك.

ودخل عليه وقد كان المكتب في غاية الاتساع وبه عدد من الأبواب والتي لا يعلم إلى أين تنتهي وحين وصوله إلى المكتب الرئيسي وجده خاليًا، ولكنه سمع صوت بيانو يعزف من خلف إحدى الأبواب التي وجدها مفتوحة، فأخذه الفضول لسماع تلك المقطوعة ومعرفة من يعزفها، فتحرك في بطء نحو الباب، فإذا به يري ماركو عاكفًا على آلة البيانو عازفًا لتلك المقطوعة ومنهمكًا فيها وحيدًا، فأراد حين رأه على هذا الحال ألا يقاطعه حتى ينتهى، فوقف مكانه لنصف ساعة حتى أنهى مقطوعته وحينها صفق له، فأنتبه ماركو له مبديًا ابتسامة، ثم قال له وهو يلتفت نحوه:

إذن أنت هنا منذ وقت، أليس كذلك؟

نعم وأخذني الفضول إلى سماع ما تعزف، أضايقك ذلك سيد ماركو؟

بالطبع لا، فكم يسعدني أن يكون لي جمهورًا يستمع لما أعزفه، ولكن أخبرني هل أعجبك حقًا عزفي؟

رغم عدم إجادتي للموسيقي وأنني قلما أستمع لها، ولكنني شعرت باحترافية منك وظهر هذا من انهماكك في الأداء لفترة أكثر من نصف ساعة دون أن تشعر بي.

أعذرني علي على طول الوقت، ولكن أتعلم شيء؟ فأنا أنسى نفسي فعلاً حينما أعزف على تلك الآلة.

إذن أنتَ من محبي الموسيقي ومولع بها؟

بشدة وخاصة البيانو، فمنذ أن كنت طفلاً صغيرًا وأنا أحلم دومًا أن أكون عازف ناجح عليها حين أكبر، ولكن الظروف حالت دون ذلك.

عجبًا لهذا، أيكون لديك كل هذا ولا تستطيع تحقيق حلمك، كيف هذا؟!

صدقني فما أنا فيه الآن هو السبب في ذلك، فالعمل حقًا أعطاني أشياء كثيرة لم أحلم بها، ولكنه في ذات اللحظة سرق حلمي الوحيد والبسيط، هذه هي الحياة فلكل شيء مقابل ولكل نجاح ضريبته، ولكن كي لا أطيل عليك في مواضيع حتمًا سنتحدث فيها كثيرًا في وقت لاحق وفى جلساتنا الخاصة، فما الذي ألح عليك؛ لكي ترغب في مقابلتي، فقد أخبرتني إيزابيلا بأنه لديك رغبة في لقائي، أليس كذلك؟

بلى، فأنا لديّ موضوع خاص أريد أن أفاتحك فيه، ولكنني أخجل منه قليلاً؟

ألم أقل لك سابقًا أنه يتعين عليك أن تتعامل معنا كجزء من الأسرة وألا تتحفظ في أي موضوع؟! هيا تكلم يا فتي، ماذا تريد؟

أنا أبلغتك سابقًا سيد ماركو بأنني تركت أهلي بلا عائل ولا مال، وها أنا لم أحصل على عمل بالفعل بعد وليس لي دخل، فهل يمكنني أن..... ثم تردد في أن يكمل كلامه.

فقال ماركو:

أن ماذا علي؟ قل ما عندك لا تخشى من شيء، عليك أن تعتبرني مثل والدك هذان لم تمانع في ذلك؟

عفوًا سيد ماركو، فحتما سيكون لي الشرف، فقط أود أن أقترض مبلغ صغير أرسله لهم ويتم خصمه على حين تعتبروننني موظفًا فعليًا

لديكم، وإن لم تعتبروني موظفًا، فأعدك سيد ماركو بأنني سأبحث عن عمل بأسرع وقت لأسدد ديني لك .

فضحك ماركو بشدة لدرجة أن علي ظن أن هذا قد يعد رفضًا لطلبه بطريقة ساخرة، ولكن جواب ماركو عليه جاء بغير ذلك تمامًا حيث، قال:

هذا هو الموضوع الذي ترددت في إخباري به، حقًا أنك أخطأت يا علي حين تأخرت في إخباري بظروفك ومدى احتياج أهلك للمال، كما أحب أن أخبرك بأنك بالفعل تعمل لدينا منذ أول لحظة تقابلنا فيها بالبحر، تذكرها قطعًا، فمن وقتها وأنت يحسب لك راتب ومستحقات لدينا، ثم فتح الخزينة وأخرج مبلغ من المال يقدر بنحو(**8000**يورو) وأعطاه إياه.

فرد عليه قائلاً:

ولكن هذا المبلغ أكبر بكثير مما أحتاج إليه، بل إنه سوف يحل لي أغلب مشاكلي هناك، كما أنه لا يمكنني سداده، فكم سيكون راتبي؛ كي أسدد هذا؟

أولاً هذا المبلغ ليس بكثير عليك وثانيًا من قال لك أنك سوف تسدد هذا المبلغ من دخلك، فهذا ليس سوى مكافأة صغيرة مقدمة منا لك؛ نظير المجهود الذي بذلته في الفترة السابقة، والذي ترجمته التقارير التي ترفع عنك، والتي تظهر مدى التقدم المذهل لك.

ولكن كيف يمكنني تحويل المبلغ وأنت تمنعني من الخروج؟

لا عليك نحن سوف نقوم بتلك المهمة بالنيابة عنك، عليك فقط أن تعطي العنوان جيدًا إلى إيزابيلا وهي سوف تنجز الأمر.

ولكنني أود أن أتصل بهم؛ كي أطمئن عليهم ويطمئنوا عليَّ، فهم بالتأكيد على قلق شديد خاصة وأنا لم أتصل بهم منذ أن أتيت إلى هنا.

اطمئن فسوف نصلك هاتفيًا بهم حين يصلهم مرسالنا إلى حيث هم، فلا أريد منك أن تكثر الاتصالات تلك الفترة حتى تصبح أكثر تركيزًا في تدريبك.

أفهم من كلامك أن هناك أحدًا يتبع لكم سوف يوصل إليهم النقود بنفسه، فهل سيسافر أحدا لهذا الغرض مخصوص؟

لا، ولكن نحن شركة عالمية ومتعددة الجنسيات ولدينا مندوبين في كل مكان، فلا تقلق حيال ذلك.

أشكرك بشدة على هذا، فما حصلت عليه أكثر بكثير مما أطمح وأستأذنك الآن فقد أخذت كثيرًا من وقتك.

وأنا سوف أتصل على إيزابيلا؛ كي أفهمها الوضع

وأنصرف علي من المكتب متوجهًا إلى المصعد، فوجد المصعد بالأسفل وقادم للأعلى، فظن أن أحدًا قادم به، فإذا به صاحب الوجه العبوس والنظرة القاسية جيوفاني قادمًا نحو مكتب ماركو فبادر بالسلام عليه فرد عليه السلام بفتور ملحوظ ونظرة غريبة وتركه سريعًا وكأنه لا يريد أن يفتح معه حوار، فلم يبالي كثيرًا وأخذ المصعد إلى الأسفل، ثم دخل جيوفاني إلى المكتب بعد أن سمح له الحرس بناءً على أوامر ماركو لهم وحين دخل كان أول شيء قاله:

مالي أرى هذا خارج من عندك سيد ماركو ألديه حاجة؟

ألقي التحية أولاً جيوفاني قبل أن توجه لي أي سؤال ربما ليس من حقك.

اعتذر لك سيد ماركو، مساء الخير أولاً، ولكن لما لا يكون لي أي حق في سؤالي هذا سيد ماركو، فنحن عائلة واحدة ويحق لي كأي شخص يخشى على مصلحة المنظمة ومصلحتنا جميعًا أن يطرح سؤالاً كهذا.

فرد ماركو وظهر عليه الاستياء والانزعاج من طريقة الكلام: أعلم أنكَ وغيرك تخشون حقًا على المنظمة، ولكن من هذا الذي تتحدث عنه؟!

إنه هذا الشخص الذي أحضرته إلينا، وأدخلته بيننا، وأطلعته على أسرارنا.

فاحتقن وجه ماركو من فرط الغضب والانفعال قائلاً بلهجة حادة:

مهلاً، مهلاً، يا هذا، كيف تجرأ أن تتحدث معي بتلك اللهجة وهذه الطريقة الغير لائقة وتريدني أن أجيبك على تساؤلك؟

فشعر جيوفاني بالتوتر من داخله وعاد وتحدث بطريقة لائقة قائلاً:

أعذرني مرة أخري سيد ماركو على طريقتي، ولكنني لم أحدثك في هذا الموضوع منذ أن أحضرته إلينا رغم ما لاحظناه جميعًا من مدى الاهتمام المبالغ تجاهه من قبلكم وتسخير كافة الجهود له ولتدريبه، فأردت أن أعرف حقيقته وما دوره معنا خاصة وأنه ليس إيطالي ولست أنا الوحيد الذي يريد ذلك فتقريبًا هذا حال الباقين، ولكنهم يخشون توجيه أي استفسار لكَ؛ خشية من رد فعلك، فكان لزامًا علي كالعادة أن أواجه الموقف بمفردي.

أواجه الموقف بمفردي! أسمع جيوفاني وأريدك أن تسمع الأخرين أيضًا، فهذا الشخص كغيره هنا، هو من اختياري، أفعل به ما أريده، ثم أبقيه هنا أو أستغله في عمل أخر بالخارج أو أرجعه للبحر مرة أخرى،

فهذا شأني وحدي في النهاية، كما أن تلك المنظمة التي تقول بأنك تخشى عليها اعلم جيدًا أنني أشد خشية عليها منك ومن غيرك، فيكفي ما حدث منكم وجعلني أجلبه إلى هنا، فربما لو لم يحدث لما كان بينكم الآن، فتصرفاتكم الصبيانية قد ضقت بها ذرعًا ولا أعلم إلي أي مدى سأتحملها، كما أود منك ومن غيرك أيضًا ألا تسألني في هذا الموضوع مرة أخرى، كما أنني أحذرك من أن تنظر له تلك النظرات العدائية التي رأيتك توجهها إليه والتي لا تروق لي، كما أعتقد أنها لا تروق له أيضًا، والآن هات ما عندك.

فقال وهو يكتم غيظه بداخله

لقد وصل لي فاكس اليوم من بنووشي يفيد بأن هنري استولى على الصفقة الأخيرة وقتل عدد من رجالنا واستولى على الأموال بحوزتهم.

فانفعل ماركو بشدة وبدي غاضبًا حتى أنه قام بضرب يده بشدة على المكتب قائلا بعدها

ذلك الوغد الحقير المارق، كم من صفقة أضاعها لنا هذا العام واستولى عليها، كم من ملايين الدولارات راحت علينا، سوف أقتل هذا الوغد وأقتلع رأسه بنفسي.

نعم فهمت، إذًا لما لا تعطينا الضوء الأخضر للقضاء عليه؟

حتمًا سأعطيكم الضوء الأخضر للقضاء عليه وعلى غيره أيضًا ممن يسببون لنا الإزعاج في الأونة الأخيرة، ولكن ليس الآن، فأنت تعلم أننا جميعًا مكشوفون له كما أن لديه شبكة من الجواسيس علينا وأيضًا لديه عدد من العلاقات داخل الحكومة والتي تسير له أعماله؛ نظير المال، كما أن لديه حراسة مشددة وكثيفة ويسكن في أماكن داخل المرتفعات

والجبال يصعب الوصول إليها بالطرق العادية، ولكن كل هذا لن يمنعه مني فقط علينا الصبر، ومتى حدث كل هذا؟

منذ يومين تقريبًا في منتصف الليل، فقد كانت لديه معلومات عنها.

علينا أن نخفف من أنشطتنا هناك في الفترة المقبلة، فلا نريد خسائر أخرى الآن يكفي ما خسرناه.

سيد ماركو أظن أن بونوشي لم يعد له حاجة هناك بعدما أخفق أكثر من مرة في محاولة سد الفراغ المتواجد هناك، فأموالاً، ورجالاً، وصفقات تذهب سدى وأخشي أن يتعرض هو الأخر للأذى على يد هنري ورجاله.

دعه فترة أخرى، فربما تحدث المعجزة وينجح، كما أن هناك أمر أخر وهي رغبتي بألا يصدم بالضيف الجديد مبكرًا، فهو عادة لا يتحكم بلسانه مثلكم، ولكن بالنهاية لابد أن يعود، فأظن أنه سيكون له دور مهم هنا ودور مهم جدًا.

في هذا الوقت كان علي عند إيزابيلا بخصوص موضوع التحويل وأعطاها النقود مع العنوان كاملاً مع اسم المستلم، وطلب منها التعجيل في الأمر، فهم بلا مال أو عائل، كما أنه يرغب في الاطمئنان عليهم بسرعة، فهذه أول مرة يغيب عنهم كل تلك المدة.

فقالت له: لا تقلق، فسوف يتم كل ما ترغب به وسوف تطمئن عليهم أيضًا.

ثم تركها واتجه نحو جناحه مفكر في هذا الموقف من ماركو وحجم المبلغ الذي أعطاه إياه وخاصة وهو يقول أن هذا المبلغ ليس من راتبه

أنما هو فقط مكافأة وظل يردد في نفسه: أن كل هذا لن يكون أبدًا دون مقابل، ولكن ما أخشاه أنني لا أعرف ما هو المقابل، فربما يكون أكبر بكثير مما أستطيع أن أقدمه، فقطعًا لن يكون كل هذا نظير أن أكون موظف عادي في المجموعة لديهم أو حتي في المستوصف الموجود عندهم؛ بسبب تخصصي الأساسي في الطب، إنما الأمر أكبر بكثير خاصة بعد الأحداث والملابسات التي مررت بها منذ أن رأيته، ولكن ماذا يفعل خاصة وأنه صار متورط في قتل شرطي وأن الشاهد على ذلك هو ماركو نفسه وما عليه سوا أن يمكث حتى تتضح ملامح ما يجري هنا بالقصر ويصبح الأمر أكثر وضوحًا، ثم خلد للنوم.

وفي منتصف اليوم التالي أرسلت له إيزابيلا، فذهب إلى مكتبها وأعطته الهاتف الخلوي لديها؛ لكي يرد عليه، فإذا بأمه على الهاتف تحدثه، فلم ينسي صوتها الحنون عليه وهي تبكي بشدة وبحرقة من فراقه ومن لوعة الاشتياق له، وقد بادلها البكاء، فلم يتصل بها منذ شهور، فقد خشيت عليه أن يكون لقي حتفه في البحر أو أصابه مكروه، فطمأنها على نفسه وأطمأن على إخوته وسلم عليهم، وقد كان في غاية السعادة بذلك وهم كذلك بعد أن فقدوا صوته وفقد صوتهم طوال هذه المدة، وأخبرته والدته بأن المبلغ الذي وصلها كبير جدًا فسألته عن كيفية إنفاقه وهل تضع له المبلغ بحساب بالبنك، فرد عليها بأن المبلغ كله لهم وعليه أن يوفوا باحتياجاتهم وألا يقلقوا أبدًا فهو سوف يتواصل معهم فيما بعد، وظل يحكي مع والدته وإخوته لمدة زادت عن الساعة متناسيًا الوقت الذي يمر عليه دون أن يمل، ثم أنهى المكالمة معهم وأدرك أن مر عليه أكثر من ساعة وهو على اتصال بهم وذلك بعد أن خرج إلى إيزابيلا

في الخارج وقد كانت بانتظاره حتى ينهي مكالمته فقالت له: لا بد وأنك على اشتياق شديد لهم حتى تتكلم كل تلك المدة.

فسألها عن المدة، فقالت له: أنك تكلمهم منذ أكثر من ساعة.

فأعتذر لها عن طول المدة وأخبرها أن هذا يعود لطول الشوق لهم ورغبة في الاطمئنان عليهم، فقد انقطعت أخبارهم عنه منذ مدة طويلة، وشكرها على السرعة التي تم بها الأمر، فلم يكن يتوقع أن تمضي ساعات فقط حتى تصلهم النقود ويكلمهم مباشرة، ثم غادر مكتبها حتى يكمل يومه وقد كان في غاية السعادة وربما يكون هذا أسعد يوم له في تلك الرحلة.

ومرت أيام وأيام والفتى يزداد قوة وقدرة على التحدث بالإيطالية بطلاقة حتى أنه أصبح يشاهد البرامج الايطالية بسلاسة ويسر ويتحدث مع الجميع داخل القصر، وفي أحد الأيام بينما هو جالس في حديقة القصر اذا بأحد العمال المتخصصين في تقليم الأشجار يقع من على السلم الخشبي، فذهب إليه مسرعًا وحمله إلى داخل القصر وطلب من أحد الحراس أن يحضر طبيب، فوجد حالة من اللامبالاة بحال الرجل الذي يبدو أن قدمه قد كسرت، فحمله الى داخل المصعد وذهب به إلى المستوصف المجهز، فوجد به طبيب وطلب منه بالتعجل في علاج الكسر، وبالفعل قام بعمل اللازم له، ثم أدخله أحد غرف الرعاية وجلس بجواره لفترة ليست بالقصيرة وعلم من خلال جلوسه معه أنه لا يستطيع الكلام مما زاد من ألامه، ثم تركه ليرتاح وغادر، ثم بدأ يتردد عليه من حين لآخر حاملاً له الطعام والشراب ويطعمه بنفسه، حتى أنه كان يحمل له الزهور وحين يتردد عليه لم يري أحد أخر يذهب له حتى أن

إيزابيلا نفسها لما رأته يتردد عليها كثيرًا أخبرته ألا يشغل باله به هكذا فلديه ما هو أهم، فرأى منهم جميعًا حالة من اللامبالاة لأمر الرجل وكأنه يعمل في مكان أخر أو أنه ليس بإنسان، وسأل نفسه سؤال: لما يعاملوه هكذا رغم أنه يعمل لديه منذ زمن كما أن له ظروف خاصة في نفس الوقت الذي يعاملوني فيه هكذا بمنتهى الرقي، والتحضر، والاهتمام المبالغ، رغم أنني جديد لديهم ولم أقدم لهم شيء مجدي، فشقي المعادلة غير متفقين تمامًا، فشق به رعاية، وعناية، واهتمام مبالغ، والآخر به قسوة وحالة من اللامبالاة الشديدة للحد الذي وصل بأحدهم أن يقول:(دعه وشأنه ربما يأتيه الموت فوقتها يرتاح ويريحنا أيضًا) وقال في نفسه: يا لي هؤلاء، فأخشى ما أخشاه أن يأتي عليَّ اليوم الذي تتغير فيه معاملتي على هذا النحو وربما لأسوأ من هذا، فمن يدري؟ ولكن حتى يأتي هذا اليوم عليَّ أن أحتاط لنفسي وأحاول أن أحصل على أكبر قدر من المعلومات التي يتعمدوا إخفاؤها عليَّ، وخلال هذه الفترة التي كان يداوم فيها على زيارة هذا العامل من حين لآخر بدأ هذا الشخص يستشعر منه بنوع من الود والتعاطف معه، فأشفق عليه في نفسه دون أن يبوح أو يصرح له بشيء حيث رأى فيه من الأخلاقيات ما قد تختلف تمامًا عن أي أحد بالقصر، فبدا بالنسبة له شاب وقع في شباك صياد لا يمكنه الهروب منها شأنه في ذلك شأن أخرين وقعوا في نفس الشباك وربما لا يعلم بذلك ولا يدري بما يُحاك له في الخفاء، ثم بدأ يتقرب منه حتى بعد شفائه وعودته للعمل مرة أخرى، فكان يقطف له الزهور من حديقة القصر ويقدمها له من حين لأخر حين يراه جالسًا وحتى حين لا يحضر إلى الحديقة كان يذهب بها إلى غرفته، ولكن ما كان يلفت نظر علي أن هذا

الشخص يبدو من نظراته وتأمله له وكأنه يرغب أن يخبره بشيء أو ينبهه لأمر ما، ولكن هناك ما يمنعه من ذلك حتى أنه في يوم ما بدأ يتقرب منه وكأنه فعلاً يريد أن يخبره شيئًا، ولكنه حين رأى جيوفاني قادمًا من بعيد ارتعد وبدا عليه الذعر الشديد ورجع مسرعًا لعمله، فبدأ يسأل نفسه: يا ترى ما حقيقة هذا الشخص؟ وما الذي يريد أن يقوله لي؟ ومن يمنعه في ذلك؟ ولكنه يرجع مرة أخرى قائلاً: ربما تكون مجرد نظرات وأمور عادية ليس وراءها شيء، عليَّ ألا أشغل بالي بالأمر، وأكمل تدريبه وبدأت التقارير تتوالي حتى التقرير الأخير الذي ظهر من خلاله وصوله إلى أعلى المستويات في زمن قياسي، مما أذهل الجميع ولاسيما ماركو تحديدًا، كما أن التقرير أثبت من خلاله مدى التفوق الذهني لهذا الشخص ومدى العقلية الفريدة التي يتمتع بها كذلك أثنت على الأداء البدني له والذي بدا لافتا في بنيانه ولياقته مما دفع ماركو لعمل اجتماع على مستوى الأعضاء البارزين، وهم مجموعة النخبة لديه؛ لمناقشة أخر المستجدات بخصوصه وكذلك الدور الذي يمكن أن يلعبه في الفترة المقبلة، فطلب من إيزابيلا أن تحضر للاجتماع المزمع وأن تبلغ الجميع به، ولكن دون حضور علي أو حتى علمه بالاجتماع مع إحضار ملفه والمرفق به كافة التقارير الخاصة به والتي توضح سيرته الذاتية، ومعدل الأداء الذي وصل إليه من خلال التدريب، وكذلك المقاطع المصورة له والتي طبعًا لا يعلم عنها شيء، وبالفعل قامت هي بدعوة الجميع للحضور وقامت بكافة الترتيبات اللازمة في الاجتماع، وقد كان الاجتماع في وقت متأخر من الليل وحضر الجميع إلى مقر الاجتماع في الموعد المحدد، ثم بعدها بدقائق وصل ماركو

إلى غرفة الاجتماعات بالدور السفلي والمجهزة بكل شيء، فرحب بالحضور وبدأ يتحدث لهم قائلاً:

طبعًا أنتم لا تعلمون لماذا جمعتكم اليوم، فأومأ الحضور برؤوسهم دليلا على عدم علمهم بموضوع الاجتماع، فقال لهم: إننا نجتمع اليوم بخصوص هذا الشاب الذي جمعتكم به منذ شهور والذي أتيت به بالصدفة في أحد العمليات، كما أن لدى بعضكم علم بالموضوع وكيف تم ذلك، ولكن ما أود إخباركم به هو أنه كما تعلمون بأن أدائنا صار أضعف من السابق وعملياتنا صارت أقل؛ مما أدى إلى تجرؤ خصومنا ومنافسينا علينا، كما أن لدينا العديد من المهام والعمليات المعطلة طبعًا هذا كله مرجوعه إلى العديد من الأسباب، ولكن أهمها هو فقداننا لضلع هام في التنظيم كما تعلمون ومنذ فقدانه لم نجد الشخص المناسب الذي يمكن أن يملأ فراغه ويحل محله وكان هذا طبعًا؛ بسبب غيرة وحقد البعض هنا.

فقاطع جيوفاني الحديث حين علم أن الكلام موجه له قائلاً وقد بدت عليه علامات الضيق: في الحقيقة لم تكن غيرة أو حقد سيد ماركو، ولكن أطماعه الخفية، وغروره، وحب الانفراد، هم ما قادوه لمصيره المحتوم.

حينها عنفه ماركو بشدة والجميع ينظر في ترقب وخوف؛ لأنهم يعرفون ماركو حين يغضب ويرفع صوته، وقال له: لم يكن كذلك لولا غيرتك العمياء والتي أثارت هذا الشيطان الكامن بداخلك تجاهه وتجاه نجاحه، وتفرده، وتميزه عنك، غيرة دفعتك للتقرب منه ليس حبًا فيه، ولكن رغبة منك في دفعه باتجاه أخر، وللأسف هو بمنتهي الحماقة

سايرك وساير أطماعه وتطلعاته في ذلك، ولكن ماذا أقول؟ فلا فائدة في الكلام، فلن يعيد ما قد فات ومات، كما أحذرك أن تقاطعني مرة أخرى بهذا الأسلوب وإلا فسيكون الاجتماع أفضل بدونك، أفهمت؟

فلم يرد حتى رد مارسيلو الرجل الخمسيني، قمحي اللون، قصير القامة، والنحيف لحد ما، ولكنه يبدو أيضًا رشيق في نفس الوقت، ويتمتع بوجه مثلث، ذو وجنة ليست بالبارزة، وفك صغير، وذقن صغيرة، وجبهة مربعة، وأنف مائل للأسفل، ولديه شارب قصير، وذو شعر خفيف من الأمام مختلط ببعض خصلات الشعر الأبيض، تظهر على وجهه علامات الشك والفضول، نيابة عنه قائلاً:

بالتأكيد فهم سيد ماركو، فمن يجرأ على مقاطعتك منا.

فقال ماركو: طوال الفترة الماضية وأنا أبحث عن من يمكنه أن يحل محله إلى أن جمعتني الصدفة بهذا الشخص والذي كان طوق نجاة لي دون أن يدري بذلك وبعدها واتتني فكرة وهي أن يحل محله.

بدأت حالة من الاستغراب والتساؤل ترتسم على وجه الجميع حتى قال البيرتو:

عذرًا سيد ماركو، كيف يكون ذلك؟

فقال ماركو: أعلم البيرتو ما يدور بخلدكم والأسئلة التي تدور في ذهنكم عن هذا الشخص ومن هو؟ وكيف تستأمنه وتدخله بيننا بهذه السهولة، وتطلعه علي أسرارنا بما يمثل خطر شديد علينا؟ وكيف يمكن أن نثق به؟.

فردت إيزابيلا بعدما لاحظت الصمت والتساؤل على وجه الحاضرين: أظن أن ما أثرته سيد ماركو من تساؤلات هي نفسها ما تدور بعقول الجميع هنا.

هذا الشخص هو مهاجر غير شرعي، أتى إلى البلاد؛ كي يكسر حاجز الفقر واليأس الذي ألم به وإلا لما غامر بنفسه في البحر، كما رأيت وليس لديه أية أوراق ثبوتية مما يجعله شخص مجهول الهوية لدى السلطات، ولكنه معروف فقط لنا، كما أننا قمنا بمنعه الفترة السابقة من الخروج أي أنه لا يوجد أحد يمكنه التعرف عليه وبالتالي فسوف نقوم نحن بصناعة هوية هذا الشخص واستخراج شهادة ميلاده بهذه البلاد وبالتالي سوف يكون تحت سيطرتنا.

وهنا تدخلت سيرينا قائلة:

وكيف يكون هذا؟

فأجابها قائلاً: إنه باستخدام سياسة العصا والجزرة في آن واحد معه.

فردت عليه قائلة: الجزرة يبدو لنا أننا نعرفها وهو ينعم بها منذ أن أتى إلى هنا، ولكن كيف ستطبق معه سياسة العصا؟ وما هي الآليات في ذلك؟

فقال لها: سؤال منطقي سيرينا، فهذا الشخص لدي عليه ضغوط لا يمكنه الخلاص منها أبدًا ، ولكن أريد أن أزيد عليه تلك الضغوط؛ كي يرضخ لنا تمامًا و يصبح طوع أمرنا، فلا زلت أراهن عليه في أن يسد الفراغ الذي نعاني منه، فالتقارير التي أمامي يبدو منها مدى التفوق الملحوظ له والقدرات الذهنية التي يتمتع بها، وما أذهلني أيضًا ذلك التفوق البدني له، كما أن الشهادات الصحية والفحص الذي تم له يظهر أنه لا يُعاني من

شيء، وأنه يتمتع بكامل صحته ولياقته ولكن المشكلة تكمن فيما سترونه الآن، ثم طلب من إيزابيلا عرض بعض المشاهد المصورة له والتي بدا فيها هو في غرفته مع مشاهد أخرى وهو يتنقل في القصر والحديقة وأيضًا داخل التدريبات وظهر خلالها وهو يؤدي الطقوس الدينية ويصلي، كما عرضوا ذلك المشهد الذي حمل فيه عامل الحديقة ونقله إلى المستوصف ومدي الاهتمام والرعاية التي أحاطه بهما خلال تلك الفترة، كما أنه لم يتردد على الملهي الموجود بالقصر، كما ثبت أنه لم يقم بأي علاقة جنسية طوال حياته، كذلك لم يحتسي الخمر والمسكرات وغيرها.

فعلق ماركو قائلاً: هذا بالطبع يعكس مدى الأخلاقيات والتدين لدي هذا الشاب والتي لا تتماشى مع ما نرمي له وربما تكون حجر عثرة في سبيل تحقيق ما سيطلب منه مستقبلاً، فأنتم تعلمون تمامًا أن شاب بهذه الصفات، وهذه المثاليات، وهذا التدين لا يمكننا أن نحصل منه على ما نريد في الفترة المقبلة؛ لذا لا بد لنا من كسر هذا القيد علينا وزيادة الضغوط عليه حتى يكون راضخ بصفة دائمة، ولكن علينا أيضًا أن نكون حريصين على ألا يشعر بتلك الضغوط إلا حين نضطر إلى ذلك، كما أخبركم أيضًا بأنني قررت أن أقيم حفل في الخميس القادم له بمناسبة إنهائه لتلك الدورات والتدريبات وتميزه فيها وأنتم جميعا مدعوون لها، فعليكم التعامل معه بود وقرب أكثر؛ حتى يشعر بالأمان معكم، وخاصة أنت يا جيوفاني عليك أن تغير من أسلوب تعاملك معه؛ لأنه ربما يصبح زميل لك في المستقبل وتتعامل معه كثيرًا.

فرد عليه بمكر قائلاً

بالطبع، فأعدك سيد ماركو أننا سنصبح أعز صديقين.

فعلق عليه قائلاً ومشككًا في نفس الوقت في نواياه:

حقًا؟! أتمنى ذلك، الأهم مما فات هو أنه من الضروري له الانتقال إلى المستويات الأكثر احترافية، وسرية، وأيضًا الأكثر أهمية، وهو التدرب علي مختلف الأسلحة، والذخائر، والقنابل اليدوية وكيفية استخدامها، وكذلك التدرب على سبل الاختفاء من أنظمة المراقبة والكاميرات المتعددة والتي يمكن أن يتعرض عليها فيما بعد، وأيضًا فك الشفرات المعقدة وقرصنة أجهزة الحاسوب المتصلة بالشبكات، والتعامل مع الأجهزة المتصلة بالأقمار الصناعية، ولكن كما أخبرتكم سابقًا فالمشكلة تكمن في طبيعة هذا الشخص والأسئلة التي من الممكن أن يطرحها علينا بخصوص هذا السياق والتي من الصعب إجابته عليها إجابة صريحة في هذا التوقيت، فكيف يمكننا نقله إلى تلك المستويات في التدريب دون أن نعطيه تفصيلات هامة عن أعمالنا في هذا التوقيت، فلابد لنا من سبيل أخر للإقناع بحيث لا يخرج عن سيطرتنا عليه أو يتمرد علينا، فلا نريد صدامات في بداية الطريق.

هنا أشار جيوفاني رغبة منه في الكلام، فسمح ماركو له فقال:

عندي لكم اقتراح أرجو أن تسمعوه، فالتفت الجميع نحوه وبدأوا ينصتون له في اهتمام، ثم أكمل قائلاً: إن هذا الشاب كما تتحدثون وكما رأيت هو شاب ملتزم، ومتدين، وذو أخلاقيات، كما لم يسبق له أن أقام أية علاقات سابقة، كما أنني علمت بأنه ينحدر من دولة عربية وهذه الدول لها تقاليد شديدة وصارمة في مسائل معينة خاصة تلك التي

تتعلق بالشرف والعفة وبالتالي فإن فرصتنا في فرض قيود أكثر عليه تبدو سهلة خاصة وهو شاب بكامل رجولته ولديه الكثير الذي يحتاج فقط إلى شخص محترف؛ كي يظهره. ثم ردت (إيزابيلا) عليه:

ماذا تقصد بكلامك؟ أرجوك وضح أكثر لنا.

فقال: على العموم طالما أن هناك حفل سيقام بمناسبة إنهاء للتدريب، فأظن أنها ستكون فرصة مناسبة لتوضيح ما سأقوم به.

فرد عليه البيرتو:

وما علاقة هذا الحفل بما ترمي إليه جيوفاني؟

فقال: عليكم أن تدعوا الباقي لي وأنا سوف أدبر الأمر بنفسي.

هنا تدخل ماركو الذي ينصت له في اهتمام، ولكنه يخشي في نفس الوقت من تصرفاته، قائلاً: سوف ننفذ اقتراحك هذا وها نحن سنقيم الحفل له، ولكن عليك ألا تفعل شيء جنوني من أفعالك التي أعلمها؛ كي لا نخسره نهائيًا، أفهمت؟

فرد قائلاً:

اطمئن سيد ماركو، فأنا أخبرتك سابقًا بأننا سنصبح أعز صديقين، ولكن فقط أود أن أقدم خدمة، وأخرج القدرات الكامنة في هذا الشاب، وأكسر تلك العقبات التي تعيق إظهارها، فقط هذا كل ما في الأمر.

ثم وجه ماركو كلامه إلى إيزابيلا قائلاً لها:

عليك أن تحضري لهذ الحفل وترتبي له وأيضًا إبلاغ علي به وعلى الجميع الحضور فيه، ثم أنهى الاجتماع وتوجهوا الجميع للخارج وكان القلق باديًا عليهم جميعًا مما سمعوا، فهم يخشون بشدة على أنفسهم مما قد يقع عليهم مستقبلاً، ولكن لا يمكنهم فعل شيء، فالرأى أولاً وأخيرًا

بيد ماركو وهو المسئول عن كل شيء، فهو سيكون أكثر إدراكًا للأمر منهم، كما أنهم لم يتعودوا أن يردوا له أمر أو حتى يناقشوه في قرار اتخذه.

الفصل الثالث

مرت عدة أيام حتى حان موعد الحفلة المرتقبة، وكان قم تم إبلاغ علي بها، الذي فوجئ بالأمر، ولكن لم يبدي أية ممانعة، وتم التحضير للحفل، وحضر الجميع فيه، وقد كان حفلاً صاخبًا وراقصًا لم يتعود عليه، ولكن كان لزامًا عليه أن يُلبي الدعوة، فالحفل كله على شرفه هو، فكيف لا يحضره؟! بل عليه أن يكمله للنهاية، وكان يومها في أجمل صوره، فكان يرتدي بدله في غاية الفخامة، وبدا يتجول بالحفل ويتعرف على الحضور، وما لفت نظره هو هذا الأسلوب وتلك المعاملة التي ظهر بها صاحب النظرة الجافة وتعبيرات الوجه القاسية والتي ظهر فيها نوع من الود والابتهاج به على نحو غير معهود منه تجاهه، حتى أنه كان يحتفي به بنفسه ويقدمه للحضور بوجاهة عالية وأسلوب راقي، إنه جيوفاني، الرجل الخمسيني، الطويل، قوي البنية، العريض المنكبين، صاحب الوجه المربع، ذو الجبهة المربعة الضيقة، والفك العريض، لديه عظام وجنتان بارزتان، صاحب الشعر الأسود القصير المختلط ببعض بصيلات الشعر البيضاء خاصة من الجوانب، وذو حاجبين متقاربين كثيفين، وعيون بنية متوسط الحجم، يبدو من قسمات وجهه بأنه شخص عنيد، وغضوب، وماكر أيضًا، ويتمتع بذكاء عالي، وواقعي للغاية، لا يهتم بالعواطف، فبدأ قائلاً: يسعدني أن أقدم لكم اليوم صديقنا وزميلنا الجديد والذي نتشرف بانضمامه لنا ونسعد به، ونحن هنا اليوم نحتفل على شرف إنهائه كافة الدورات التدريبية بامتياز وأداء عالي يعكس مدى التفوق الملحوظ له والبراعة التي يتمتع بها، متمنيين له

دوام النجاح والتوفيق، ثم تناولوا جميعًا بعد ذلك الطعام والشراب، وكان حاضر وقتها ماركو وكان جالسًا بجواره دليلاً على مدى الاهتمام الخاص به متناولاً أطراف الحديث معه، قائلاً: أخبرني علي، فأنا أراك ترحب بالضيوف، فهل أصبحت أكثر انسجامًا مع الوضع هنا أم تحتاج لمزيد من الوقت؟

فرد عليه قائلاً: في الحقيقة الوضع تحسن كثيرًا سيد ماركو عن الفترة السابقة، فقد أصبحت حقًا أكثر انسجامًا وأصبحت معتادًا على المكان، والأشخاص، والعمال، ولكنني سيد ماركو لا أعرف الخطوة القادمة في العمل لي هنا.

فرد عليه ماركو قائلاً: لا تقلق، فأنت منذ بدأت التدريب وأنت معنا وسوف نحدد دورك في أقرب وقت ممكن، فلا يمكننا الاستغناء عنك خصوصًا بعد أن أثبت مدى كفاءتك وقدراتك التي راهنت عليها وها أنا أكسب الرهان وأنت الآن على بعد خطوات من الهدف الذي جئت لأجله.

فسأله: وما هي تلك الخطوات؟ ومتى نبدأها؟

فقال له: لا تستعجل، فقريبًا ستعرف كل شيء، عليك فقط الآن أن تحتفل مع أصدقائك، وتستمتع بوقتك، وتكمل سهرتك، تلهو، وترقص، وتمرح، لا تترك شيء يمكنك فعله إلا وفعلته، فهي ليلتك وحفلك والجميع هنا مدعوون على شرفك أنت، فاغتنم وقتك؛ لأنني سوف أغادر بعد دقائق من الآن، فأنا رجل كبير في السن كما ترى ولا يناسبني كثيرًا جو الاحتفالات والموسيقي الصاخبة هذه.

ثم بعد تناول الطعام مكث ماركو لبعض الوقت قبل أن يغادر ويتركه يحتفل مع زملائه، ثم أقبل عليه جيوفاني مرة أخرى وفي وجهه ابتسامة صفراء لا يعلم ما يخفي خلفها مخاطبًا إياه: مالك يا صاح؟! مالي أراك منفردًا بنفسك ولا تشارك الأخرين الحفل أم أن هذا النوع من الحفلات لا يعجبك أو لا يناسبك؟

فرد عليه: لا شيء جيوفاني، فقط أنا لم أعتاد على الحفلات عمومًا في حياتي وهذه أول مرة يقام لي فيها حفل، كما أن الحفلات لدينا تكون مختلفة تمامًا عن حفلة كهذه، فلا أعلم ماذا يمكنني أن أقدمه أو أفعله في حفل كهذا.

ثم رد عليه: كيف تقول ذلك يا رجل؟! بل يمكنك فعل الكثير هنا، فأنت صاحب الحفل فتعالى معي سأريك ما يمكنك فعله غير الطعام الذي التهمته لتوك، ثم أخذه وأتجه نحو البار المخصص لتقديم المشروبات الكحولية، وطلب من النادل أن يحضر كأسين من الخمر لهما، وقام بتقديم الكأس له طالبًا منه أن يحتسي الشراب، فرفض في البداية بشدة هذا الأمر موضحًا له أنه لم يحتسي الخمر سابقًا، كما أنه يتعين عليه ألا يفعل ذلك أبدًا، فلا يمكنه بأي حال أن يشربه.

فضغط عليه قائلاً له: أعلم أنك إنسان محافظ من هذا الشيء حتى أنا نفسي أقلل منه هذه الأيام؛ بسبب كلام الطبيب لي، ولكن لا بأس في كأس واحد فقط هذا اليوم إكرامًا لي، فلا يمكنك أن تردني هكذا في أول شيء أقدمه لك، ألا تريدنا أن نصبح أصدقاء.

فقال: بلى، ولكن.

فرد عليه وقتها: ولكن ماذا؟ فكأس واحد لا يضر، صدقني لا يضر، فهيا خذه من يدي أتعجبك يدي أن تبقي معلقة كثيرا هكذا؟

فشعر بالإحراج ولم يجد وقتها بد من إصراره الممل هذا سوا أن أخذه من يده وبدأ يشربه، ولكن عانى بشدة من هذا الطعم اللاذع والذي لم يعتاد عليه والناتج من التعتيق الشديد للشراب، وطبعًا بعدها بدأ يثمل بسرعة خاصة وأنه غير معتاد على هذا في حياته كلها، ثم تناول كأسا أخر وثالث حتى دخل في حالة سكر تام وثقل رأس شديد، فأصبح لا يدري بما يجري حوله ولا حتى يدري بتصرفاته وقتها،

أشار جيوفاني لإحدى النساء التي تربطه علاقة بها وقد دعاها للحفل وكانت تدعي سوزانا حتى تجالسه وتركها معه وغادر، ثم بدأت تتعرف به وهو في تلك الحالة من السكر وتلاطفه وتبادله الكلام وتشرب معه، ثم بدأ الجميع يغادر الحفل حتى بقيا الاثنان فقط، فأخذته وذهبت به إلى جناحه في الرابعة تقريبًا بعد منتصف الليل، ولم تكتفي بذلك، بل دخلت معه وبدأت تخلع ملابسها أمامه مستغلة حالة السكر التي به وذلك بهدف إثارته، ثم حدث بينهما ما لا يحمد عقباه؛ حيث وقع في الفاحشة معها دون أن يدري وهو في تلك الحالة، ثم نام على حالته واستيقظ بعد فترة طويلة من النوم العميق لم يعتاد عليه منذ ذلك اليوم الذي أتي فيه إلى هنا، ولكنه صدم حين وجد نفسه على تلك الحالة وكيف وصل إلى غرفته، ثم بدأ يتذكر الأحداث التي مر بها بالأمس وكان أخر شيء يتذكره بوضوح هو تلك اللحظة التي رضخ فيها لطلب جيوفاني بتناوله كأس الخمر، ثم بعدها حدثت أشياء لم يعد يتذكرها بوضوح وكأنها أحلام وهذا بالفعل ما تمناه في نفسه فالذي يدور في خلده

من أفكار وذكريات عن تلك الليلة لا يمكن أن يكون حدث، فهي مجرد أضغاث أحلام ولا أساس لها، فكان يقول في نفسه: لا بد أن أحدهم حملني إلي هنا بعد حالة السكر التي تعرضت لها جراء تناول هذا البلاء وقمت أنا بعدها بتغيير ملابسي، ثم ذهبت إلى السرير وما حدث بعد ذلك لم يكن سوي أحلام تعيسة، نعم، نعم إنه كذلك عليَّ فقط الآن فقط أن أنهض من سريري وأبدأ يومي الذي مر منه الكثير وعليَّ ألا أعود إلى ما فعلته أمس، تبًا لهذا الشخص جيوفاني عليَّ أن أحتاط منه، ثم نهض ودخل إلى الحمام واغتسل جيدًا، ثم خرج وبينما هو على المرآة إذا به يجد ورقة وعليها وردة حمراء، فأخذها بيده وفتحها ليجد بها جملة واحدة وهي (لقد كانت أفضل ليلة قضيتها في حياتي)، والغريب أنه كان مطبوع عليه بأحمر الشفاه وظن أن ما دار في ذهنه ربما لم يكن حلم، فذهب مسرعًا نحو السرير يتفحصه وكأنه يبحث عن شيء يثير اهتمامه وإذا به يصدم حين وجد خصلة شعر نسائية عليه، فتأكد مما حدث وأن بالفعل ما رأه لم يكن حلم وإنما حقيقة بائسة أخرى ومصيبة جديدة وقع فيها، فانهار وشعر بالإحباط الشديد جراء ما حدث، فهو الشخص المحافظ طيلة حياته، كيف يرتكب كل تلك الأخطاء والآثام وفي ليلة واحدة؟! وبدأ يسأل نفسه: ومن هذه الفتاة؟ وما الذي أتي بها إليَّ؟ ولما أنا تحديدًا؟ وهل علم أحد بالأمر؟ وكيف سيكون موقفي لو علم أحد؟ ولكن المصيبة ليست في علم أحد؛ لأن ما حدث في حد ذاته مصيبة كبيرة، ولكن عليَّ أن أصل إلى تلك الفتاة وأعرف منها حقيقة ما حدث وتؤكد لي، هل حدث هذا فعلاً أم لا، وما الذي دفعها لذلك؟ ثم استأنف قائلاً: ماذا أصابني؟ وهل بدأ ينحرف بي الطريق عن المسار وإلى أي مدى

سيظل الانحراف هكذا؟ وهل فعلا بدأت أقدم تنازلات؟! عليَّ أن أعود إ9لي صوابي، فأنا لدي قيم ومبادئ لا يمكنني التنازل عنها لأي سبب وهي بمثابة ثوابت بالنسبة لي سواء في وطني، أو هنا، أو أي مكان، عد إلى رشدك يا علي واحرص على نفسك، فأنت في وسط أناس يختلفون عنك تمامًا ووضعهم وقيمهم تختلف عن قيمك، كما أن هناك حالة من الغموض الواضح في الموضوع وأيضًا المتعمد والذي لا أعلم مبرره للآن، ثم قرر الخروج من غرفته والتجول بالقصر حيث أن هذا اليوم مر منه وقت كبير، فلا يمكنه الاستفادة منه بعد ذلك، ولكن هذا الموضوع لم يفارق ذهنه خاصة وأنه لا يتذكر كل الأحداث بوضوح، فبدأ يسأل العمال، والحراس، وموظفي القصر عن حالته بالأمس وكيف كان؟ فأخبروه بأنه كان ثمل وقضى سهرته، ثم ذهب نحو غرفته فسألهم: هل كان هناك شيء غير عادي؟ فهل صحبني أحد مثلاً إلي غرفتي؟

فأجابوه بأنه لا يوجد شيء غير عادي كما يظن، كما أنه ذهب إلى غرفته بمفرده ولم يروا معه أحد، فتحير من أمره أكثر، فذهب بعدها إلى إيزابيلا؛ ليسألها تقريبًا نفس الأسئلة، ليجد أيضًا تقريبًا نفس الردود، ولكنها سألته: وما يشغل بالك في الأمر؟ أهناك مشكلة ما؟

فقال لها وهو شارد الذهن قليلاً: لا، لا، ولكن فقط أردت أن أعرف ما الأحداث التي مررت بها بالأمس وكيف ذهبت إلي غرفتي؟ هذا كل ما في الأمر.

فردت عليه: لا تزعج نفسك هكذا، فالأمر عادي جدًا، فكل شخص منا يذهب إلى حيث ينام حين تنتهي سهرته حتى وإن كان ثملاً قليلاً، هذا حدث لنا جميعًا، فما فائدة أن تشغل بالك وفكرك بذلك.

فما كان منه إلا وأن تركها وحين غادر من عندها إذا به يجد جيوفاني، فقام مسرعًا نحوه؛ ليسأله عن حاله أمس وماذا جري له؟ فهو أدري شخص بذلك؛ لأنه أخر إنسان يتذكر بوضوح أنه كان معه ولابد أن يجد عنده إجابة لما يدور بخاطره، ولكنه لم يزيد عما قاله الأخرين وما قالته إيزابيلا، فازدادت حيرته وبدأ يحدث نفسه في صوت خافت، وكان جيوفاني بجواره قائلاً: ومن وضع الورقة والوردة على المرآة إذا؟

فرد عليه جيوفاني وكأنه متعجبًا لكلامه وأيضًا لا يدري بشيء، ورقة! وردة! أي ورقة وأية وردة تقصد بكلامك؟! فالورد في حديقة القصر كثير ومتنوع يمكنك أن تأخذ منه ما تشاء إن كان لك شوق فيه، أما الورق فيوجد منه الكثير أيضًا بالمستودع.

فرد عليه: لم أقصد ذلك، ولكنها فقط خواطر تدور في عقلي، فلا تلقي لها بالاً، وتركه أيضًا واتجه نحو غرفته مرة أخرى وبدأ يعيد التفكير بما جري ويقول لنفسه: إن كان ما حدث كما يقولون، فمن وضع تلك الورقة والوردة عليها؟ وما سر تلك الشعرة التي وجدتها على سريري؟ ولمن تعود؟ وهل تترجم الأحلام إلى واقع؟ كما أن الجميع يجيب تقريبًا نفس الإجابة وكأنهم اتفقوا على ذلك فيما بينهم، ولكن لما وما الهدف في هذا؟ وهل هم فعلاً اتفقوا على ذلك، أم أن هذا ما رأوه فعلاً، أم ربما حدث هذا دون أن ينتبه أحدًا لذلك؟ يا لتلك الخمور فعلاً تُذهب العقل، فاللعنة عليها وعلى في تلك الليلة الأثمة، لو لم أشرب لما صارت الأوضاع إلى ما عليه الآن ولما كنت في تلك الحيرة من أمري، ثم نام تلك الليلة وهو على حاله من الفكر والحيرة، فالأمر بالنسبة له سابقة خطيرة في سجل حياته المحافظ والذي لا يعرف فيه سوا العمل والجد فقط وربما يصبح

بداية تنازلات كثيرة، فلما لا وهو يتعرض منذ بداية تعرفه بهؤلاء إلى هنا لأشياء غريبة وخطيرة على الأقل بالنسبة له ولم يمارسها من قبل، فقد قتل، وشرب الخمر، ومارس علاقة جنسية، فماذا بعد هذا من ذنوب، وآثام، وجرائم، وماذا سوف يكون موقفه أمام أمه وإخوته لو علموا بالأمر وأن الشخص الذي يعلقون عليه آمالهم ها هو أصبح منغرسًا في الملذات من دون توقف ونامت عيناه، ولكن عقله لم ينام، فما زالت تلك الصور البائسة اللعينة المرسومة في ذهنه تبرز في منامه وتطارده في أحلامه بداية من تركه بلده ووطنه مرورًا بما حدث له في عرض البحر وإطلاقه للرصاص على الضابط، ثم ها هي تلك الحفلة وما جري بها، فماذا بعد هذا من زلات وما زال هكذا تطارده كوابيسه التي استباحت منامه في كل ليلة حتى استيقظ في الصباح والعرق يتصبب منه رغم برودة الأجواء.

كان يتجول بمركز التدريب حين حضر بيترو الذي بادره قائلاً:

صباح الخير يا صديقي.

صباح الخير عزيزي بيترو.

. مالي لم أراك من وقت الحفلة، أبك مكروه؟

. لا شيء سوا أنني استيقظت بالأمس في وقت متأخر من اليوم؛ لأنني قد نمت في وقت متأخر جدًا غير معتاد عليه.

. لا بأس في هذا فأنت فتى نشيط منذ أن عرفتك، فلا بأس من ليلة، كما يبدو لي أنك غير معتاد على الحفلات، أليس كذلك؟

. نعم صدقت في هذا، فأنا غير معتاد على تلك الحفلات ولا على ما يقدم بها.

.وما هو الذي يقدم بها وأنت ليس لك رغبة فيه؟

. الكثير ولا سيما الخمور، فقد شربت منها حتى الثمالة مما أفقدني وعي، فلم أعد منتبهًا لتصرفاتي، حتى أنني وصلت إلى غرفتي دون أن أدري كيف حدث هذا؟ وهل صحبني أحد إلى هناك؟

. يا صديقي هون على نفسك، فالمسألة ليست بتلك الخطورة والصعوبة كما تظن، فكلنا شربنا ورقصنا، فما المشكلة إذا؟! أنت فقط تصعب الوضع على نفسك، فعلى حد علمي أنك شخص محافظ وأتيت من بيئة تختلف عن هنا ما شكل لك نوعًا من الصدمة التي ستعتاد عليها مع الوقت.

. تقصد اختلاف ثقافات؟

. قطعًا هو ذاك علي، اختلاف ثقافات وهذا أمر طبيعي لكل البشر، فربما لو ذهبت أنا إلى مصر وتحديدًا إلي بلدك أو قريتك سأعاني حتمًا في بداية الأمر كثيرًا حتى أتأقلم مع طباع الناس والأوضاع هناك ، ربما سيأخذ منك ذلك هنا المزيد من الوقت، ولكنك حتمًا ستكون جزءًا منه، كما أحب أن أنبهك إلى أمر هام بأروبا وهنا أيضًا بإيطاليا، فستجد علي كل شيء من شراب، ونساء، وملذات الحياة كلها، وأيضًا ستجد بالمقابل عمل وجد واجتهاد، ورقي، وتحضر، وتقدم، هنا لن يجبرك أحد على اتخاذ مسار بعينه أو ممارسة شيء أنت لا ترغب به، وما يهمنا ويهم السيد ماركو تحديدًا هو ما تقوم به حاليًا من تدريب وتأهيل أثمر بالفعل بالنتائج المرجوة منه، أما مسألة الشراب، والرقص، والحفلات هذه فهي أمور ترفيهية تخصك وحدك ولا تعنينا في شيء، أفهمت ما أقصده من كلامي لك؟

فبدا وكأنه مرتاح لحديثه، وقال: يبدو لي ذلك بيترو، ولكن أخبرني الآن ما السر وراء هذا الحفل؟

. هذا عرف تعارفنا عليه هنا، فقد أقيم لنا حفلات في السابق، فليست هذه هي المرة الأولى ولن تكون الأخيرة، فربما ترى بنفسك حفلات تقام على شرف أخرين بالمستقبل.

. وماذا سوف يكون دوري ومهامي في الفترة المقبلة؟

. إجابة هذا السؤال تعود للسيد ماركو، فهو من سيحدد طبيعة دورك في الفترة المقبلة، ولكن أخبرني أولاً هل لك علم بقيادة السيارات؟

. لا، فلم يسبق لي أن قدت سيارة أو حتى املكتها.

. إذا عليك تعلم كيفية قيادة السيارات، فحتمًا ستقودها كثيرًا في المستقبل القريب.

. فكرة جيدة، ولكن كيف يكون ذلك وأين؟

هنا، فلدينا من سوف يشرف على تعليمك دون أن تضطر إلى اللجوء إلى مدرسة للقيادة، فلدينا كل شيء، فهيا بنا الآن؛ كي أعرفك بمن سيدربك.

ثم مشيا الاثنان إلى الجهة الخلفية من القصر حيث قابله بمن سوف يشرف على تعليمه القيادة، وبالفعل بدأ التدريب بنفس اليوم بساحة كبيرة مخصصة ومصممة لهذا الغرض، وتدرب على ثلاثة طرازات من السيارات وأيضًا دربه على قيادتها بالطرق المحيطة بالقصر، وبالفعل أتقن الموضوع في ستة أيام، ولكن ما الفائدة في هذا، فهو لن يتمكن بالخروج بأية سيارة والتجول بها داخل المدينة كالأخرين، ولكنها رغم هذا تبقي إضافة له في سجله، كما أنه يمكنه في أي وقت أخذ أي سيارة تناسبه

والتجول بها تلك الساحة الكبيرة أو حتى حول القصر، وكان هذا ما أخبره به بيترو وقتها حتى يظل يجيد ما تدرب عليه، ثم مرت بعدها بضعت أيام والوضع لم يتغير كثيرًا، فهم لم يسندوا له أية أعمال ولم يطلبوا منه أية مهام، فهو في حيرة شديدة من وضعه، فهو يريد أن يعرف بالتحديد ما وظيفته الفعلية في هذا المكان، فلا يمكن بأي حال أن يبقى هكذا بلا عمل واضح، فالوضع يبدو مريبًا، كما أنهم لم يخبروه أنهم سوف يستغنوا عنه؛ كي يبحث عن حلول أخرى، فالأمر بالنسبة له حتى تلك اللحظة ما زال يفتقد للمنطق، كما أنه غير مقتنع بردودهم له عن أسئلته، ولكن ماذا يمكنه أن يفعل؟ فأصبح مصيره بين يدي هذا الشخص المريب، بعد مرور عدة أيام على الحفل طلب جيوفاني مقابلة ماركو على وجه السرعة وكانت إيزابيلا حاضرة لتلك المقابلة التي دارات بينهم.

. طلبت مقابلتي على وجه السرعة، ما خطبك؟

. ها قد حققت رغبتك

. حققت رغبتك؟! وضح ما تقول جيوفاني فلا وقت لديَّ لألاعيبك هذه.

. ضيفنا الجديد.

. علي؟! ماذ حدث له؟

لم يحدث له شيء، ولكن حصلت على أداة الضغط عليه التي سوف تمكننا منه على أيه حال والتي لا يستطيع التصدي لها.

فهز ماركو رأسه قائلاً: جيد أنه حقًا أمر جيد، إذًا هلا أخبرتني ما هي تلك الوسيلة وكيف حصلت عليها، ثم التفت ناحية إيزابيلا وكأنه لا

يريد تواجدها، فقال ماركو حين لاحظ ذلك منه: تحدث ياهذا فإيزابيلا تعلم كل كبيرة وصغيرة بالمنظمة أهذا، أمر جديد عليك؟

. أتذكرون الحفل الذي أقيم على شرف الضيف؟

. نعم وما علاقة الحفل بما صنعت؟

. لقد جعلته يحتسي الخمر حتى سكر بشكل تام وأصبح لا يدرك شيئًا مما يفعل، ثم بعثت له بإحدى المومسات التي تعمل معنا وقضت معه ليلة ساخنة.

فقالت إيزابيلا:

وما فائدة ذلك، تقريبًا الكل فعل نفس الشيء إذا ما يضيره في ذلك.

. الفرق كبير عزيزتي، الكل فعل هذا طبعًا، ولكن لم ننتج له فيلمًا شيقًا كالذي سوف تشاهدونه هذا، ثم أخرج أسطوانة مدمجة من سترته ووضعها أمام ماركو على مكتبه.

فردت إيزابيلا:

صورته إذًا؟ أنتَ حقًا شيطان يا جيو، هل يعقل أن تكون أول معاملة رسمية بينك وبينه بهذا السوء يارجل؟

. أنا فقط أردت أن أقدم خدمة لكم ولك أنت تحديدًا سيد ماركو وأرحب بصديقي الجديد على طريقتي الخاصة.

فقال ماركو بعدما صفق له:

أتعلم يا جيوفاني لماذا احتفظت بك طيلة هذه السنين للعمل معي رغم أخطائك الكارثية؟

. مع أنني لا أرى لي أخطاء، بل هي إنجازات لا يستطيع غيري تحقيقها وأنتم دومًا تشككون بها، ولكن لا بأس سيد ماركو، فحتمًا يساورني الفضول لمعرفة السبب.

. إنها رأسك القذرة التي تحتوي على العديد من الأفكار القذرة التي نحتاج لها في كثير من الأحيان في أعمالنا، والآن إيزابيلا خذي الاسطوانة من جيوفاني وضعيها في الخزينة الخاصة لي.

. نحن لم نشاهد بعد المشهد الساخن لصديقنا الجديد؛ لنتعرف على جانب من مهاراته الجنسية خصوصًا مع عاهرة محترفة كسوزانا.

. إلى هنا دورك انتهى يا صديقي ودع مشاهدة مهارات الضيف الجديد لنا، عليك فقط أن تركز على مهاراتك وألا تعلم أحد مهما كان على ما حدث خصوصًا هو وألا تحتفظ بأية نسخ أخرى، كما أنني لا أرغب منك أن تحضر هذه العاهرة إلى هنا مرة أخرى، أفهمت؟

فبدا عليه الامتعاض ورد قائلا

أمرك سيد (ماركو)، ولكن كيف ستستخدمه معه إذا كنت لا تريد مني حتى إخباره بالأمر؟

. ربما قد لا نحتاج لهذا المقطع وسوف أطلعكم على خطتي في اجتماع آخر واشمل للجميع وقطعا بدونه.

فغمغم جيوفاني قائلاً:

هكذا دائمًا يضيع مجهودي في تلك المنظمة اللعينة.

فانتبه له ماركو قائلاً:

مالك يا صاح أتحدث نفسك؟

. لا، فقط أمور خاصة مرت بخاطري.

. أمور خاصة مرت بخاطري. . منذ متى والأمور الخاصة تشغلنا في الاجتماعات العامة وخصوصًا وأنا موجود بها؟ ثم بالمناسبة طالما أننا موجودون معًا فمالي ألاحظ فيك حالة من التوجس والخوف منذ قدوم الضيف الجديد، أتخشى علينا منه أم تخشى من نجاحه؟

فبدت حالة من الانزعاج والضيق تظهران على تعبيرات وقسمات وجه جيوفاني ورد بلهجة جافة:

منذ متى سيد ماركو وجيوفاني يخشى أحد، فلا يستطيع أحد هنا سابقًا أو لاحقًا أن يقدم للمنظمة مثل الذي قدمته سابقًا ولازلت أقدمه حتى تلك اللحظة، فأنا دائمًا رجل المهام الصعبة التي يعجز عنها الأخرين، فأنا جيو الخطير.

فضحك ماركو ساخرًا من كلامه، ما دفع إيزابيلا التي تتابع السجال بينهما دون تدخل من الضحك هي الأخرى، ثم قال بسخرية:

لا تغضب يا، يا جيو الخطير، فأنا أعلم تمامًا قدرك هنا، كما أعلم قدر كل عضو هنا وحجمة وقدراته، كما أيضًا أعلم جيدًا مدى قدرة وإمكانات الضيف الجديد وكيفية توظيفه والاستفادة منه بالطريقة المثلى، فإن كنت أنتَ حقًا جيو الخطير، فأنا ماركو الجبار، وأخذ يضحك بصوت عالي ويكررها بشكل مريب لهما: نعم، أنا ماركو الجبار، نعم، أنا ماركو الجبار.

. وكانا جيوفاني وإيزابيلا ينظران له وينظران لبعضهما في صمت وفي نوع من التعجب من أمره، ولكنهما لم يستطيعان أن يبديان أية رد فعل حتى انتهى هو من تلك الوصلة من المدح الذاتي لنفسه أمام أهم ضلعين لديه، ثم التفت لهما فجأة، وقال أتظناني قد جننت؟

فردت إيزابيلا وهي تتطلع نحو جيوفاني: عفوًا ياسيدي لم نقصد ذلك أبدًا

. ولكن أنا أظن ذلك، فأنا فعلاً مجنون، أتدرون لما؟ لأنني دائمًا أفعل المستحيل وأنجح فيه، فلا يقدم على فعل المستحيل إلا مجنون ولا ينجح فيه إلا جبار، فأنا مجنون، ولكن جبار، وأخذ يضحك ويكررها مرة أخرى، ثم نظر فجأة إلى جيوفاني قائلاً: يجب عليك يا جيو الخطير ألا تحدث نفسك كثيرًا وانت معي، والآن انصرف فلم يعد لي حاجة معك.

فأراد امتصاص غضبه قبل أن يغادر: عذرًا سيدي لما صدر مني والآن أستأذنك في الخروج.

وخرج جيوفاني وقد ظهرت عليه الحسرة من كلام وتوبيخ ماركو له وخصوصًا أمام إيزابيلا، وبقيت هي مع ماركو تحدق نحوه تارة وتحدق نحو الباب الذي خرج منه جيوفاني تارة أخرى، وقد كان ماركو خلال تلك اللحظات موجهًا ظهره بالكرسي نحوها قبل أن يلتفت فجأة، فألقت ببصرها أسفل منها، ثم قال لها:

مالي أراك تحدقين هكذا نحو الأرض، أفقدت شيء تبحثين عنه أم أنك تريدين أن تقولي شيء وتترددين فيه؟

. لا شيء يا سيدي سوا أني أنتظر أوامرك إما بالبقاء أو المغادرة.

. ولكنني أرى في عينيك لحظة تعاطف مع جيوفاني، أليس كذلك؟

. لا تعاطف ولا شيء، ولكن، ثم توقفت عن الكلام، فقال ماركو: ولكن ماذا؟ هيا تكلمي ولا تخشين من شيء يا فتاة.

. أرى يا سيدي أنك متوتر قليلاً وقد قسوت عليه في حديثك معه رغم أنه رجلك الأول وكل ما فعله لم يفعله إلا ليرضيك فقط ويقدم لك

خدمة وقد كان ينتظر منك ما هو أفضل من ذلك.

كنت أعلم جيدًا أنكِ سوف تقولين هذا الكلام، أود أولاً إيزابيلا أن أسالك سؤال.

.كما تشاء سيد ماركو، فكلي آذان صاغية.

.أتتعاطفين مع جيوفاني أم أنك تحبينه؟

فردت وكأنها تفاجئت من سؤاله:

أحب جيوفاني! بالتأكيد لا سيد ماركو، فليس الوضع تجاهه يصل لهذه الدرجة ولا أظن حتى أنني أتعاطف معه كثيرًا خصوصًا حين يرفع صوته ويتحدث بلهجة غير لائقة مع زعيمنا وقائدنا الذي ندين له بالولاء والإخلاص التام، ولكن كنت أود فقط أن أعالج الوضع بطريقتي، ولكن على ما يبدو أنه جانبني الصواب.

فأشفق عليها ماركو قائلاً:

لا تتحاملين على نفسك عزيزتي، فأنت لم يجانبك الصواب كما تظنين، ولكن فقط أنت لا تدركين بعض الأمور التي أدركها أنا جيدًا.

.عفوًا يا سيدي، هل لي أن أعرف تلك الأمور؛ كي أكون على إلمام في المرة القادمة؟

. بالطبع إيزابيلا، فأنت مديرة أعمالي الخاصة وكاتمة أسراري، ثم أخذ نفس عميق وأردف قائلاً:

جيوفاني أو كما يطلق علي نفسه جيو الخطير، كان ضابطًا، ولكنه لم يكن كباقي رفاقه، بل كان جشعًا، طماعًا، كاذبًا لأقصى تصوراتك وهذا كان بالنسبة لي وقتها شيء مطلوب فيه فكان، يسهل لنا ولغيرنا عمليات التهريب عبر الحدود نظير مبلغ يأخذه على كل صفقة وهذا بعد اطلاعه

على كل تفاصيلها، كميتها، نوعها، وقيمتها، وكان لا يرفض عملية واحدة، وكان ماهرًا في عمله، ولكن سمعته السيئة سبقته إلى رؤسائه، فأصبح مراقب حتى تم القبض عليه ذات مرة في رشوة؛ لتهريب ألماس خارج إيطاليا وحين دخل السجن أرسل لي رسالة مع أحد الأشخاص يطلب فيها مساعدتي له؛ لإخراجه من السجن نظير تيسير وتسهيل العديد من الأعمال المتوقفة لي والتي جاءت نتيجة سجنه وبالفعل ساعدته بعلاقاتي وتقديم أدلة أخرى وشهود آخرين حتى تم خروجه من السجن وانضم بالفعل للعمل معي، فكان ولا يزال له علاقات تمكنه من إنجاز ما عجزنا عن إنجازه بدونه، فقد كان لدينا العديد من الصفقات المعطلة والمعلقة ونتيجة التشديد من قبل الحكومة فكان من الصعب إنجازها، سنين وأنا أعاني من جشعه وطمعه الذي فاق الحدود وتجاوز كل الخطوط الحمراء خصوصًا في السنوات الأخيرة.

.وكيف هذا؟

. جيوفاني دائمًا لديه طموح كبير أكبر من حجمه وقدراته ويسعى بكل الطرق لتحقيقه حتى لو كلفه ذلك القضاء على من أعانوه، وساعدوه، أو حتى وصلت للتضحية بزملائه في العمل عندما يشعر أنهم حجر عثرة في سبيل تحقيق جشعه، فحاول أكثر من مرة الوصول إلى أمور في عملنا محرمة عليه وحاول التواصل مع المجلس الأعلى دون علمي ومن وراء ظهري وهو يظن أنني لا أعلم، ولكن كل ما يفعله يصلني حتى إنه حاول أن يزيحني شخصيًا من طريقه عن طريق إرسال رسائل مضللة عنا وعن أسرارنا الخاصة لهم، كأنني كبرت بالسن، وبدأت أسيء الاختيارات والخطط، وضعفت في تنفيذ المهام، ولم يعد المكان الذي أشغله مناسبًا

لي نظرًا؛ لأهميته وخطورته الشديدة والتي تحتاج شخص أكثر ذكاء، وقوة، وبطش وبالطبع هذا الشخص هو، ويفعل كل هذا وهو يظن أنني لا أعلم بما يحاك من خلفي ولا يعلم أنني لي عيون في كل مكان تصل إلى ما يعجز هو أن يصل إليها، ولا يعلم أيضًا أن هذا الكيان الضخم الذي نحن فيه بما يتبعه في الداخل والخارج وحتى المجلس الأعلى نفسه لا يستطيع الصمود والاستمرار بدوني، حتى أنه حاول أن يبرم صفقات من ورائي.

. إذن لما لم تحاول التخلص منه طيلة تلك المدة طالما أنه بهذا الشكل ويشكل خطرًا كبيرًا عليك وعلينا؟

. أتظنونيني لم أفكر بهذا، بالطبع فكرت وحاولت، ولكن دائمًا هناك مشكلة تظهر أمامي.

. كيف هذا؟

فأشعل سيجاره الكوبي قبل أن يرد قائلاً:

التخلص منه بالطرق التقليدية أمر صعب خاصةً أنه يقوم بالعديد من المهام الخاصة التي لا يستطيع غيره إنجازها، كما أنه حريص دائمًا على نفسه وعمل في الفترة الماضية على تكوين مجموعة معاونة له، فأردت ألا يحدث انقسام؛ نتيجة هذا، ولكنني لجأت لطريق أخر أطول وقتًا، لكنه أكثر أمانًا وحيطة، وهو تصعيد رجلاً لي يمكن أن يحل محله يتصف بالذكاء الشديد، والحنكة الفذة، والقلب الشجاع، والقدرة على تنفيذ المهام الصعبة، والأهم من ذلك أن يكون رجلي الأول بحق، أي أنه يتصف بالولاء الشديد لي وبالفعل بعد أن رسمت ملامح تلك الشخصية بدأت أبحث عنه في كل شخص أقابله، طويت الأرض طيًا من باليرمو إلى كاتانيا ومن كالابريا إلى نابولي باحثًا في شوارعهم وضواحيهم، بين أزقتهم

وحاراتهم، داخل حاناتهم وباراتهم، وبينما أنا جالس ذات يوم في أحد بارات نابولي إذ بعيني تقع على شاب صغير يمتلأ قوة جسد، وقوة شخصية، ورأيت في عينه ذكاء وإصرار، لكنني لم أجالسه في هذا اليوم وبقيت أتردد على الحانة من وقت لأخر؛ لأراه وأتابعه حين تسمح ظروفي بذلك، وقد كان من الصعب وقتها تحديد هويتي خصوصًا وأن تلك الأماكن تعج برجال العصابات الذين يناصبوننا العداء، فكنت أقوم بالتخفي عن شخصيتي الأصلية عن طريق إضافة بعض اللمسات عليها، مستعينًا في هذا بمارسيلو، فكما تعلمين أنه الأمهر في إيجادة أمر كهذا، وبدأت بعدها بجمع المعلومات عنه بطرقي الخاصة بعيدًا عنكم ومن دون علمه، فعلمت أن اسمه كوستا، ويعمل لحسابه الخاص في ترويج الكوكايين بعد أن كان يعمل لصالح أحد العصابات وانفصل عنهم؛ لخلافات دبت بينهم وبينما أنا جالس في الحانة ذات مرة أتابعه إذ بتشاجر ينشب بين طرفي عصابتين؛ بسبب عاهرة شاهدته لا يبالي بهم وكأن شيء لا يحدث حوله وحين احتدم الصراع بينهم وبدأت الأسلحة تخرج إذا به يلقى بحافظة نقوده بينهم مخاطبًا إياهم قائلاً(محفظتي كما ترون خاوية، فهل بأحدكم أن يتفضل ويدفع حسابي، فأنا لا أريد أن أنظف دماء من على الأرضيات)، فنظروا إلى بعضهم البعض، ثم نظروا إليه وضحكوا، ثم رفعوا أسلحتهم مرة أخرى، وقال أحدهم: اللعنة عليك كوستا هكذا تنهيها دومًا.

فرد عليه آخر: ومتأخرًا كعادته.

وبدلاً من أن يتحول الموضوع إلى مجزرة تحول لحظات من الضحك، والمرح، والسكر، والرقص مرة أخرى كل هذا؛ بسبب حنكته في معالجة

المشكلة بأبسط شيء ودون حتى أن يتحرك من مكانه، الأمر الذي دفعني لأول مرة لأن أذهب إليه، فذهبت نحوه حاملاً محفظته التي رماها معي وخاطبته: كم حسابك؛ كي أدفعه عنك؟

نظر إليَّ بتحديق شديد، وقال: كوستا لا يقبل منح من أحد وخاصة حينما يكونوا غرباء.

فقلت له: أولاً هذه ليست منحة، بل إنها قليل من كثير، وثانيًا أنا لست غريبًا كما تظن، فأنا أعرفك منذ زمن ورسمتك في مخيلتي منذ سنين وها نحن الآن نلتقي بعد طول فراق.

فحدق بي مرة أخرى، قائلاً: غريب أمرك أيها الرجل الكبير، فأنا لا أتذكر أبدًا أنني قابلتك ذات يوم، يبدو لي أنك تحتسي مشروبًا من النوع الرديء، فهلا اعيتطك كأسًا من كوكتيل كوستا المخصوص؟ عسى تتحسن وتنتعش ذاكرتك وتتذكر أننا لم نتقابل مطلقًا في أي وقت مضى.

فضحكت وقتها، وقلت له: تعجبني دائمًا ردود أفعالك السريعة وذكائك الحاضر كإعجابي الشديد بأسلوب عملك.

فتعجب من كلامي، قائلاً بانفعال: أسلوب عملي؟! وما أدراك به؟ ما شأنك في ذلك؟ هل أنت شرطي أو تابع لهم؟ إن كنت تريد معلومات، فعليك بتصفح المجلات والصحف فهي أكثر فائدة مني؟ وإن كنت تريدني أن أعلم جاسوسًا ومرشدًا لكم فأنا أخر شخص يمكنكم الاعتماد عليه، والأفضل من هذا وذاك هو أن تسأل المتسول خارج الملهى، فهو رجلكم يجلس هنا منذ عام تقريبًا، اذهب إليه مع العلم أنني لا أعتقد أن لديه معلومات أو حتى نقود، أظن أنه صار عبأ عليكم.

ثم عاد وتجاهلني واحتسى كأسًا أخر قبل أن يعود ويلتفت لي فجأة بعد أن جلست بجواره قائلاً: اسمع يا هذا، سواء كنت تعرفني أو لا تعرفني فأنا لست الشخص المفضل لذلك، ثم أحب أن أخبرك بأن هذا المكان خطير جدًا، خطير حتى على رجال الشرطة، والآن حديثنا انتهى.

وقتها قلت له: عليك أن تهدأ يا رجل، مالك انفعلت هكذا؟ فأنا لست كما تظن مطلقًا، بل أنا وأنت في نفس الدرب سويًا، يبدو إيزابيلا أنني أطلت عليك الحديث؟

لا، بالعكس يا سيدي، فأنا مستمتعة جدًا بما تقول، ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

لا شيء سوا أنني حاولت أن أقنعه بكل الطرق وأعطيه الأمان؛ لكي يتحدث معي، ولكنه كان متحفظًا بشدة معي خاصةً في أول لقاء.

.أعلم من ذلك أنك قابلته أكثر من مرة لتقنعه بالانضمام إليك؟

نعم، هذا فعلاً ما جرى وقتها، فهو لم يكن بالشخص الهين الذي يلين من أول مرة، كما أنه لا يثق بأحد بسهولة مهما كانت الإغراءات أمامه، ثم عرفته بنفسي وبطبيعة عملي والقليل من رجالنا الذي كان يعرف بعضهم، فبدأ يثق بي، ولكن ليس بدرجة كبيرة، ثم عرضت عليه العمل معي، فقال لي:

أنا أفضل العمل منفردًا ولا أحب أن اعمل لحساب أحد خصوصا حين تكون منظمة كبيرة مثلكم، فأنا لي فكري، وأسلوبي، وطريقة عملي الخاصة التي تختلف عن الأخرين وربما تتعارض معهم، وكان هذا سبب تركي لعصابتي السابقة.

ثم بدأت أغريه وأغدق عليه بالعروض وأعرفه أن العمل معي يختلف عن أي أحد، فأنا لن أفرض عليه أسلوب بعينه.

ثم بدأت عيناه تلمع أمام تلك الإغراءات، وقال لي: لماذا تصر عليَّ هكذا يا سيد ماركو؟ فإيطاليا وصقلية تحديدًا مليئة بالمئات، بل قل بالألاف، فلماذا أنا تحديدًا؟ أم أن هذا طعم من عصابتي القديمة للعبث معي؟ فإن كان هذا، فأنا أحذرك، فاللعب معي كاللعب بالنار لن تحرق سواك، فاحذرني، فكوستا ليس هين حتى لو كان الذي أمامه زعيم منظمة كبيرة كما تتدعي.

ثم قلت له: أولاً أنا لا أدعي ذلك وحتمًا ستعرف فيما بعد من أنا ومع من تجلس، كما أنني أعرف جيدًا ما تقوله عن نفسك، بل إن هذا هو سبب إعجابي بك، فأنا يعجبني الشخص الصعب المراس، فأفضل أن يكون رجلي الذي أنشده للعمل برفقتي من تلك النوعية، رجلاً قوي الشكيمة. فضحك قائلاً: أمرك غريب سيد ماركو، فأنا لأول مرة أسمع وأرى صاحب نفوذ مثلك وزعيم لمنظمة كبيرة يريد أن يضم إليه شخص عنيد وصعب المراس مثلي، أليس هذا شيء يدعو للتساؤل والريبة؟

فقلت له: حقك، ولكن إذا تم استغلال هذا العناد مع هذا الذكاء والتفرد الذي تتميز به، فضلاً عن صغر سنك الواضح وتوجيهه بشكل سليم على يد محترف وخبير مثلي فحتمًا لن يصبح ذلك عائق، بل سيتحول لمشروع كبير نقضي به على خصومنا ومنافسينا أو نجعلهم يدينون بالولاء لنا وتصبح الساحة بعدها كلها بحوزتنا.

فقال بشيء من الاقتناع: يروق لي هذا الرد الذي يثير حماستي ويحفزني حقًا ، ولكن دعني بضع دقائق حتى أتمكن من الرد عليك.

فقلت له: على راحتك فها أنا جالس بجوارك أحتسي كأسًا أو كأسين حتى ترد عليَّ بشكل نهائي.

ثم بدأ يفكر فيما قلته وعرضته عليه من كل زاوية وهو ينظر لي تارة وينظر أمامه تارة أخرى، ثم قال : موافق يا سيد ماركو، ولكن بشرط ؟

فقلت له: وما شرطك؟

قال: أن أعمل معك أو معكم منفردًا لمدة من الزمن حتى نطمئن لبعضنا، ثم بعدها نقرر ويفضل ألا يعرفني أفرادك على الأقل في الفترة الأولى، ما رأيك؟

فقلت له: ولو أنني أفضل أن ننضم إلينا من الآن، ولكن على راحتك واعتبرني حلقة الوصل بينك وبينهم حتى تطمئن ووقتها نتحدث مرة أخرى.

ثم بدأت أسند له العديد من المهام والأعمال ولا أبخل عليه وبالفعل كنت محقًا في نظرتي، فكان سريع البديهة ينفذ المهام كالبرق، وبكل دقة واحترافية، والأهم من هذا هو أنه كان لا يترك أثر خلفه يمكن أي أحد من تعقبه وظل هكذا قرابة العام حتى انضم بشكل رسمي إلينا وصار عضوًا، ومن هنا بدأت الحرب الباردة بينه وبين جيوفاني حتى حدث ما تعرفينه.

. نعم أعرف وليته لم يحدث، ولكن يا سيدي، هل لي أن أعرف كيف يمكن للوافد الجديد أن يحل محله؟ خاصةً أنه كان بالفعل محترف أما هذا، فلا أعتقد أنه يعرف حتى كيف يمسك مسدسًا بيده، بل أنه لديه تصرفات تختلف عننا تمامًا، فأنا لن أنسى حالته حين واقع تلك الفتاة

وطريقة في السؤال وتوتره الشديد وكأن صاعقة حلت به مع أن أعمالنا أكبر وأخطر من هذا بكثير جدًا؟

. نعم الوافد الجديد أو المشروع الجديد، عندك حق إيزابيلا فيما تقولين، ولكن يفوتك شيء مهم وهو أن ما تحكين عنه عيبًا وعبئًا أراه أنا ميزة فيه، فرغم أن سلفه كان متمرسًا ومحترفًا بالفعل قبل أن ينضم لنا، لكن حبه في التفرد المبالغ فيه وكذلك طريقته المستقلة أحيانًا بالعمل كانت بمثابة قيدًا له أمامي، أما هذا المشروع الجديد فقد وضعت له حجر الأساس من البداية وأعتبره دميتي التي أصنعها بنفسي، أشكل هويته هنا بيدي ليس بيد أحد آخر أو حتى بيده هو نفسه، إنه تلك الدمية التي سوف أداعب بها أعدائي في القريب العاجل، تلك الدمية التي سوف أضع لمستي السحرية عليها؛ لتنفذ فقط أوامري، لا تصغ لأحد، ولا تتبع أحد سوا، كما أنني أعشق الإبداع وذلك المشروع هو نوع من الإبداع الذي طالما أمارسه بعملي وأجد متعتي ولذتي الخاصة به وإلا لما خاطرت وقمت بتلك المهمة التي أحضرته بعدها إلينا ولما خاطرت من قبل ذلك ودخلت تلك الحانات القذرة بحثًا عن سلفه، فكان من الممكن أن أصبح مثل قادة وزعماء المنظمات الأخرى أحضر من أشاء تحت قدمي أعلي شأنه وقدره، أو أقلله، أو حتى أمحوه، ولكن هكذا أنا فمن حين لآخر تراودني فترات الشباب والبدايات بالعمل، فأحبذ أن أخطو بعض الخطوات وأخاطر ببعض المهام بمفردي دون حتى مساعدة من أحد رجالي، ولكن أخبريني بمناسبة ذكره أين هو الآن؟ وكيف حاله؟ وماذا يعمل بيومه الذي أظن أنه بات مملاً ومثيرًا لكثير من التساؤلات لديه؟

لا شيء سوا أنه يتجول أحيانًا بالحديقة وبالقصر، ولكن أغلب وقته يقضيه بمركز التدريب وبالمكتبة أراه يفكر كثيرًا وكأن شيء كبير يجول بخاطره، أما آن الأوان سيد ماركو لننقله إلي مستوي أخر؟

فهز رأسه قائلاً:

نعم بالتأكيد آن الأوان؛ لكي نبدأ بالجد، فقد انتهى وقت المزاح ولنعرف حقًا، هل سنعلي قدره، أو نقلله، أو حتى نمحوه؟

إذن من أين سوف نبدأ معه بالجد وما هي الطريقة؟

هذا الشخص مختلف بالفعل عنا، ولكن الحياة علمتني أن لكل شخص مدخل وحين نعرفها فقد تمكنا منه وقتها وأنا لي طريقة معه، عليك فقط أن تخبريه أن يجهز نفسه صباحًا؛ لكي يخرج معي في رحلة صيد طيور ودعي الباقي عليَّ.

.أمرك يا سيدي، فسوف أرتب كل شيء لتلك الرحلة.

.كما عليك أن تركزي بشدة في عملك فقط، فنحن نمر بمراحل دقيقة وبمفترق طرق في عملنا ونريد أن نعود للملعب بقوة في القريب العاجل ومعنا صفقة العام.

.وما الداعي لهذا الكلام سيد ماركو؟ فهل أنا مقصرة في شيء؟

أنت لم تقصري في عملك مطلقًا إيزابيلا، فأنت امرأة نشيطة جدًا وتنفذي مهامك بكل دقة ومهارة فائقة وهذا سر تمسكِ بكَ طيلة هذه السنين وجعلك كاتمة أسراري وأسرار المنظمة، ولكنني أخشي ما أخشاه عليك؟

.ومن ماذا تخشى يا سيدي عليَّ؟

. أن تطلقي العنان لعواطفك نحو هذا الشخص جيوفاني فاحذري أن تحبيه، فهذا الشخص لا يحب سوا نفسه وليس له أمان.

. أخبرتك يا سيدي سابقًا أنني لست متعاطفة معه ولا أحبه، ولكن يبدو أنك لا تصدقني، كما أحب أن أخبرك بأن كل عواطفي، وجوارحي، وعقلي مسخرة فقط لشيء واحد، إنه عملي ولا شيء سواه.

حقا؟! أتمني ذلك، والآن يمكنك الانصراف والترتيب كما اتفقنا ويفضل ألا يعلم أحدًا بتلك الرحلة سوا علي فقط.

وغادرت إيزابيلا الغرفة متجهة نحو القصر وما أن وصلت حتى أرسلت لعلي؛ لتخبره بتجهيز نفسه حتى يخرج في رحلة صيد مع السيد ماركو، واستغرب علي من هذا، ولكنه كان سعيدًا في نفس الوقت ليس بسبب الرحلة، ولكن لأنه يريد مقابلة ماركو ليضع حدًا لعلامات الاستفهام الكثيرة التي تدور بذهنه منذ أن عرفه حتى تلك اللحظة، وبالفعل ذهب ليعد نفسه جيدًا، وبالفعل استيقظ مبكرًا في صباح اليوم التالي وارتدى الملابس المناسبة لرحلة صيد كهذه، كبنطال جينز وعليه تيشرت أسود اللون؛ استعدادًا للرحلة وتناول فطور خفيف جدًا عبارة عن كرواسون وفنجانًا من القهوة، وكانت سيارة جيب قد تم إعدادها لهم مجهزة بأدوات الصيد، وبخيمة صغيرة، وبأكل وشرب كافي لهما، وتوجه علي نحو السيارة منتظرًا ماركو، وبالفعل حضر بعد ربع ساعة تقريبًا من الانتظار، وكانت إيزابيلا أيضًا بانتظاره وما أن وصل حتى بادره علي بالتحية، فقال له: يا لك من فتي نشيط دائمًا سباق في مواعيدك وحضرتك، ثم تفحص محتويات السيارة، وقال لإيزابيلا ما كل هذا الطعام والماء والشراب؟!

فقالت له: أنه طعام وشراب ليكفيكما في تلك الرحلة، أشرفت على إعداده بنفسي خصيصًا لكما سيدي.

فقال لها: عليك أن تأخذي الطعام كله، وتدعي القليل من المشروبات والماء، وتوفري لنا فقط بعض أدوات الطبخ، والقليل من الفحم والوقود. فأجابته: ولكن كيف ستأكلون فاليوم طويل ولا يوجد مطاعم أو مقاهي في المكان الذي ستخيمون به على حد علمي منك سيد ماركو.

فقال لها :نأكل من مجهودنا وصيدنا، فإن صيدنا فيحق لنا أن نأكل كل ما قمنا بصيده وإن لم نتمكن بنادقنا وأدواتنا من قنص وصيد شيء فالجوع أولي بنا ولا نستحق سواه وعلينا وقتها تحمله.

ثم التفت نحو علي قائلاً له: أليس كذلك يا علي أم نبقي الطعام كما هو؟

فرد عليه: نعم يا سيد ماركو، هذا هو الصحيح، فمن جد وجد ومن زرع حصد، هكذا تعلمنا منذ الصغر

ثم التفت لإيزابيلا وقال لها: أرئيتي ضيفنا الجديد فهمني أكثر منك مع أنك هنا معي منذ سنين، فهل بدأ يخيب ظني بك؟

فقالت وهي تضحك: يبدو لي أنني أحتاج أن أذهب لمركز التدريب؛ لتنمية وتطوير مهاراتي الذهنية التي باتت قديمة الآن.

فقال لها: ولكن خصمًا من مستحقاتك لدينا فأنا لا أتحمل التكاليف سوا مرة واحدة فقط.

ثم ضحك الجميع على دعابة السيد ماركو، ثم طلب ماركو) من علي أن يقود السيارة بهم بدلاً من السائق الذي أمره بالرجوع.

فقال علي: أنا لا أجيد القيادة على الطرقات وسط السيارات الأخرى، فقط تعلمتها هنا بالساحة المخصصة لذلك وحول القصر، أخشى وأنا أقود بك سيد ماركو أن يحدث مالا يحمد عقباه.

فرد عليه ماركو: وأنا أثق بقيادتك كثقتي تمامًا بك، فهيا بنا أم أنك تريد أن تظل حبيس هذا القصر؟ أريدك أن تنطلق تلهو، وتستمتع، وتتجول على راحتك مثل الآخرين هنا حتى لا تشعر بالضيق والضجر.

فقال له: بالطبع كم أحب ذلك سيد ماركو وكم تمنيته في الشهور السابقة، ولكنني أيضًا أخشى من الخروج، فأنا ليس لدي أية أوراق وربما يوقعني هذا في مشاكل وربما الترحيل من البلاد.

فضحكت إيزابيلا، فاستغرب علي من ذلك وكأنه أخطأ فيما قاله، فقال له ماركو: أراك متعجبًا من ضحكها على كلامك علي فقد وجدت لنفسها فرصة؛ لكي تعوض ما قلته لها بسببك قبل قليل وتفهمك السريع لي والذي خانك هذه المرة رغم طول إقامتك معنا.

فقال علي: عذرا سيد ماركو، فحقًا لا أفهم ما لخطأ فيما قلته؟

فقالت إيزابيل: أنت يا علي برفقة السيد ماركو الذي يحرك الألاف في هذا العالم من مكتبه هنا، فكيف تخشي من ترحيلك أو الإمساك بك وأنت معه؟ فأخبرك أن جميع من في القصر يتمنون أن يذهبوا برفقته في رحلة صيد كهذه، فقطعًا أنت محظوظ وحتمًا ستتعلم منه في تلك الرحلة الكثير، ربما حتى أفضل مما تعلمته في مركز التدريب هنا أو حتى تعلمته طوال حياتك.

فتفهم علي ما قالته قائلاً: عذرًا سيد ماركو على سوء فهمي وأعدك ألا يتكرر ذلك.

ثم قال ماركو: هيا بنا يا فتى؛ كي لا نضيع الوقت في كلام لا طائل منه.

ثم جلس ماركو بجوار علي بالسيارة وانطلقا بها وبدا ماركو يحدد المكان لعلي على جهاز تحديد الموقع بالسيارة ويشرح له كيفية استخدامه وصار علي متتبعًا للجهاز جيدًا ويقود سيارته بتروي، ولكنه كان يحدق بشدة على جنبات الطريق وكأنه يخشي من أمر ما، فشعر به ماركو وقال له: يبدو لي يا صديقي أن هناك أحد بانتظارك على الطريق أو أنك تريد أن تعانق بالسيارة وبنا أحد الأشجار أو أعمدة الإنارة المتراصة على طول الطريق، فمالي أراك هكذا تحدق النظر بشدة في جنبات الطريق، عليك فقط أن تركز في طريقك وقيادتك.

فقال علي له: لا شيء سوا أن بعض اللافتات الخاصة بالقيادة استرعت انتباهي كما أن هذه أول مرة لي بحياتي أن أقود علي طريق عام.

فرد عليه: ولن تكون أخر مرة فلا تقلق، فأنت تستطيع أن تفعل أكثر من هذا بكثير وليس مجرد قيادة سيارة.

ثم مشي أكثر من نصف ساعة وباستخدام أحد الطرق الجانبية بدأ يبتعد عن المدينة وعن القصر وظل هكذا حتى رأي علي من خلال مرآة السيارة أحد أفراد الشرطة على دراجة بخارية يسير خلفهم وكأنه يتتبعهم، فبدأ يتوجس، وظهر التوتر عليه، واحمر وجهه؛ خوفًا، وقبض بشدة على مقود السيارة ومن شدة الارتباك ضغط على دواسة الوقود بشدة، فزادت سرعة السيارة عن سرعة الطريق، فلاحظ الشرطي ذلك فأسرع بدراجته نحو السيارة كل هذا في دقائق قليلة جدًا، ثم بدأ الشرطي ينادي على السيارة باستخدام اللاسلكي الخاص به طالبًا منها التوقف، ولكن علي لم

يتوقف وازدادت سرعته أكثر فأكثر وبدا متوترًا بشدة، هنا تدخل ماركو موجها حديثه لعلي حين رأي الشرطي بدأ يقترب منهما: مالك علي؟ أراك قد اضطربت هكذا، وترتجف بشدة، وزدت سرعة السيارة دون داعي، فهو مجرد شرطي مرور لأكثر فقط عليك أن تركن السيارة جانبًا وحين يصل الشرطي لا تتفوه أمامه بكلمة واحد ودعني أنا أدير الحوار معه.

فقال على: أخشى سيد ماركو أن يتعرض لي بشيء. فرد عليه قائلاً: عليك أن تتمالك أعصابك ولا تثير الشك في نفسه تجاهك، فكما قلت لك أنا سأتولى الأمر بنفسي.

وبالفعل وصل الشرطي حيث تقف السيارة وبدأ يكتب لوحات السيارة على نموذج المخالفة، ثم طلبا منهما النزول من السيارة، فنزلا الإثنين، وطلب تحقيق الهوية، ورخص السيارة، ورخص القيادة والسير، قائلاً لهم: لا مجال لقيادة السكارى على الطريق ومخالفة أوامر المرور بالتوقف، ثم بدأ يتفحص محتويات السيارة وبدأ يوجه كلامه للسائق علي، وقتها تدخل ماركو وقاطعه قائلاً: يا لك من شرطي فذ وماهر تؤدي واجبك باقتدار وحرص، كم تشرف صقلية وإيطاليا كلها بمن هم مثلك وأنا ممن يشرفون بذلك، ولكن فقط أحب أن أخبرك أننا لسنا سكارى ولا شيء كما قلت لتوك، لكن أنا الذي كنت أقود وهو يركب فقط بجانبي، ولكن أنتني نوبة ربو خفيفة، فطلبت منه القيادة مكاني وهو جديد في القيادة وحين رآك فقط ارتبك وزادت سرعة سيارته دون أن يشعر وحين طلبت منه التوقف لم ينتبه إليك من أول مرة فهذا حال المبتدئ دومًا، هذا فقط كل ما في الأمر.

فقال الشرطي اللعنة على هؤلاء المبتدئين هم من يسببون لنا المتاعب دوما أيها السيد....، ثم عاد ونظر للأوراق التي بحوزته والمدون بها اسمه، فشعر الشرطي نفسه ببعض الجزع حين قرأ الاسم الذي يبدو أنه على علم به مسبقًا، فعاد وقال مشيرًا له السيد ماركو.

فقال: نعم إنه أنا الذي أوقفت سيارته للتو وتحرر الآن له مخالفة سرعة.

فقال: حسنًا يا سيد ماركو تفهمت ما تقول، ولكن أرجوك أن تنبه على الشاب الذي برفقتك أن يكون أكثر حذرًا في المرات القادمة، فقد لا تسلم الأمور في كل مرة وربما يواجه في المرة القادمة شرطي أقل لباقة.

فرد ماركو عليه: اطمأن، فدائمًا ما تسلم أمورنا ولا تخرج عن السيطرة، كما أنني أقدر عملك أيها الشرطي الهمام ولن أنسي أبدًا موقفك النبيل هذا.

ثم تركهما الشرطي وغادر وتنفس علي الصعداء بعد ذلك، وبدأ يهدأ من حالة التوتر التي انتابته، ثم أكملا طريقهما، فقال ماركو: عليك التروي يا علي في المرات القادمة، فكل مرة لن أكون بجانبك وأحب أن أخبرك بشيء مهم وهو أنه طالما دخلت إلى هنا وعبرت الحدود وصرت تعمل معنا فلن يعيدك أحد بسهولة، ولكن ما أريده منك فقط هو عدم التوتر والثبات؛ لأن هذا ربما يضعك في دائرة شك أمام الجهات الرسمية هنا وهذا ما جعلني طيلة الفترة الماضية مصرًا على ألا تتجول بالخارج حتى لا تحتك بأحد منهم، ولكن ربما في الفترة اللاحقة أن تتخلص من هذا الحصار، فقد يتطلب منك ذلك الهدوء وضبط انفعالاتك، أفهمت

ما أقصده؟ فرد علي: نعم فهمتك يا سيد ماركو وأعدك أن أكون أكثر حرصًا وهدوءًا في المرات القادمة.

وبالفعل اقتربا بالسيارة من مكان الصيد حيث توقفت السيارة في مكان ما بأحد البراري الكثيفة الأشجار والنباتات التي تتسم بوجود تنوع في الحياة البرية بها من طيور تحوم بالجو، وأخرى تأويها أغصان الشجر، فضلاً عن الحيوانات البرية الأخرى التي تتغذي على النباتات المزدهرة بتربة المكان الخصبة والتي يتم التخييم بها عادة لمثل تلك الرحلات، وترجلا من السيارة وبدأ علي بحمل الأمتعة منها وتجهيز خيمة صغير الحجم مناسبة لإقامتهم طيلة اليوم، وكان هناك بنادق للصيد فأخذ ماركو واحدة وأعطي واحدة لعلي، ولكن علي أخبره قائلاً: أنا لا أجيد الصيد، ولا القنص، ولم أستخدم بنادق الصيد سابقًا.

فرد عليه قائلاً: يا صديقي لا تقلل دائمًا من شأن نفسك، فانظر كيف كنت بارعًا في القيادة وأوصلتنا إلى هنا رغم أنك تقود لأول مرة على طريق عام في حياتك وكان هذا خارج بلدك، فكيف بعد هذا لا تستطيع أن تستخدم بندقية صغيرة كهذه؟ عليك فقط أن تنظر إليَّ وتتعلم، فالأمر بسيط جدًا، ثم بدأ يتجولا بالمتنزه للصيد ماكثين على هذا الحال طيلة فترة الصباح حتى بعد الظهيرة تقريبًا بساعة وبالفعل تمكنا من صيد بعض الطيور الصالحة للأكل وبعضًا من الأرانب البرية أيضًا، ثم حملا صيدهما الذي قام بقنص أغلبه ماركو نفسه لخبرته الطويلة في الصيد وتوجها نحو الخيمة وبدأ علي بإعداد الطعام؛ نظرًا لخبرته السابقة في ذلك من خلال أيام السكن طيلة فترات الدراسة، فأعجب ماركو بمهاراته في إعداد الطعام والشوي والذي كان لهم مذاق ونكهة

خاصة وجديدة عليه في نفس الوقت عن تلك الإيطالية التي إعتاد دومًا عليها، فقد استخدم في ذلك التوابل المصرية المتواجدة أيضًا معهما وكذلك الطريقة المصرية، ثم تناولا غدائهما بعد أن تمكن الجوع منهما، ثم تناول القليل من المشروبات المثلجة التي معهم، ثم بعد هذا غفا ماركو غفوة قرابة الساعة، ثم جلس علي وقتها يتصفح بصفحات الويب عن طريق جهاز الحاسوب اللوحي الذي معه، ثم نهض بعد ذلك لصلاة العصر وبعد أن فرغ من صلاته بوقت قليل كان قد فاق ماركو من غفوته، ثم طلب من علي أن يحضر فنجانين من القهوة، فأحضرهما وخرجا الإثنين للتجول بالمكان خارج الخيمة متناولين أطراف الحديث خلال تجوالهما.

لماذا أتيت إلى هنا؟

فتعجب علي من سؤاله المفاجئ والغريب في نفس الوقت وتوقف عن تناول فنجان قهوته، قائلا:

ماذا تقصد بسؤالك هذا سيد ماركو؟ وماذا تعني بهنا؟

أقصد بهنا صقلية أو حتى إيطاليا؛ لأنني أعلم أنكم تهاجرون وتدخلون في الأغلب عن طريق صقلية، ثم بعدها تتوزعون على باقي المدن والمقاطعات وربما تغادرون إلى بلدان أخري بأوروبا.

. أعتقد أنني سبق وأن أجبتك على هذا سيد ماركو، ولكن يبدو أنك نسيت، إنها ظروف سيئة دفعتني لأن أخوض تلك المغامرة الخطيرة، بل إنك شخصيًا كنت شاهدًا على جزء منها.

. نعم ،نعم، ولكنني أردت الإجابة بطريقة أخري.

فتعجب علي مرة أخرى، قائلاً: طريقة أخرى؟! وما هي الطريقة الأخرى التي يمكنني أن أجيبك بها، فهلا وضحت لي تلك الطريقة؛ كي أفيدك؟ فأنا لا أفهم ما تقصده حقًا سيد ماركو.

. لا أعني من سؤالي سبب مجيئك إلى هنا، ولكن أعني الهدف من وجودك هنا.

. الأمر ببساطة هو أن أعلم بأي عمل؛ يساعدني على التخلص من ديوني، وتسديد التزامات أسرتي والتزاماتي لنفسي هنا، وأن أبقي شيء ادخره للمستقبل، وبعد بضع سنين إن خدمتني الظروف وصار معي مبلغ جيد من المال وقتها أقرر النزول إلى بلدي مرة أخرى؛ لكي أكمل حياتي هناك وسط أهلي ووقتها يمكن أن يكون لي مشروعي الخاص الذي يمكنني من الاستغناء عن الناس وتوفير حياة كريمة لي ولأسرتي.

فقال ماركو مشيدًا بما قاله:

أمر جيد ويدل على تحمل المسؤولية من شاب مثلك، كما أننا جميعًا نسعى لأن يكون لدينا عملنا الحر الخاص الذي نديره بأنفسنا ويكون فائدته كاملة لنا، ولكن أخبرني كم من المال يمكن أن يساعدك على ذلك؟

. حاليًا لا أستطيع إجابتك، فأنا ليس لدي مشروع معين أو حتى عمل معين؛ كي أبني عليه قراري، فالأمر متروك للظروف ولطبيعة العمل الذي سأعمله في المستقبل.

ثم أشعل ماركو السيجار الخاص به، فاستغل علي ذلك في احتساء المزيد من القهوة وأكمل ماركو كلامه:

إذن أنت أتيت إلى هنا من أجل المال؟

نعم، ولكنني لا أطمع في الكثير، فقط أريد أن أريح أسرتي وأدخر شيء لمستقبلي

. ولما لا تطمع في الكثير، أهناك ضرر في ذلك أم أنه محرم لديك كالخمر والجنس، أم أنك تريد أن تظل دائمًا تحت وطأة الاحتياج، أم أنك تريد أن تقنعني أن المال لا يعني لك الكثير وأنك زاهد فيه؟ فحقًا لدي شغف بأن أعرف السبب وراء ذلك

. لا أقصد الزهد فيه، ولكن فقط أعتقد أن هناك أمور كثيرة أهم من المال ويمكن أن تحقق لك السعادة.

. إذن لماذا لم تجلس وسط أسرتك ووطنك بتلك المبادئ التي يمكن أن تحقق لكم السعادة بدلاً من الشقاء والتعاسة التي دفعتك إلى تلك المغامرة ودفعتك إلى رهن بيتك الذي هو المأوي الوحيد لأسرتك والتي لولاي لكنت الآن غريقًا في البحر، أو مشردًا بالشوارع، أو مرحلاً إلى بلدك ووقتها تنتهي كل أحلامك وتفقد كل شيء أتيت لأجله في لحظة.

فتجهم وجه على من نغمة التأنيب التي حدثه بها ماركو، ثم قال بلهجة تنطوي على بعض الضيق:

سيد ماركو لم ولن أنسى جميلك عليَّ واحتضانك لي الفترة السابقة وسيأتي يومًا وأرد جميلك هذا، فأنا لا أنسى من يقف بجانبي وسوف أرد كل مبلغ أنفق عليَّ أو حتي أخذته منك في أقرب فرصة حين أتحصل على عمل.

. أنا لا أمن عليك، فلما فهمت كلامي بهذه الطريقة، حساسيتك هذه وتسرعك هو أحد مشاكلك التي لا بد أن تتخلص منها.

. أتخلص منها! هل تريد مني إن أصبح شخص قاسي؛ كي أتماشى مع الناس؟!

. لم أقصد ذلك تحديدًا، ولكني أراك شخص مثالي بشكل زائد عن الحد، وأحب أن أبلغك أن المثالية ليس لها مكان في هذا الزمان ووسط هؤلاء البشر الأنانيين والجشعين، هذا الزمان ليس فيه مكان سوا للأقوياء فقط.

. وترى من هم الأقوياء في وجهة نظرك سيد (ماركو)؟

فرد ماركو بطريقة تصاعدية في نبرة حديثه ورده حيث انتهى بطريقة انفعالية بعد أن بدأ بطريقة هادئة، قائلاً:

الأقوياء هم من يملكون المال، ذلك المال أو النقود مهما كانت العملات، سواء دولار، يورو، ين، إسترليني، دينار، بك أي كان اسمها سميها كما تشاء المهم أن لديها اسم واحد فقط في كل العالم هو المال، المال هو اللغة الوحيدة التي يتحدث بها جميع البشر، المال هو الأمر الوحيد الذي اختلف البشر بينهم في كل شيء سواء في اللون، أو المعتقد، أو الجنسية، أو الجنس، أو حتى السياسة وفي الحدود، ولكنهم جميعهم اتفقوا عليه وعلى أهميته وسطوته، المال هو الذي يجمع الأحباء وفى نفس الوقت يفرقهم، كم من أسر تفرقت بسببه، كم من أحباء هجروا بعضهم بسببه، كم من أشلاء بشر على الطريق وجثث ضحايا في البحر وعلي الشواطئ بسببه، كم، وكم، وكم وفي النهاية تقول لي المال ليس كل شيء، بل أقول لك هو كل شيء، هو الذي جمعني بك وجمع هؤلاء بي، كما سيجمعنا كل يوم وليلة بأخرين كنا نظن في السابق أنه لا رابط، ولا منطق حتى قد يجمعنا بهم أبدًا .

. هدأ من روعك سيد ماركو، فبالطبع المال مهم، ولكن ما قصدته من كلامي أن هناك أمور مهمة بجانب المال، كالصداقة، والحب، والإخلاص.

. فضحك ماركو بطريقة تنطوي على سخرية من كلامه، وقال:

الصداقة، والحب، والإخلاص، على أثر ذكر تلك الصفات سأذكر لك قصة حقيقية ربما ستساعد على تغيير بعضًا من أفكارك ومفاهيمك.

. قصة؟! أية قصة؟

فاحتسي أكثر من رشفة من فنجانه قبل أن يقول:

منذ ما يفوق الأربعين عام كان لي صديق يعمل بأحد الشركات الكبيرة، كانت له زوجة، حبيبة، ومخلصة وصادقة كما تقول أنت، ظلت تعيش معه في هدوء، وسكينة، وحب لفترة حتى أتى يوم على الزوج وطرد من عمله؛ نتيجة بعض الأوضاع السيئة التي كانت تمر بها الشركة في تلك المرحلة ولم يحصل حتي وقتها على مستحقاته، وكان عليه ديون والتزامات مالية لشقته وسيارته، فتراكمت عليه ولم يستطع الوفاء بها، فبدأ ببيع سيارته، فلا يملك حتى ما يعينه على قوت يومه، فبدأ السأم يظهر على زوجته ويزيد يومًا عن يوم وبدأت تعايره بما هو فيه، وبدأت تهمله، وسرعان ما خفت نجم الحب، والصدق، والإخلاص المزعوم تحت وطأة الاحتياج حتى أنه في يوم من الأيام أصابه مرض الحمي الشديدة، فما كان منها إلا أن هجرته وتركته وحيد يُعاني مع مرضه، وديونه، وفقره ولم تساعده وقتها، وكان قد اقترب من الموت إلا جاره المسكين وظل يتردد عليه حاملاً الطعام والدواء حتى شفي من مرضه، ولكنه لم ينسى جميل جاره، فاحتضن ولده حين فارق الحياة في حادث أليم هو وزوجته، وظل يبحث عنها حتى وجد أنها ارتمت في

أحضان رجلاً أيسر حالاً وأغني منه، وما أن رأته حتى بدأت تتملص منه وطلبت منه أن يتركها لحالها، فهي لم تعد تطيق العيش معه ومع عوزه، فهي وجدت من هو أفضل وأيسر حالاً منه، فجن جنونه، ثم، ثم توقف عن الكلام.

فقال علي:

ثم ماذا سيد ماركو؟

. لا شيء سوا أنه تركها بعدما عرف أنها على حق، ولكنه لم يفهم ذلك إلا متأخرًا، ثم أخذ الكثير من الوقت؛ لكي ينساها، ولكنه لم ينسى كلامها له والذي ساعده وكان دافع له: لأن يقرر من وقتها أن يتحول إلى إنسان ثري مهما كانت التحديات والظروف التي سيواجهها.

. وهل وصل إلى ما أراد؟

. بالطبع، فقد حقق أكثر بكثير مما كان يحلم به، لكن بالطبع الأمر لم يكن بتلك السهولة، فقد تطلب ذلك منه تحديات، وتضحيات كبيرة، وتنازلات أكبر.

. تنازلات أكبر؟! وما هي التنازلات التي يمكن أن تقدم له مقابل هذا الثراء؟

. كان لابد له أن يغير من طباعه ومثاليته التي كانت سببًا في ما حدث له ويكون أكثر حدة وقسوة تتماشى مع طباع الحياة التي لم ترحمه.

. يغير من طباعه! سيد ماركو، ماذا تريد مني بالتحديد أو بمعني أدق ماذا يملك شخص مثلي كي يقدمه لك؟

أريدك أن تتغير علي، فالحياة ليست بتلك المثالية التي تراها عيناك وليس البشر الذين نعاملهم كما نراهم دائمًا ففي النفوس خبايا كثيرة

وأسرار ليس لها أخر، أما ما تملكه، فأنت طبعًا تملك الكثير، فأنت شاب في مقتبل حياتك تملك القوة، والذكاء، والفطنة، والصبر، والأهم من ذلك هو الإصرار فالإصرار أحد أهم عوامل النجاح ويمكن أن استعين بك في أعمالي الكثيرة وتصبح أهم رجالي.

. كيف أصبح أهم رجالك؟! سيد ماركو، أنا سعيد جدًا بثقتك بي، ولكن صدقني أنا شخص أبسط بكثير مما تظن، فجميع من حولك هم أهل لذلك، فأنا لست الشخص المناسب، كل ما أوده فقط هو عمل بسيط أن لم يكن معكم، فدعني أبحث عنه بالخارج وصدقني لن أنسى أبدًا جميلك أو حتى التزاماتي لك.

. عمل بسيط بالخارج! وماذا يكون العمل البسيط؟ أتريد أن تكون عامل نظافة، أو عامل في محطة وقود مثلاً، أو ربما تنظف الأطباق من بقايا الطعام في أحد المطاعم أو الفنادق، أو حتى تبيع الزهور في أحد إشارات المرور، أم أنك تظن أنك سوف تعمل مدير أو طبيبًا بالخارج؟ لا أظن ذلك، فهم هنا لا يعترفون بشهاداتكم العلمية وقد تحتاج لسنين حتى يقبلوك.

. أعلم أنني لن أعمل طبيبًا، أو مديرًا، أو حتى سكرتيرًا هنا، نعم أنني سوف أسعى لهذا ولن أزاول مهنتي يومًا ما، ولكن لا ضير ولا عيب في ما ذكرت من أعمال، فإني أراها جميعًا أعمال شريفة، كما أنني عملت في مصر في المحلات والمتاجر، فلا عيب في هذا، فذلك أفضل بكثير من أن أصير شحاذًا ومتسولاً من أجل لقمة العيش، أو أصير مديون لا أستطيع الوفاء بديني، فصدقني يا سيد ماركو إنني تحملت أكثر من هذا بكثير وقد سرق

مني حلمي، وظلمت، وسجنت، ومات والدي حزنًا عليَّ، ورهنت بيتي، وتركت إخوتي في أوج احتياجهم لي، فكيف ألا أتحمل بعد كل هذا؟!
فبدا على ماركو التأثر حين رد عليه، قائلاً:

أعلم يا علي أنك تحملت الكثير وظلمت كثيرا ولهذا فقد بعثني الله في طريقك؛ لكي أعوضك سنين الحرمان ومرارة الظلم، فكيف بعد هذا تريد أن تعمل بعمل تافه ربما تقضي فيه نصف عمرك بدون شيء، أنا أريد أن أختصر عليك الطريق، وأقرب لك المسافة، وأجعلك تحقق الثراء السريع معي، صدقني ستحقق أكثر بكثير جدًا مما حلمت سوف أجعل يدك تلامس النجوم عليك، فقط أن تتبعني ولا تخشى شيء.

. سيد ماركو أنا لا أكره الثراء كما ظننت، ولكن كيف يكون هذا الثراء؟ وعلى حساب ماذا؟ وما الذي يمكن أن أقدمه أو أعمله سواءً لك أو لمؤسستك التي لا أفهم شيئًا عن أعمالها ونشاطها وكلما حاولت الاستفسار أجد إجابات مبهمة من الجميع وفى كل مرة لا أجد سوا إجابة واحدة (سوف تعرف كل شيء في أوانه) ولا أعرف حقًا متى يكون أوانه هذا عندك؟ صدقني أنا في حيرة شديدة من كل ما يجري حولي، وأنتَ قطعا لا تفضل تلك الحيرة لي سيد ماركو.

. بالتأكيد علي، ولكن لما الحيرة؟ فأنت تعيش حياة مرفهة وكريمة وقمت بإرسال نقود لأهلك ساعدتك في حل جزء كبير من أزمتك، فأنا لا أجد داعي حقًا لحيرتك هذه وإن كنت تقصد العمل الذي تسأل عنه منذ أول يوم، فالأمر بسيط، فأنا من أول يوم قلت لك أنك تعمل معنا، بل وصرت عضوًا معنا، فمعنى هذا أنني أثق بك منذ أول يوم واعتبرك واحد منا، ولكن فقط أردت أن تأخذ على المكان والناس من حولك وتتدرب

وتتعلم كيف نعمل، ثم بعدها نقرر في أي مكان سوف تعمل أما عن طبيعة أنشطتنا، فنحن شركة متعددة النشاطات نعمل بكل شيء يخطر على بالك، فالمكان الذي تمكث به هو مقر الإدارة الرسمي ولنا فروع كثير في العديد من المجالات في شتى بقاع العالم.

. عذرا سيد ماركو، أنت تتحدث عن شركة متعددة الأنشطة، فهل هذه الأنشطة استيراد وتصدير، أم تصنيع، أم سياحة وإدارة فنادق، أم مقاولات وإنشاءات، أم ماذا تحديدًا؟ فإجابتك تحمل غموض كالغموض الذي يحيط بالمكان، فأنا لا أرى سوا مكان كبير للغاية يقبع في عزلة على البحر، به العديد من الأبنية، والأبواب المغلقة طوال الوقت، ومحاط بنوع شديد من الحرص والسرية، والحرس المدججين بالسلاح وكأن هناك خطر يحيط بكم وبشركتكم، فهل وضحت لي أكثر عن نوع النشاط والعمل؟

. دخن سيجاره عدة مرات قبل أن يرد عليه قائلاً:

نحن علي نعمل كمؤسسة لصالح جهات سيادية بالدولة لتنفيذ العديد من العمليات الخاصة والتي تحمل في بعض الأوقات نوع من الخطورة وتحتاج أشخاص أكفاء ومدربين لمجابهة تلك الأخطار.

. فبدت حالة من التوجس والقلق تظهران على وجه علي مما سمعه، فقال:

جهات سيادية وأعمال خطيرة؟! وما هي الجهات السيادية؟ هل هي المخابرات أم أجهزة الأمن؟ وإن كانت كذلك، فما هي المهام التي تسندها لكم ولما أنتم تحديدًا، فأنتم شركة خاصة لديها استثمارات كما أخبرتني؟

.لا يمكنني حاليًا أن أطلعك على طبيعة تلك الأجهزة، فهذا أمر في منتهى السرية والخصوصية حتى على أقرب الناس هنا والذين يعملون معي منذ سنين، أما المهام التي تسند لنا، فأنت تعلم جيدًا أن كل مجتمع به أناس فاسدين وخارجين عن القانون سواء هنا بإيطاليا أو خارجها بعضهم يكون مدان خلف القضبان، وبعضهم يكون هارب من أحكام، والبعض الأخر يكون معروف بجرائمه، ولكن قد لا توجد أدلة كافية عليه وقد لا تتمكن الجهات السيادية من الوصول إليه وإدانته بالطرق التقليدية، فدورنا يكمن مع النوعين الآخرين.

هنا ظهرت على علي دهشة كبيرة مما يسمع حيث بدأ يستوعب بعض الأمور قائلاً:

.وما دوركم بالتحديد مع هؤلاء المجرمين؟

. دورنا هو توفير الأدلة الكافية؛ لإدانة هؤلاء الأشخاص وإيقاف العديد من الصفقات ومصادرة ما بها أو، ثم أخذ نفس عميق من السيجار، فعاجله علي بالاستفسار قائلاً:

.أو ماذا سيد ماركو؟

.أو تصفيتهم.

فامتقع وجه علي بشدة، وقال:

ماذا تقصد بتصفيتهم؟! تقصد قتلهم؟!

.نعم، إذا استدعى الأمر.

فقال علي وهو مصدوم صدمة شديدة مما يسمع و ظهرت عليه حالة من التوتر الشديد:

إذن فأنتم قتلة ومن يعطيكم الحق في هذا؟ ولما أنتم تحديد؟ ولما لا تقوم

تلك الجهات بالتنفيذ بشكل قانوني طالما أن هؤلاء الأشخاص خطرين ومدانين كما تقول؟ أرجوك وضح لي سيد ماركو.

. أخبرتك سابقًا أن هؤلاء الأشخاص صعب التوصل إليهم بالطرق التقليدية وصعب توفير الأدلة الكافية؛ لإدانتهم ك، ما أنه للأسف ربما يكون البعض منهم يتلقى الحماية من جهات سيادية، أما لما نحن بالتحديد؟ فببساطة؛ لأننا منظمة سرية ونعمل بعيدًا عن الأعين ولأن لدينا الإمكانات والأشخاص المدربين والمعدين خصيصًا لتلك العمليات الخطرة.

. سيد ماركو ما تحكيه لي لا ينطلي على عقل طفل صغير، فالموضوع برمته لازال بعد ما قلته يحمل العديد والمزيد من علامات الاستفهام.

. إذن أنت تظنني كاذب؟

. لا أقصد ذلك، ولكن الأمر كله غامض ومفاجئ لي وخطير للغاية، ولكن لنفترض أن كلامك صحيح وأنكم بالفعل تعملون لصالح جهات سيادية فما دوري أنا معكم؟ هل تريد مني أن أنفذ ما تقوله من قتل وتخريب؟ فهذا أمر مستحيل، فأنا لست الشخص المناسب أبدًا لذلك، نعم، صدقني، أنا لست الشخص المناسب لهذا، فأنا شخص في منتهي البساطة أتيت لأجل لقمة العيش لا القتل، والتدمير، والدخول في عمليات خطرة كالتي تتحدث حولها.

فقال ماركو وقد بدأ يرفع من وتيرة صوته ويحد من نبرته وكأنه ضاق ذرعًا بجداله معه: إذن أنت تريد أنت تقنعني أنك لم تقوم بذلك سابقا؟ علي عليك أن تقول هذا لشخص أخر غيري، فما رأيته منك وما فعلته أمامي يجعلني لا أصدق ذلك الكلام والمثالية التي تتحدث بها، فأنا لا أريد

أن أذكرك بمغامرتك في البحر وهجرتك الغير شرعية وبما اقترفته بحق الشرطي أثناء عمله ولا يزال المسدس الذي أطلقت من الرصاصة شاهدًا عليك وبصماتك عليه كل هذا من أجل الأحلام، والطموحات، والمال، فكفاك تحدثًا عن المثاليات والبساطة المزعومة.

. سيد ماركو أنت تعلم الظرف جيدًا الذي اضطررت فيه لفعل هذا الجرم وكيف دفعتني إلى ذلك واستغللت حالة التوتر الشديد التي كنت أمر بها وقتها، فأقسم أنني وقتها لم أعي بما فعلت إلا بعدما حدث وأنني لتلك اللحظة لم أنسى ما حدث ومازال ذلك الذنب بحق هذا الشرطي يرافقني ويلازمني في كل يوم وكل ليلة في أحلامي ويقظتي ولو عادت بي الأيام للخلف لما فعلت هذا مهما حدث وربما لم أقدم على تلك الرحلة على الإطلاق.

. أنا لم أدفعك لذلك، بل إنه طمعك وخوفك من أن تضيع أحلامك هباءً هو الذي دفعك له، كما أنني بهذا الكلام لا أهددك وليس غرضي أن أقلقك، فأنا أعدك بأن ما حدث سيكون دوما في طي الكتمان بيني وبينك، كما أن هؤلاء الأشخاص الذين ستتعامل معهم ليس أناس شرفاء، بل مجرمين وأشخاص خطرين جدًا فسيكون هذا بحد ذاته شرف لك في أن تساعد على القبض عليهم أو التخلص منهم، فوقتها المجتمع لن ينسى لك هذا الجميل، هذا بخلاف الفائدة المادية التي ستعود عليك جراء هذا والتي سوف تنقلك نقلة أخرى في زمن وجيز جدًا.

هدأ قليلاً وقال بعد وقت من الصمت: وما المقابل الذي تتقاضونه نظير هذا؟ وكيف تتقاضونه؟

. نحن لنا حصة مالية نظير كل عملية نقوم بها تقدر وفقًا لقيمة ما يتم مصادرته أثناء التنفيذ، ثم تحول لحساباتنا، ثم بعد هذا نحدد نصيب كل فرد أشرف على العملية ويودع بحسابه سواء هنا بإيطاليا أو بأي مكان يريده بالعالم وكل حسب اجتهاده، كل ما أريده منك فقط في الفترة القادمة المزيد من التدريب.

. مزيدًا من التدريب؟! أما يكفي ما تدربت عليه، ألا زال يوجد تدريبات أخرى لم أقم بها؟ وإن كان موجود فما هي؟

. نعم التدريبات الأهم، كالتدريب على الأسلحة، والذخائر، وتجاوز كافة أنظمة المراقبة، واستخدام القنابل، وتهكير أجهزة الحاسوب، والقنص، ومواجهة المواقف الصعبة والخطرة.

فازداد إحباطه حين سمع ذلك من ماركو معلقا:

يالا المصيبة !يالا الكارثة! و أنا الذي سألت نفسي سابقًا لما كل تلك التدريبات البدنية ولما التركيز الشديد عليها، كان لا بد لي أن أعلم أن هذه لن تكون النهاية، فتبقي جزء من التدريبات العنيفة حتى تكتمل الصورة، ثم جلس مدة وجيزة يدور حول نفسه في نفس المكان مفكرًا ومصدومًا في نفس الوقت من هول ما سمع، ثم توجه نحو ماركو قائلاً: وماذا لو رفضت عرضك سيد ماركو بالعمل معكم وإكمال التدريبات وطلبت منك أن تدعني أذهب لحال سبيلي؟

. ولماذا ترفض يا فتى؟ فأنت قطعًا أعقل من ذلك، فتلك الفرصة يتمناها ملايين الشباب مثلك سواء هنا بإيطاليا أو خارجها وسوف تجلب لك الثراء في أقرب زمن قياسي، فرصة يتمناها ملايين الشباب. . صدقني أنا لست من هؤلاء الملايين الذين يتمنون مثل تلك الفرص، فأنا أراها

انتكاسة خطيرة ولم يدر بذهني مطلقًا أن أكون في ذلك الموقف؟، أشعر كأنني بكابوس مؤلم ولا أستطيع الاستيقاظ منه.

. هون على نفسك الأمر وانظر حولنا مثلاً، لترى أننا في أفضل حال، فكل هؤلاء كانوا مثلك تمامًا، لكن تأمل في حالهم الآن، كيف أصبحوا وصار كل واحد منهم يملك ما لم يكن يحلم به في يوم من الأيام؟ عليك فقط أن تفكر مليًا بالأمر قبل أن تتخذ قرار وتضيع فرصة ذهبية عليك.

فقال علي بعد أن أخذ نفسًا عميقا وبطريقة عقلانية:

حسنًا سيد ماركو، اتركني مزيدًا من الوقت: لأفكر جيدًا فيما قلت وبعدها أعطيك ردي، ولكن أطلب منك فقط أن تدعني أخذ وقتي بالتفكير بالأمر وألا يطلب أحدًا مني شيء أو حتى يحدثني، حتى أرد عليك.

. لابأس خذ وقتك في التفكير وكل أمل وثقة أنك سوف تقبل في النهاية، فصدقني إنها فرصة ثمينة لا تعوض.

كان الظلام بدأ يخيم علي المكان فبدأ علي يحمل الأمتعة والخيمة إلى السيارة مرة أخرى في ختام اليوم وهو مثقل القدمين من كثرة التفكير فيما قاله ماركو والذي أصبح لا يفارقه لحظة، ثم ركبا السيارة عائدين إلى القصر وطيلة الطريق في العودة لم يتفوه علي بكلمة واحدة فقط ينظر تارة إلى ماركو وباقي الوقت بالطريق وكأنه يريد أن يقول لماركو: أرجوك دعني أذهب لحالي، وكان ماركو يرى تلك النظرات منه ولا يبالي لها فقط ينظر أمامه وظل الوضع هكذا حتى وصل إلي القصر ودخلا بالسيارة، ثم توقفت داخل القصر وكانت إيزابيلا بانتظارهما وما أن وقفت السيارة حتى نزل علي بسرعة منها متوجهًا نحو القصر حتى دون أن

يلقي التحية على إيزابيلا وكأنه يريد الذهاب إلى غرفته لينفرد بنفسه، وما أن رأت إيزابيلا هذا حتى توجهت نحو ماركو قائلة: ماذا حل به ولما نزل مسرعًا هكذا نحو غرفته وعلى وجه تبدو حالة من التجهم أحدث له مكروه؟

فرد قائلاً: لا شيء سوا أننا تحدثنا في بعض الأمور، ولكن على ما يبدو أنه يتحامل على نفسه أكثر من اللازم، عليك فقط أن تتركيه ولا تدعي أحدًا يحدثه الآن أو حتى في الساعات القادمة، كما أطلب منك أن تتابعي حركته جيدًا من خلال الكاميرات في الوقت القادم وتخبريني بأي حركة ترينها غير طبيعية، فأنا لا أحب المفاجأت.

وما أن دخل علي إلى غرفته حتى جلس مفكرًا فيما سمع واضعًا يده على رأسه مصدومًا صدمة شديدة، قائلاً لنفسه: ما الذي يحدث لي؟ وما هذه المفارقات التي أتعرض لها؟ وهل هذه فعلاً منظمة تعمل لصالح جهات سيادية أم منظمة إجرامية لديها أنشطة مشبوهة؟ وسواء كان هذا أو ذاك ،فأنا مقبل على وضع في منتهى الخطورة ولابد لي من إيجاد حل سريع جدًا، فأنا لن أستطيع مسايرتهم بعد الآن، ولكن ما الحل بعدما اتضحت الصورة المظلمة؟ وظل يفكر هكذا لساعات حتى اهتدي إلى حل فقال أنه يتعين علي الهروب من هذا المكان وذلك القصر في أسرع وقت وعدم الرجوع له مطلقا ولكن كيف؟ فالمكان محاط بحراسة شديدة وربما أتعرض لمكروه إن أقدمت على هذا وأجل التفكير في طريقة الهروب لليوم التالي وبالفعل في اليوم التالي بدأ يعد العدة لذلك الغرض ولم يخرج مطلقًا من غرفته، بل إنه طلب حتى من الطهاة عدم دعوته إلى الطعام أو إحضار أي شيء له وقام بتحضير حقيبة صغيرة له تحمل بعض

أغراضه كل هذا وهو لا يعلم أنه مراقب بالكاميرات، فضلاً عن أن القصر نفسه مراقب جيدًا من الداخل والخارج، وبما أن رأت إيزابيلا هذا عبر الشاشة حتى اتصلت بماركو الذي كان جالسا بمكتبه وأخبرته بما رأت وبأمر الحقيبة، فخمن ماركو أنه ربما يود الهرب، فطلب منها أن ترسل لمارسيلو وأن عليه الحضور حالاً إلى مكتبه، وبالفعل أرسلت إليه وذهب مسرعًا نحو مكتب ماركو.

. مساء الخير سيد ماركو أخبرتني إيزابيلا أنك تريدني في أمر عاجل وهام.

. نعم مارسيلو، فأنت رجلي في الداخل والمسؤول عن حراسة القصر وأريدك في أمر له علاقة بمهامك المباشرة.

. رهن إشارتك سيدي.

. ضيفنا الجديد.

. ماذا به؟ أفعل شيء؛ كي نتخذ معه إجراء كغيره سابقا؟

. لتلك اللحظة لا، ولكن على ما يبدو أنه مقدم على الهرب، ثم طلب من إيزابيلا أن تفتح شاشة عرض لهم عبر الشبكة الداخلية، فقال مارسيلو بعدما شاهد الشاشة:

يبدو فعلاً أنه مقدم على الهرب واضعًا حقيبته بجواره وكأنه يفكر في كيفية هذا و منتظرًا لحظة الانطلاق.

. هو كذلك يفكر في خطة للهرب وينتظر الوقت المناسب له.

. إذن أنت تريدني أن أمنعه من الهرب؟

. بل أريدك أن تساعده على الهروب.

فأبدي مارسيلو تعجبه قائلاً:

أساعده على الهروب؟! عذرًا سيدي أنا لا أفهم ما تقصده تحديدًا.

. أريده أن يهرب وأن يعود وبين هروبه وعودته يتلقى درسًا قاسيًا، درسًا نفسيًا لا جسديًا، درس يكون في مصلحتنا.

. نعم فهمتك سيد ماركو وسوف أعد الخطة لذلك في أسرع وقت ممكن وسترى نتائج تبهرك.

. أنتَ دائمًا تبهرني مارسيلو حتى حين تلعب معي الشطرنج. . سيدي، نحن تلاميذك.

. إذن لي جولة عندك، ولكن بعد أن تنجز هذا الموضوع.

. هذا شرف لي والآن استأذنك؛ لكي أذهب وأحصل على نسخة من ملفه لدينا وأضع الخطة المناسبة لضيفنا العزيز.

فقال ماركو مخاطبًا مارسيلو وهو على الباب:

مارسيلو.

. فالتفت نحو:

. أمرك سيدي.

. نفسيًا لا جسديًا مارسيلو، ثم أشار له بالانصراف.

ظل علي يفكر في طريقة للهرب دون أن يدري أحدًا به خاصة أن القصر به حراسة مشددة وربما يكون الأمر ينطوي على قدر من المغامرة تؤدي به إلى ما لا يحمد عقباه والأمر الوحيد الذي كان يهون عليه هذا هو شعوره بأن ما هو مقبل عليه أشد خطرًا من الهروب، وبالفعل اختمرت الخطة بذهنه وانتظر حتى هدأت الأجواء ونام أغلب من في القصر وفي الثالثة بعد منتصف الليل تقريبًا بدأ بالتحرك من غرفته كل هذا وهو مراقب ولا ينتبه لذلك فقط منساق وراء رغبته في الهروب بأي ثمن من هذا القصر، ونزل إلى أسفل القصر متوجهًا للبوابة الرئيسية، لكن وجد

أن عليها حراسة مشددة وأن الأمر مستحيل، فرجع إلى الجهة الخلفية من القصر وكان هناك بوابتين فرعيتين، ولكن الأمر لا يختلف كثيرًا في مسألة الحراسة، اقتنع أن موضوع الخروج من الأبواب هو أمر مستحيل، فقرر القفز من فوق السور دون أن يلاحظه أحد، ولكن السور كان مرتفعًا بدرجة لا تمكنه من هذا، فبحث عن أي شيء ليقف عليه، فبحث في المكان حتى وجد برميل قمامة، فأفرغ محتوياته كل هذا وهو في حالة من الخوف الشديد أن يلاحظه أحد، ولكن الأمور تسير على ما يرام بالفعل قفز من على السور خارج القصر ليتفاجأ بوجود حراسة متحركة على أسوار القصر فسرعان ما اختبأ خلف شجرة حتى مرت من أمامه، ثم نزل برأسه متحركًا بعيدًا عن القصر حتى تواري عن الأنظار، ثم استخدم نفس الطريق وهو ذاهب إلى رحلة الصيد وما أن مشي بعض الوقت عليه مبتعدًا مسافة كبيرة عن القصر تتجاوز الكيلو متر حتى ظهرت سيارة شرطة خلفه وما أن رآه حتى اختبأ، ولكن حين اقتربت سيارة الشرطة من مكان اختبائه رأت حركة غير طبيعية بين الأشجار، فوجهت الإضاءة نحوها لتجد شخصًا خلف الأشجار، فنزلا شرطيان متوجهين نحوه وحين رأى ضوء السيارة نحوه ورأى الشرطيين متوجهين إليه لم يجد أمامه سوي الهرب والجري وترك حقيبته وحين رأى الشرطيين هذا المنظر أصابهما الشك به، فأسرعا خلفه وحمل أحدهما الحقيبة التي تركها وقام بتفتيشها ولم يجد سوا بعض الملابس وحصلت مطاردة بينه وبينهما انتهت بإشهار أسلحتهما تجاهه مطلقين أعيرة في الهواء تهديدًا له، ولكنه لم يرضخ لهما، ثم أطلقا أعيرة بجوار قدمه، فشعر بالخطر خاصة وأنه بدأ ينهكه الجري، فتوقف رافعًا يديه، ثم قام أحدهما بكلبشة يديه

وأخذه حيث تقف سيارة الشرطة مسافة بضع دقائق سيرًا، ثم توجهت السيارة بعد هذا إلى أحد مقرات الشرطة الصغيرة بالقرب من المكان، ولكن كان بعيدًا نسبيًا عن الطريق والمارة ولم يكن بها سوا شرطيين بالداخل، فوضعاه بمكان الحجز حتى الصباح حينها حضر الضابط المسؤول تلك النقطة وأحضروه أمامه وكان وقتها في غاية التعب والإرهاق، فقد ظل يومين بدون نوم وطعام، كما أنه كان متوتر جدًا وظهر عليه القلق الشديد مما يحدث، فهو يهرب من جحيم لجحيم ووجه له الضابط بضعة أسئلة : ما اسمك وجنسيتك؟

.اسمي؟ اسمي....

نسيت اسمك أم تريد أن نسميك نحن؟ ليس هناك مشكلة، فلدينا هنا أجندة بها مئات الأسماء سوف اختار منها ما يحلو لك أم تريد أن نختار نحن لك كما يبدو لي من ردك أنك تفهم وتتحدث الإيطالية، فهل أنت إيطالي أم تعلمتها هنا؟ هيا أخبرني ماهي جنسيتك؟ يبدو أن الشرطي لا يعطيه فرصة للجواب أو حتي الرد، وقال له: يبدو أنك مراوغ كبير تهرب من رجال الشرطة ولا تتوقف إلا حين يطلقون الرصاصة نحوك من الواضح أن ورائك مصيبة كبرى وعليَّ أن اكتشفها حالاً، أين أوراقك وهويتك أو جواز سفرك؟

.ليس لدي أية أوراق فقد نسيتها هناك؟

فقال الضابط متهكمًا:

نعم هناك؟! هناك أين؟ كي أذهب سريعًا بسيارة الشرطة وأحضرها لك، أعلم من هم على شاكلتك، ياهذا تريد أن تضيع وقت الشرطة هباءً بدون فائدة في تلك المراوغة الماكرة منك، ولكن لا بأس فحتى إن لم يكن

لديك أوراق، فسوف أعلم من أنت وماذا خلفك من جرائم؟ ووقتها صدقني لن أرحمك وسيكون مصيرك خلف القضبان أو حتى الإعدام، أعتقد أنك تفضل الأخيرة أليس كذلك يا..؟ يا ماذا؟ ماذا أناديك؟ ما رأيك بألفونسو جميل ها، أو ويليامز، أو ربما فرانكو، أنا أفضل فرانكو إلى حين أن أعرف حقيقتك، ثم نادي علي أحد الشرطيين الموجودين، خذ صديقنا فرانكو إلى زنزانته، ولكن قبل هذا قم بتصويره وأخذ بصماته ورفعها لنا وتعميمها؛ لكي نتحرى عنه بدقة، فأعتقد أن إقامته سوف تطول معنا حتي نعرف ما ورائه، ثم أخذه الشرطي وقام بما أمر الضابط به معه، وكان لا يفعل سوا أنه يغمغم بكلمات بالعربية ولا يفهم الشرطي منها شيء، ويقول: لقد انتهى كل شيء، لقد انتهى أمري، وضاعت أسرتي، ومات آخر أمل لي وظل هكذا حتى دخل زنزانته مرددًا نفس الكلمات طوال الوقت يملئه الحزن، واليأس، وإحساسه بسوء الحظ الذي أصبح قرين له في فترات حياته الأخيرة، ولكنه مع الوقت كان لديه بصيص أمل وظل يدعو الله أن يخرجه من تلك المحنة، فربما ينتهي به الأمر إلي الإعدام كما قال الضابط خاصة أن لديه جريمة قتل وليس أية جريمة قتل إنها قتل شرطي وقت تأدية مهام وظيفته، وظل علي هذا المنوال لمدة ثلاثة أيام يقدم له القليل من الطعام ولا يأكل منه إلا القليل جدًا، فظل ذهنه شاردا طوال الوقت مفكرًا بحاله وبما آلت إليه أوضاعه من سيء لأسوأ وفى اليوم الرابع دخل عليه الشرطي؛ ليخبره بأنه أتي أحد لزيارته، فتعجب من الأمر، ترى من يكون قد أتي لزيارتي؟ وكيف عرف بمكان حجزي؟ وحين دخل إلى غرفة الضابط، إذ به تفاجأ بمارسيلو

بانتظاره، فتركهما الضابط لبعض الوقت سويًا على انفراد ودار بينهم هذا الحوار

. مالك هكذا يا علي واقف تنظر إلي وكأنك لا تريد مقابلتي؟

. لا، ليس هكذا مارسيلو، ولكن فقط المفاجأة، فلم أكن أتوقع أن تعلموا بمكان احتجازي بهذا السرعة، لا أدري كيف وصلكم الخبر؟

. كيف لا يصلنا وصورك تملأ كل مكان وصفحات الإنترنت التابعة للسلطات الأمنية يحاولون الحصول على أية معلومة تدل عليك وعلى شخصك ويشكون أن خلفك جريمة كبيرة، ولكن حين تعرفت عليها إيزابيلا أخبرتنا بها على الفور وبعلاقات السيد ماركو عرفنا مكان احتجازك هنا، ولكن فقط أخبرني لماذا تركتنا هكذا؟ أحدث لك مكروه أم تعرض لك أحد بأذى؟

. لا، ولكن عليك أن تسأل السيد ماركو هذا السؤال، فأعتقد أن إجابته ستكون واضحة أكثر مني.

. السيد ماركو ؟! أتعلم بأن السيد ماركو حين علم باختفائك من القصر جن جنونه وأرسل إلينا جميعًا ليسأل عنك، وهل تعرض أحد منا لك بشيء وظل يبحث بنفسه عنك وطلب منا جميعًا ألا تغفي عيوننا لحظة واحدة حتى نعلم مكانك وكيف هي حالتك؟ فلن أنسي كلامه لنا (ابحثوا عن علي في كل مكان، أخشى أن يكون تعرض الفتى لأذى من أحد، لا تعودوا إلا وهو معكم سالمًا إلى القصر مجددًا) فلم أرى السيد ماركو بتلك الحالة سابقًا ولم أكن أدري أنك غالي عليه لتلك الدرجة، فيبدو أنك فعلا شخصًا مهمًا جدًا بالنسبة له.

. نعم، أعلم أنني شخص مهم بالنسبة له وتلك هي المشكلة، يا ليتني لم أكن مهما بالنسبة له مارسيلو كنت لن أصل إلى ما أنا فيه الآن.

فبدي مارسيلو مندهشًا من حديثه هذا قائلاً:

عذرًا علي، لا أفهم ماذا تقصد بكلامك هذا؟

. لا شيء مجرد كلام لا تهتم له، ولكن أخبرني ما فائدة حضورك إليَّ ومعرفة مكاني وهل من سبيل لخروجي من هنا؟

. وكيف لا يوجد سبيل؟ يوجد لدينا كل شيء وهذا ما جاء بي لمقابلتك اليوم؛ كي نرتب خروجك من هنا.

. كيف هذا؟ كما أنك تقول أن صوري بكل مكان وتم تعميمها على كل الأقسام، فخروجي صعب جدًا وإن خرجت، فالأمر أكثر صعوبة بالخارج،

. لا تقلي، فكل شيء تم تخطيطه ووضعت الخطة في ورقة بتلك الحقيبة التي بها بعض المأكولات التي أحضرتها لك، عليك فقط أن تنفذ ما بها من تعليمات بدقة وستكون خارج هذا المكان.

ثم دخل الشرطي عليهما وأخبرهما أن وقت الزيارة قد انتهي، فانصرف مارسيلو وأعيد علي لمكان حجزه ومعه حقيبة الطعام وظل يفكر بما في الحقيبة والكلام الذي قاله له مارسيلو سائلا نفسه: ما الذي يحدث وكيف أتصرف ألآن أأرضخ لهم وأرجع هناك بعد إن تمكنت من الهرب وماذا بعدها؟ فلا مجال للهرب مرة أخرى فسوف يكونون أكثر حرصًا، ثم إن رجوعي معناه موافقتي على العمل معهم في هذا النشاط المشبوه المحفوف بالمخاطر أم أظل هنا حتى أواجه نصيبي الذي ربما ينتهي بي إلى الإعدام؟ يا لها من حيرة! ويا له من اختيار صعب! ثم صار يفكر على

هذا النحو وهو يذرع زنزانته جيئة وذهابًا، ناظرًا إلى الحقيبة التي بها الطعام تارة وتارة إلي باب الزنزانة ذاته وكأنه يقول إن طريق خروجي من هذا الباب هنا داخل تلك الحقيبة، ولكن أخشى ما ينتظرني بالخارج، فهذه المرة لا مفر من الواقع، ثم قرر بأن يفتح الحقيبة ليجد بعض لفات الطعام ومعها بعض العصير وكان أسفل الطعام ورقة صغيرة بها خطة الهروب مكتوب بها (بعد منتصف الليل وبعد تناول طعامك يوجد عصا كهربائية صغيرة بوجبة الدجاج يغمى على الفور على من تستخدم ضده لمدة عشر دقائق، عليك التظاهر بالمغص الشديد عند وجود الشرطي بالقرب من زنزانتك سوف يفتح الباب؛ ليطمئن عليك وقتها باغته بضربة بها وخذ منه مفتاح الباب الرئيسي للزنزانة واستخدم نفس العصا مع الشرطي الأخر، ثم بعدها أخرج خارج نقطة الشرطة ومشي على الطريق الرئيسي شرقًا مسافة مائتي متر تقريبًا؛ لتجد سيارة بيضاء بانتظارك على جانب الطريق وعليك أن تنجز هذا في عشر دقائق قبل أن يفيق الشرطي وحاول هذه المرة ألا تغامر وتذهب بعيدًا عنا، فصورك بكل قسم وقد لا نستطيع إخراجك المرة القادمة، وبالفعل انتظر علي حتى منتصف الليل وما أن اقترب الشرطي من أمام الزنزانة حتى تظاهر بالإعياء والمغص، فما كان منه إلا أن فتح باب الزنزانة؛ ليطمئن عليه ويسأله عما أصابه وما أن أعطي الشرطي ظهره له؛ لكي ينادي صديقه حتى باغته بضربة على جسده ليغيب عن الوعي، ثم أخذ المفاتيح وفتح الباب الرئيسي للزنزانة حيث كان لها بابين وحين فتح الباب إذ به يفاجأ بالشرطي الآخر وكان جالسًا فباغته بسرعة جدًا بنفس العصا، ثم فتح الباب الرئيسي، ولكنه وجد الشرطيين اللذين أمسكا به واقفين بسيارتهما

خارج النقطة، فكيف عليه أن يخرج دون أن يلاحظاه وفي أقل من خمس دقائق فليس هناك وقت؟ وظل يبحث بالمكان عن طريقة للخروج فوجد باب مغلق فخمن أن يكون وراءه ربما نافذة للخروج أو شيء يساعده على ذلك، ولكن الباب مغلق والمفاتيح التي مع الشرطي لا تصلح معه، فبحث عن أي شيء بالمكان؛ لكي يكسر الباب وبالفعل وجد مطرقة بدورة المياه، فقام بكسر مقبض الباب وبالفعل وجد ضالته في نافذة صغير تأخذه إلى الخارج في المكان الجانبي لتلك النقطة وقد تواري بالأشجار المحيطة بالمكان من شجرة إلى الأخرى حتى ابتعد عنهما، ولكن لفت نظره شيء غريب هو أن تلك النقطة ليس بها أية، أعلام، أو أية إشارات حكومية رسمية، أو حتى اسم لها، ولكن لا يوجد وقت للتفكير حول هذا الأمر وحين وصل للطريق الرئيسي أسرع بالجري وحين قطع أغلب المسافة وكان بالاتجاه الشرقي نحو السيارة إذا بالشرطي يفيق ويجري للخارج ليبلغ الشرطيين بما جري وبالفعل ركبا السيارة وأسرعا في نفس الاتجاه على الطريق وحين رأي ذلك جري بأقصى ما يمكن؛ لكي يركب السيارة التي بانتظاره وركب بمنتهى السرعة حين وصل إليها وانطلقت مسرعة وكان يقودها مارسيلو الذي قال له فور ركوبه: اربط حزام الأمان جيدًا علي، وبعدها حدثت مطاردة لهما من قبل سيارة الشرطة ومن مكان إلى مكان حتى تمكن مارسيلو بأن يختفي عنهما بالانعطاف فجأة لإحدى الطرق الضيقة الجانبية ومنها إلى طريق آخر وظل مسرعًا هكذا حتى وصل إلى قلب مدينة باليرمو دون أن يذهب إلى القصر واستغرب علي من هذا فكان يظن أن يذهب به إلى القصر، لكنه أخذه إلى احدي الشقق السكنية ليبلغه بأن يمكث هنا الليلة حتى الغد

وفى الغد سيأتي ويأخذه إلى القصر مرة أخرى وعليه ألا يقلق فالمكان آمن جدًا ، وقبل أن يغادر مارسيلو سأله علي سؤال: كيف عرفت مارسيلو أن للزنزانة بابين؟

فارتبك مارسيلو قليلاً من سؤاله المفاجئ، وقال له: لقد بعثت أحد رجالي إلى هناك من قبل ليتفحص المكان جيدًا ويصفه لي قبل أن أضع الخطة المناسبة للهرب وها قد أنجزنا المهمة بنجاح، عليك فقط أن تنسى ما فات، وتلك التجربة المؤلمة، وتنال قسطًا وافرًا من الراحة، فأنا اعلم بمدى تعبك طيلة الليالي الماضية، كما أحب أن أخبرك بأن كل ما قد تحتاجه من طعام، وشراب، وسجائر، وملابس حتى موجود هنا بالشقة، ليلة سعيدة يا صديقي.

وغادر مارسيلو الشقة وبقي علي يفكر فيما جرى وما سيجري بعد ذلك وبدأ يقول لنفسه: إلى متى سأظل تائهًا هكذا؟ إلى متى سأظل خائفًا، مترددًا، مثاليًا كما يقول ماركو؟ ماذا فعلت لي تلك المثالية الزائفة؟ هل غيرت من حياتي شيء؟ هل منحتني ما سعيت له طيلة سنين دراسة طويلة؟ هل أعادت لي والدي؟ هل منحتني أنا وإخوتي السعادة؟ لا، بل على العكس بسببها ذقت المرار؛ كي أتعلم وبسببها حرمت من متع الحياة وبسببها فقدت أسرتي وتركتهم وهم في أمس الحاجة لي؟ إذن ماذا سوف تفعل بي بعد هذا؟ أعتقد أنه آن الأوان؛ لكي نفترق بعد الآن، فلا مكان لها معي ولا مكان لي معها، فيبدو أن العالم موحش أكثر مما كنت أتوقع، والناس صارت كالذئاب تنهش بعضها بعضًا، ولغة المال هي التي تحكم في هذا العالم، هذا العالم الذي لا بد أن أجد مكان لي به، وها هي الفرصة تلوح أمامي، فلماذا أهرب منها، فربما تكون تلك الفرصة هي التي

تعوضني عن المآسي التي مررت بها وعن حالة الضنك التي عشتها فلما لا أغامر وأقتنصها، فالأمر كله من أوله مغامرة، فقط عليَّ أن أتخلص من أفكاري القديمة البالية التي لا تصلح حاليًا في هذا العالم، فليس أمامي سوا خيارين إما أن أهرب مع مثاليتي ومبادئي وأضيع مرة أخرى بهذا العالم وربما ينتهي بي الأمر إلى الموت، أو أهرب أنا منها وأصبح جزءًا من ذلك العالم الجديد وأحقق ما لم استطع تحقيقه في السابق، أعتقد أن الاختيار الأول أصبح لا مكان له بعد كل ما حدث وبعد ما نال حظه طوال السنين الماضية ولم يدفع عني الضرر وفقط عليَّ أن أجرب و أسير وراء الاختيار الثاني، ثم بعدها غفت عينيه في نوم عميق من التعب وذلك بعد أن أصبحت لديه تلك القناعات الجديدة التي سوف تغير مجريات حياته رأسًا على عقب كما سيتضح فيما بعد.

الفصل الرابع

عصر اليوم التالي إذا بمارسيلو يخبره عبر هاتف الشقة بأن يكون جاهزًا فبعد ساعة من الآن سوف تمر عليه سيارة؛ لتأخذه إلى القصر مرة أخرى، وقد كان مارسيلو مع ماركو بمكتبه وكانت معهم إيزابيلا، فقال ماركو:

تعجبني خطتك تلك مارسيلو، كم أنت ماكر، ولكن أخبرني هل الأمر انطلى عليه بأكمله أم شك في شيء؟

. في بداية الأمر نعم، ولكن في النهاية أعتقد أن شك دار بذهنه.

. وكيف عرفت ذلك؟

. سألني سؤال عن كيفية معرفة بوجود بابين للزنزانة بما يوحي أنه توجس من شيء، ولكنني أجبته إجابة منطقية بأنني أرسلت أحد رجالي إلى هناك ليتفحص المكان.

. يعجبني هذا الفتى في طريقة تفكيره وشكه، فهذا دليل على الفطنة التي يتمتع بها وهذا ما يجعلني متمسكًا به لتلك اللحظة.

. كما أن طريقة هروبه من السجن وبحثه عن مخرج بخلاف الباب الرئيسي والبحث عن أداة لكسر الباب في وقت ضيق تدل على سرعة البديهة والسرعة في اتخاذ القرار المناسب.

. نعم عزيزتي إيزابيلا هذا أيضًا لفت نظري وهذا بالفعل دليل على سرعة بديهته وأيضًا مباغتته للشرطي الآخر دليل على سرعة اتخاذ قرار، ولكن أخبرني مارسيلو ماذا لو لم يجد أداة لكسر الباب والوقت يمر عليه؟

لا شيء سوا أنني بعدها بدقيقة على الأكثر كنت سأمر الشخصين بالخارج أن يذهبا بسيارتهما بعيدًا؛ لكي يفسحوا له المجال للهرب، ولكنني تمنيت الحل الأول؛ لأن به بعض الضغط النفسي والفكري الذي يعد في نفس الوقت اختبارًا ناجحًا له.

في ذلك الوقت كانت السيارة التي تحمل علي قد وصلت للقصر، فنزل منها وكان مارك، وإيزابيلا، ومارسيلو جميعهم باستقباله بحفاوة بالغة و، ما أن نزل علي حتى توجه مباشرة إلى ماركو قائلا:

سيد ماركو، أنا في خدمتك. فتفاجأ ماركو من رد فعل علي الذي لم يتوقعه ونظر إليه بدهشة وقد كان كل من مارسيلو و إيزابيلا أيضًا بغاية الدهشة من رد فعله.

. كلنا هنا في خدمة بعض فلا فضل لأحد على الآخر كل نكمل بعضنا البعض من أجل أهداف منظمتنا، علينا فقط أن ندخل إلى القصر فلا أظن أننا نفضل أن نكمل كلامنا هنا أمام الحرس والعمال، ثم دخلوا لمكتب إيزابيلا، وقال ماركو:

لقد افتقدتك كثيرًا يا علي طيلة الأيام الماضية، ولكن على ما يبدو أنك لم تعد ترتاح معنا فتركتنا هكذا حتى بدون سلام وكأننا آذيناك بشيء أو طلبنا منك ما هو مستحيل.

. وأنا أيضًا اشتقت لكم، فقد كنت أريد فقط أن أكون بعيدًا عنكم لفترة حتى أعيد ترتيب أوراقي وأحدد أولوياتي خاصة بعد أخر حوار لنا.

. وهل أعدت ترتيب أوراقك؟

. نعم سيد ماركو.

. وإلى أي نتيجة توصلت؟

.كما قلت لك سيد ماركو، أنا بخدمتك وتحت أوامرك.

. وهل توصلت لتلك النتيجة عن قناعة فعلاً أم شيء أخر؟ ظرف طارئ مثلاً، فلابد أن أكون صادقًا معك من الآن، فأنا شخص لا أحب المفاجآت في وقت الجد.

. سيد ماركو، أنا حين أقول لك أنني تحت خدمتك فأنا أعي ما أقوله، فعليك فقط أن تعلم أنك تتعامل مع شخص جديد الآن غير الذي تعاملت معه بالأمس، شخص يريد أن يكون جزءًا من هذا العالم الجديد، شخص يقبل التحديات ويتحمل المخاطرة من أجل شيء واحد فقط وهو أن يحقق أهدافه والتي لا بديل أمامه سوا النجاح في الوصول لها.

. وأنا أعدك أنك سوف تجد معي أكثر بكثير مما تطمح به، عليك فقط أن تنفذ ما أقوله لك وستجد دومًا النجاح الساحق حليفا لك.

. سيد ماركو، أنا رجلك من الآن.

. جيد، جيد جدًا، هذا ما تمنيته، إذا فلنبدأ بالجد.

. وكيف ومتي يكون هذا؟

. الأيام القادمة سوف تتدرب كما سبق وأن أخبرتك على مختلف الأسلحة وكيفية استخدامها وعليك أن تكون ماهرًا بها، كذلك كيفية زرع القنابل والمتفجرات؛ لأنه ربما تتعرض لمواقف خطيرة جدًا فالأشخاص والجهات التي سوف نتعامل معها في منتهي الخطورة ولديهم دائمًا أفراد مدربة على هذا؛ فلذلك لابد أن يكون تدريبك أعلى منهم بكثير، كما عليك تعلم التعامل مع مختلف الأجهزة التكنولوجية وكيفية اختراق الأجهزة والخوادم؛ لأنه ربما في كثير من المهام نحتاج إلى العديد

من البيانات المهمة والتي عادة ما تكون محفوظة بتلك الأجهزة، كذلك الهروب والتخفي من كاميرات المراقبة والتي عادة ما تكون مزروعة بطرق مختلفة لدي الهدف، وكذلك أشعة الليزر والأسلاك الشائكة، وتعلم طرق التخفي وحتى التنكر لو لزم الأمر.

. يبدو أننا مقبلون على حرب على ما أعتقد؛ لكي يتطلب الأمر كل هذا الجهد وتلك التدريبات القاسية والمفزعة.

فضحك ماركو قائلاً:

ليست حربا بالمعنى، ولكن كما سبق وأخبرتك أننا نتعامل مع مجرمين ومخربين ودائمًا هؤلاء الأشخاص لديهم ما يزعجك فلابد أن تكون دائمًا مستعد ولا تخشى من شيء فدائمًا سنكون نحن معك وحولك ولن نتركك وحدك، ولكن عليك فقط الآن التركيز بالتدريبات الجديدة وبعدها نحدد متى نبدأ بالعمل أو المهام المزمع تنفيذها؟

.إذن سوف أتعامل مجددا مع صديقي بيترو؟

. بالتأكيد بيترو وباعتباره المشرف الرئيسي على تدريبك سيكون على تواصل دائم معك ومع من سيدربك حيث ستتعامل مع شخص جديد يدعي بونوشي فيندولا المشرف على قطاع التسليح والذخائر بالمنظمة.

.بونوشي؟ لم أره مسبقًا هنا بينكم؟

. نعم، فقد كان بمهمة خارجية طيلة الشهور الماضية وسوف تتعامل معه كثيرًا بالأيام القادمة، فهو أكثر شخص متخصص بالتدريب على الأسلحة ويمكن أن تتدرب معه على مختلف الأسلحة وكيفية استخدام الذخيرة؟

.حسنًا ومتى سوف نبدأ؟

. إيزابيلا سوف تعرفك ببونوشي وبعدها عليكما عمل خطة سويا للتدريب.

وبالفعل في صباح اليوم التالي ذهب علي إلى مكتب إيزابيلا، فمشيا بأحد الممرات المتواجدة بحديقة القصر حيث كان يجلس بونوشي مع جيوفاني وقد كانا مندمجين بالحديث سويًا وكأن العلاقة بينهما مختلفة عن الأخرين، فنهض حينما اقتربا منه حيث كان يتبادل الحديث الممزوج بالضحك مع جيوفاني، وقد كان بونوشي هذا إنسان فارع الطول، ضخم الجسد والرأس بشكل واضح لأي أحد يراه، أبيض البشرة، أصلع الشعر، ويحلق ما تبقى منه، ذو أيدي كبيرة وعريضة للغاية وقوية أيضًا، بأصابع طويلة، ووجنتين كبيرتين وغليظتين، وفك عريض للغاية، وأكتاف عريضة بشكل واضح، وتتصل شعر ذقنه بشعر شاربه في شكل سكسوكة مميزة، وذو حاجبين كثين متصلين، ولديه وشم على رقبته الغليظة الطويلة، ولديه أيضًا أذن كبيرة، وأنف عريض من المقدمة، وشفاه غليظة وعريضة، يكسو وجهه تعابير الشر، ولكن بنمط ساخر أظهرته ابتسامته التي تتخلل تلك التعابير، فبدأت إيزابيلا تعرفه ببونوشي، فسلم عليه بونوشي وضغط على يديه حينها ووضع يده الأخرى بقوة على مفصل كتفه، فتعجب علي من طريقة سلامه هذه والتي توحي بأنه يعرفه جيدًا رغم أن هذه هي أول مقابلة تجمعهما معًا، وشعر ببعض الألم بيده؛ بسبب ضغط بونوشي عليها، ولكنه مع ذلك لم يقم بسحبها أو حتى إظهار هذا الشعور الذي كتمه بداخله وتحمله خشية أن يتسبب الإحراج له ولنفسه، فهو لم يعتاد على مثل تلك التصرفات من أحد خصوصًا حين يقابله للمرة الأولى، ثم قال له بونوشي

ساخرًا: يقولون أن عظامك قوية لا تنكسر، فأردت أن أجرب بنفسي فربما يساعدني الحظ وأكسرها.

فاستشعرت إيزابيلا سخافة هذا التصرف الذي شاهدته منه وتدخلت وقامت بوغز بونوشي بيدها؛ لكي ينتهي مما يفعله ويحرر علي من قبضة يده القوية قائلة: هكذا أنت دائمًا يا بونوشي مزاحك ثقيل حتى مع الغرباء عنك والذي لم يسبق وأن تعرف بك حتى.

فرد عليها قائلاً: الغرباء عنك؟! لا يدخل هذا المكان غريبا، فمن يدخله ليس سوا شيء من اثنين عدوًا أو صديقًا، فأيهما ياترى يختار ضيفنا الجديد؟

فرد عليه علي هذه المرة وبشكل فيه تهكم أيضًا خصوصا بعدما تيقن أن كل ذلك لم يكن عفويًا كما كان يظن وإنما ينطوي على نوع الاستهزاء به: صديق بالطبع يا، يا ماذا؟ نسيت اسمك أترى ماذا يكون اسمك؟

فاحمر وجه بونوشي غضبًا حيث شعر بالسخرية منه، فتدخلت إيزابيلا للمرة الثانية، وقالت: بونوشي، أنت تريد أن تسأله هذا السؤال السخيف، فكيف تريد أن تكون إجابته عليك؟ هيا يا شباب فلندع المزاح جانبًا ونبدأ العمل، عليك يا بونوشي أن تدرب علي على كل الأسلحة وكيفية استخدامها، وكذلك تعرفه بمختلف الذخائر، وكيفية استخدام القنابل والمتفجرات، وأي شيء يتعلق بعملك الذي تحترفه جيدًا، فالسيد ماركو يعول عليك كثيرًا بتلك المسألة ويريده أن يكون جاهزًا في الأيام القادمة، فهل أنت مستعد لذلك؟

فأجابها: رغم أنني قادم لتوي من رحلة طويلة جدًا ومهمة شاقة وخطر للغاية لم أذق طعم الراحة خلالها وليتني لم أخاطر وأقدم عليها من

البداية، ولكنه غباءً كالعادة مني أنني قبلت ذلك وسعيت بنفسي إليها، فهذا الشخص الخطير هنري....، فلم تدعه إيزابيلا يكمل قائلة بتعنيف: ألن تكف بعد عن وصلة اللوم والعتاب هذه وتجيبني على سؤالي الذي وجهته لك أم تريد أن أعود للسيد ماركو ليرى هو بنفسه كيف سيتصرف حيال هذا الموقف؟

فرد مستعطفًا إياها:

. لا، أرجوك، لا إيزابيلا، فأنا فقط كنت أنفس عما بداخلي، ولكن يبدو أنني بالغت في ذلك، حسنًا ، ماذا كنت تريدين مني تحديدًا؟

. ماذا كنت تريدين مني تحديدا؟! ومالذي كنا نحكي فيه من أول ما أتيتنا بونوشي؟!

. نعم، نعم تذكرت، تدريب الشاب الذي برفقتك على مختلف الأسلحة والذخائر، أنا شخصيًا على استعداد، ولكن الأمر يتوقف عليه، قالها وهو يلتفت لعلي الذي رد قائلاً: أخبري السيد ماركو بأنني سأكون على أتم الاستعداد في غضون أيام قليلة، وقد كان جيوفاني يتابع الموقف صامتًا وهو يدخن وكان ما زال جالسًا على الأريكة القريبة منهم، فتدخل قائلاً بعدما نهض موجهًا حديثه لعلي: عزيزي علي أعلم أنك شاب طموح، ومجتهد، وذكي، ولكن لا تكن متهور فأيام قليلة ليست كافية للتعلم على العديد من الأسلحة خاصة لشخص مثلك لم يستخدم سلاحًا قط إلا إذا كنت استخدمتها قبل ذلك، فهل سبق لك حمل سلاح واستخدامه تجاه أحد في السابق؟

فتوتر علي قليلاً من السؤال وأجاب بتردد واضح على لسانه: لا، لا لم يسبق لي مطلقًا حمل سلاح واستخدامه وما غرضي في ذلك؟!

فنظر إليه جيوفاني نظرة وكأنه يريد أن ينكر عليه ما يقوله ويذكره بإطلاق الرصاص على أحد أفراد خفر السواحل، وقال: لم يسبق لك حمل السلاح مطلقا! إذن فخذ وقتك فربما احتجت إلى أيام أكثر من ذلك وربما أسابيع أو حتى شهور، فالأمر هنا ليس هين ومن ستتعامل معهم أناس في منتهى الخطورة، فالأمر هنا أشبه بالثكنة العسكرية وربما أشد؛ لأنك ستتدرب على العديد من الأسلحة والمتفجرات والقنابل والتي تحتاج إلى وقت؛ كي تحترف طريقة استخدامها ،فسوف تتعرض لمواقف قد يكون ليس أمامك سوا خيارين فيها إما طلقة بين عيني خصمك أو طلقة بين عينيك أنتَ.

فردت إيزابيلا قائلة: مهلاً جيوفاني على الرجل، فأنت تريد أن تقلقه وهو لا زال في بداية الطريق، أتريد أن تجعله يخشى العمل معنا من البداية؟

فقال علي: لابأس إيزابيلا، فكلام جيوفاني صحيح وهذا ما أخبرني به السيد ماركو وأنا لا أخشى ذلك أبدًا، بل أحب أن أقول لك جيوفاني بأنني مصر على خوض تلك المخاطرات وسوف أثبت لك ولـغيرك بأن عظام علي ليست سهلة الكسر، فكسر عظمة واحدة لي ربما يكلف كاسرها ثمنًا باهظًا قد لا يستطيع سداده ودائمًا تأكد بأنني قادر على أن أصنع الفارق الذي ربما عجز غيري عليه.

فصفق له جيوفاني على حديثه، وقال: يعجبني جدًا حماسك وثقتك بنفسك يا صديقي وأشعر فعلا أنكَ ستصنع الفارق، فشخص مثلك لا بد فعلا أن يصنع الفارق، فالسيد ماركو لا يأتي بأحد هنا إلا ويقول بأنه سيصنع الفارق إذن فلنري هذا الفارق وبعدها نحكي.

فقالت إيزابيلا: فلندع النقاش الغير مجدي جانبًا ونبدأ بالعمل، هيا يا بونوشي خذ علي معك؛ لتبدأ بالعمل وكن ودودا معه.

فأجابته: فالفعل سأكون في غاية الود واللين معه فأنا أخشى أن تكسر له عظمة واحدة، فأدفع ثمنها غاليًا وربما لا استطيع دفع هذا الثمن، فمن الواضح أن عظامنا صديقنا الجديد غالية جدًا ولا تقدر بثمن، فهيا بنا يا صديقي لنبدأ بالجد فأعدك أنك ستتعلم مني الكثير، وسأعطيك من خبراتي ما سيوفر لك الوقت الكثير، ويجعلك فعلاً تصنع هذا الفارق الذي قلت عليه.

وبالفعل ذهب علي مع بونوشي وتركا إيزابيلا وجيوفاني سويًا وقد كان جيوفاني يحدق بشدة في إيزابيلا وهي تتابع (علي) حين مشي مع بونوشي، وقال لها:

أراكي تهتمين بضيفنا الجديد بشدة، فهل هذا إعجاب به؟

فالتفتت له قائلة

إعجاب به! دعك من تلك النغمة جيوفاني إنه عملي وأحب أن أوأديه على أكمل وجه.

. أعلم جيدًا عزيزتي أنك مجتهدة بعملك، وتعشقينه، وتتفانين فيه، ولكن فقط خشيت أن يكون ذلك الشخص قد سلب عقلك ولبك كما فعل بماركو وجعله مفتونًا به.

. أرح قلبك فلم ولن يستطيع إنسان أن يسلب عقلي ويؤثر عليه، فأنا أحرص على نفسي من الوقوع في ذلك.

. هل أنت متأكدة من ذلك ومن حرصك علي نفسك؟

. ماذا تقصد بكلامك؟ وضح ما تقول.

. صدقني أنتِ لست حريصة على نفسك مثلي تمامًا، فأنا الأخر لست حريص على نفسي كما قد تظنين، فانظري إلى وضعك ووضعي ومدي إسهامتنا في نجاح تلك المنظمة طيلة كل تلك السنين الماضية والحفاظ عليها في أشد وأحلك اللحظات وفي نهاية المطاف يحصل من في الخارج وماركو على كل شيء ولا يبقي لي ولك سوا الفتات هذا إن بقي حتى لنا شيء بعد توزيع الغنائم، إلى متى سنظل هكذا نتعرض نحن للخطر ونواجه بأجسادنا وأرواحنا وهم دائما في مأمن وبعيدين كل البعد عن المخاطرة حتى بظفر واحد منهم، برأيك ألا نستحق أن نكون في وضع أفضل من ذلك؟

. أي وضع تقصد؟! ثم أن هذا الكلام خطير ويعرضك ويعرضني للخطر كما أنك تعلم وأنا أعلم أن هذا هو الوضع من البداية وقبلناه وعشنا به طيلة كل تلك السنين فما الذي جد إذن؛ كي تقول ما تقوله الان؟

. جد الكثير وليس من الآن، بل منذ زمن، ولكنكم تتجاهلون ذلك أو تخشون من مواجهته، فانظري إلى عزيزنا ماركو يذهب دائمًا إلى الخارج ويأتي منها بالقاذورات، فبالأمس المغرور كوستا واليوم هذا الكائن الجديد الذي يدعي أنه سيصنع الفارق كل هذا وأنا أعلم بما يدور بعقل ماركو ولماذا يأتي بهؤلاء؟ وسأثبت له حقًا عما قريب من سينجح ويصنع الفارق؟

. عقلك يذهب بعيد جدًا يا عزيزي، فالسيد ماركو لا يهمه سوا مصلحة المنظمة ويريد أن يسد العديد من الثغرات بالعمل التي نشأت في الأونة الأخيرة، عليك فقط أن تركز بمهام عملك؛ لأن الأيام القادمة حتمًا

ستكون مثقلة بالمنام، فتراجع عن النقاش معها بعدما لاحظ بعض التعنت من جانبها.

. عندك حق عليَّ فقط أن أركز بالعمل فقط، فهذا دائمًا ما ننجح به ونجيده بتلك المنظمة ولكن أود أن أسالك سؤال.

. وهل لكي يطرح جيوفاني سؤال على إيزابيلا يحتاج لطلب ذلك؟!

. نعم، ولما لا؟ خصوصًا حينما يكون سؤال شخصي بعيدًا تمامًا عن العمل والمنظمة.

فتعجبت قائلة

. سؤال شخصي؟! شوقتني إذًا لسماع هذا السؤال الشخصي.

فحدق النظر بها لبضع ثواني وكأنه معجب بطلتها وملابسها قبل أن يسأل قائلاً:

هل تغير بك شيء أم أنني أراك لأول مرة؟

. ولماذا تقول هذا الكلام؟!

. أظن أنني أراكِ اليوم بطلة بهية ورائعة أم أنك هكذا دائمًا؟ ولكن عيناي هي التي لم ترى ذلك فيكِ؛ لانشغالها بالعمل البغيض عن هذا الحسن.

فقالت وهي تبتسم لكلامه وثنائه عليها وعلى مظهرها:

هل هذا إعجاب، أم إطراء، أم ماذا جيوفاني؟

. يبدو لي إيزابيلا أننا لابد أن ننتبه لأنفسنا أكثر من ذلك ولا بد أن نقترب من بعضنا أكثر من الماضي، فينقصني أنا وأنت أشياء كثيرة عسى أن نجدها سويًا، فقد أخذنا العمل سنين طويلة ونسينا أنفسنا واحتياجاتنا الأساسية حتى فات من عمرنا الكثير وفقدنا مفهوم الأسرة،

فأصبحنا أنا وأنت بلا أسرة أو أطفال يغيروا لنا حياتنا، ويجعلون لها قيمة، ويجلبون لنا السعادة المفقودة.

. أسرة وأطفال! يبدو أنك تهذي جيوفاني، فأنا وأنت والآخرين هنا لا يسعهم مطلقا أن يكونوا أسرة بالمعنى الذي تقصده، من يأتي هنا ويعمل أعمالنا عليه فقط أن يتحمل نتائج أفعاله وحده، فكيف له أن يأتي بأطفال ويحملهم نتيجة ما يعمل؟ من يأتي هنا عليه من البداية أن يحذف من قاموسه تلك الكلمات الأسرة، الأطفال، والحب أيضًا، فهي أمور غير مرحب بها هنا وأعتقد أنك تعرف ذلك جيدًا.

. ولكن إيزابيلا.....

فقاطعته قائلة:

. ولكن كفاك ثرثرة جيوفاني، فأنا ليس لدي وقت لهذا الهراء فلدي من الأعمال والمهام ما يكفينا ويجعلني مشغولة طوال الوقت، فلا تحاول إقحامي بأمور أؤكد لك مرة أخرى بأنني حقًا قد حذفتها من حياتي.

. حقًا إيزابيلا؟ حقًا حذفتيها من حياتك أم أنك مضطرة لذلك؟

. مضطرة أو غير مضطرة، المهم أن الموضوع ليس ببالي مطلقًا وحاول ألا تفتحه معي مرة أخرى؛ لأنه حقا سيؤثر علي وعليك أيضًا.

فرضخ لرأيها قائلاً:

حسنًا عزيزتي، لن أضغط عليك كثيرًا هذه المرة وأعدك بألا أضايقك مجددًا، ولكن ربما سيأتي اليوم الذي تغيري وجهة نظرك به أو ربما يداعبك الحنين والشوق وقتها، صدقيني سأكون هنا وأسفل تلك الشجرة في انتظارك وفى انتظار تلك اللحظة.

فقالت إيزابيلا وهي تضحك لحديثه:

إذن ستنتظر أسفل تلك الشجرة الأبد، سلام يا عزيزي.

ثم غادرت (إيزابيلا) المكان وتركت جيوفاني يغمغم ويقول:

سأنتظرك وستأتي، فجيو لا يدعو أحدًا ولا يأتي، ووقتها سأنال منك ما أريد، ووقتها فقط ستتغير معادلات كثيرة بتلك المنظمة.

خلال هذا الحوار كان علي يسير مع بونوشي متجهًا نحو مرأب السيارات، وكان علي لا يبدي كلمة معه، فقط يسير حتى يرى الخطوة التالية ومن أين سيبدأ التدريب، ثم تفاجأ بأن بونوشي يسير نحو الباب المغلق الموجود بالزاوية الخلفية لمرأب السيارات والذي أخبرته إيزابيلا سابقًا بأنه مجرد باب عادي لا فائدة منه، فتوقف علي مكانه لبعض الوقت، فتقدم بونوشي عليه بضع خطوات، ثم التفت ليجده واقفًا خلفه، فقال له: ماذا دهاك يا رجل؟ أتتركني وتخنس إلى الخلف هكذا من البداية؟ ماذا بك؟ أتخشي شيء ما؟

فرد عليه: لا، ولكن فقط قدمي اصطدمت بحجر فآلمتني قليلا، ولكن أنا بخير الآن، ومشي بعدها نحوه بونوشي الذي قام بإدخال بصمة يده ورقم سري خاص به وفتح الباب، فإذا بغرفة فارغة ولا يوجد بها سوا سلم لسطح المكان ومصعد وفهم علي أن المصعد لابد أن يكون للأسفل، فلا يوجد دور آخر فوق هذا المكان وبالفعل قام بونوشي بفتح المصعد وكان به دورين فقط السطح ودور للأسفل، فنزلا سويًا إلى حيث الأدوار الأسفل، ولكن المصعد ربما أخذ وقت؛ كي يصل إلى ذلك الدور، ما يعني أنه ربما أسفل من سطح المكان بخمس أمتار أو حتى ربما أكثر من ذلك، ففتح باب المصعد ليبدو مكان فسيحًا جدًا على غير التصور، ومجهز بأنظمة مراقبة، ومقسم لعدد من الغرف الكبيرة، فبدأ بونوشي يعرفه

بالمكان الجديد الذي سيتدرب به الفترة القادمة، كانت إحدى الغرف هي مكتب إداري مجهز بكل شيء، وبه حمام خاص وعدد من الغرف؛ لتغيير الملابس، ويحتوي البعض منها على أسرة وحمام كبير خاص بالمكان، وغرفة أخرى لمطبخ صغير به طاولات طعام وكانت مجهزة بكل شيء تقريبًا، ثم فتح بونوشي أحد الأبواب المغلقة أيضًا برقم سري ليضع علي بذهول كبير من هول ما رأى، فقد رأى كم من الأسلحة المتنوعة، الأشكال، والأصناف، والماركات، والنوعيات ما لم يخطر بباله مطلقًا، فتقريبًا الغرفة تحتوي بين جدرانها ومعلق على حوائطها ومحفوظ على أرضيتها جميع أنواع الأسلحة التي قد تخطر بباله من مسدسات وبنادق ورشاشات بكافة أنواعها وقناصات قاذفات لهب، وقاذفات قنابل، وقاذفات صواريخ، وغيرها من الأسلحة التي لم يستطيع علي حتى مجرد التعرف عليها من غرابة أشكالها وكيفية استخدامها حتى أنه وجد بالمكان أيضًا سكاكين مختلفة الأشكال، وسيوف، وخناجر، وأقواس، وأسهم، وصناديق من الذخائر لكافة هذه الأسلحة وأيضًا صناديق من القنابل والمتفجرات، فالمكان بدي وكأنه متحف حربي مصغر وليس مجرد غرفة عادية بها بعض الأسلحة للتدريب، فحين رأي بونوشي علامات التعجب والصدمة على وجهه توجه له قائلاً:

مالي أراك مذهولاً هكذا وكأنك كنت تظن أنك سترى مثلا حظيرة للحيوانات الأليفة؟ فابتسم علي قائلاً:

ليس هذا ماكنت أظنه بونوشي، ولكن ما كان يدور بعقلي أنني سوف أرى هنا نوعين، أو ثلاثة أنواع أو حتى أربعة أنواع من الأسلحة ولم يخطر ببالي مطلقا أن تحتوي الغرفة هذه تلك الترسانة الهائلة من

الأسلحة الحديثة والمتطورة، وهذا الكم من الذخائر، والقنابل، والأسلحة البيضاء.

. هذا قليل من كثير، فهذه الأسلحة موضوعة هنا حال خروج الأفراد لأحد المهام وكذلك للتدريب عليها.

. أتعني من ذلك أنني سوف أتدرب على كل هذا الكم من الأسلحة؟

. من المفترض ذلك، فمن الممكن أن تستخدم أي من هذه الأسلحة خلال مهامك ومن الممكن أيضًا أن تتعرض لموقف قد تضطر فيه لاستخدامه حتى وإن لم يكن بحوزتك، فمن ستتعامل معهم يملكون العديد من الأسلحة المتطورة، فلابد لنا دائمًا أن نكون في حالة من الجاهزية والاستعداد ولا تترك شيئًا للصدفة أو المفاجأة، هذا إن أردت أن تكون شخصًا محترفًا، فقدرتك على استخدام السلاح تعني ضمنيًا قدرتك على الدفاع عن نفسك ضده هذه فلسفتنا هنا في التدريبات.

. فلسفة جديدة على مسامعي، ولكنها تروق لي فبالفعل من يستطيع احتراف استخدام كل تلك الأسلحة يستطيع الدفاع عن نفسه في أي وقت وأمام أي أحد.

. ولكن احذر من الغرور بها، فاحتراف استخدامها يخدمك، ولكن غرورك بها يخدعك ويعمل ضدك.

. فهمتك بونوشي ولا تقلق عليَّ، فأنا لم ولن أكون أبدًا شخصًا مغرور، فإنه فقط نوع من إثارة الحماس بداخلي؛ لتقليل التوتر وإزالة بعض الضغوط النفسية التي تلازمني، فما أنا مقبل عليه يختلف مطلقًا عما قد فات في كل حياتي، لذا لابد لي في كل خطوة أخطوها أن أزيد من قدراتي وثقتي بنفسي، هذا كل ما في الأمر.

. هذا أمر جيد ومطلوب في التدريبات خصوصًا لشخص مبتدئ مثلك ولم يسبق له الانخراط في أنشطة كأنشطتنا، فربما يختصر عليك هذا الكثير من الوقت، حسنًا، فلنبدأ، ثم طلب من علي أن يغير ملابسه بالسترة الخاصة بالتدريبات والموجودة بغرفة تغيير الملابس والذي أخبره أيضًا أن السرير المتواجد بها من الممكن أن يستخدمه حين يشعر بالتعب، أو يحتاج إلى الراحة، وتناول بعض المشروبات والمأكولات الخفيفة الجاهزة من المطبخ المعد لذلك.

فغير ملابسه ولبس سترة التدريبات الجديدة الخاصة به وتوجه مع بونوشي نحو الباب الكبير بذات المكان، فإذا به أمام ساحة متسعة جدًا جدًا ومعدة بطريقة معينة للتدريبات، ومزودة بالعديد من الأدوات التي تخدم ذلك وفيها العديد من الأشكال الثابتة والمتحركة التي يتعامل معها، وكذلك مؤشر باللونين الأخضر والأحمر في حالة النجاح والإخفاق، تمامًا في إصابة الهدف والأصفر في حال خروج الرصاصة بعيدة عن الهدف المحدد، ونظام الكتروني؛ لتحديد معدل الوقت وكذلك المستوي الذي وصل إليه بناء على الأهداف التي أصابها بالنسبة لكل نوع من الأسلحة على حدا، وغيرها من النظم الإلكترونية التي تخدم عملية التدريب، وبدأ بونوشي بتدريبه على استخدام المسدسات بأنواعها وكان يشرح له كل شيء عن السلاح وكيفية مسكه وشحنه وحتى إعادة الشحن في حال نفذت الذخيرة منه وقت القتال وكيفية معرفة ذخيرته ونوعيتها، وكذلك المواصفات الفنية الخاصة بكل سلاح من المدى، والقدرة، والدقة في إصابة الهدف، وكل هذا كان مخزن بحاسوب داخل مكان التدريب يمكن الرجوع له في أي لحظة لمعرفة تفاصيل أكثر عن

السلاح، وتاريخه، وكيفية استخدامه، وبدأ علي بالتدريب وحين بدأ بالتدريب بدت يده التي تمسك بالمسدس ترتعش وكأن عقله لا زال يرفض التدريب الجديد، وبدأ بإطلاق الأعيرة من المسدس نحو الهدف، ولكن الطلقات كانت تذهب منه بشكل عشوائي تارة في الهدف، وتارة بجانبه، وتارة أخرى بعيدة عنه تمامًا، كل هذا ويديه لازالت ترتجف، وتركيزه مشتت، ويبدو على وجهه الضيق والانزعاج؛ بسبب الإخفاق والتوتر الذي يلازمه، ولاحظ ببونوشي هذا عليه، فبدأ يساعده ويمسك بيده ليضبط المسدس نحو الهدف مخبرًا إياه عليك بالتحلي بالصبر، والثبات، والتركيز يا صديقي، فهذا أهم شيء في التدريب وبدونه لن نستطيع أن تحقق الهدف من التدريبات، ثم تركه مرة أخرى، ولكن الحال لم يتغير كثيرًا، فطلب منه التوقف والذهاب والاسترخاء بالغرفة لفترة وجيزة، ثم يعاود التدريب، فرأى علي أن هذا جيد خاصة بأنه بدأ يفقد تركيزه وأصبح التدريب غير مجدي على هذا الحال، فذهب نحو الغرفة وجلس مع نفسه ليلتقط أنفاسه ويفكر لبعض الوقت مع نفسه قائلاً: مالك يا علي متوترًا هكذا ويبدو عليك الضعف والشتات، كيف تخفق كل تلك الطلقات منك في الوقت الذي نجحت فيه أول رصاصة تطلقها في حياتك كلها، الأمر الآن بات مختلفًا فلا مجال للتراجع للوراء خطوة واحدة، فيكفي ما تعرضت له في السابق، هيا يا فتي تستطيع أن تفعلها فلا تتردد، ونهض ورجع مرة أخرى لغرفة التدريبات، فاستغرب بونوشي من سرعة رجوعه فظن أنه ربما يجلس ساعة، أو أكثر، أو حتى لا يكمل هذا اليوم وتوجه علي مباشرة نحو المسدس وقام بشحنه وكان يبدو عليه هذه المرة الإصرار والتحدي وكأنه يريد أن يهزم التردد والخوف

بداخله، وبالفعل قد حقق انجازًا طيبًا في هذا اليوم من التدريب بتحقيقه(35%) نسبة إنجاز ومع الوقت والأيام بدأ يحرز تقدمًا ملموسًا على مختلف الأسلحة حتى أصبح لديه القدرة على كيفية استخدام القنابل والمتفجرات بأنواعها، مثيرًا إعجاب ماركو الذي كان يتابع تقارير عنه، ولكنه في ذات اللحظة كان يثير أيضًا غيرة أخرين يرون أن هذا النجاح والتقدم يشكل تحديًا أمامهم في المستقبل، ثم بدأ علي بعد مدة قرابة الشهر والنصف قضاها في التدريب على الأسلحة بالتعامل مع مسؤولين تكنولوجيا المعلومات بالمنظمة والذين أشرفوا على تدريبه على استخدام أجهزة الاتصالات الحديثة، وكذلك التدريب على كيفية قرصنة الحواسيب؛ للحصول عل البيانات، وكيفية كسر الأرقام السرية واستخدامها، وطريقة التعامل مع الأبواب المغلقة بنظام الشفرات، وكذلك الخزن الحديثة، وكيفية التخفي من أنظمة المراقبة والكاميرات المتطورة وتعطيلها وتخريبها إن لزم الأمر من خلال السيطرة على لوحة التحكم الرئيسة، وكيفية تعطيل الخوادم، وكيفية الوصول إلى نظم الطاقة والكهرباء وتعطيلها أو حتى تدميرها إذا استدعي الأمر، وفي غضون أسابيع قليلة أتقن علي كل هذا فها هو الفتى أصبح جاهزًا، ومستعدًا، ومدربًا على أعلى مستوى ولم يبقي أمامه سوا الاختبار الحقيقي وإسناد المهام له، ولكن ياترى هل فعلاً تغير علي في أهم شيء؟ وهي طباعه؛ كي تتوائم مع ما هو مقبل عليه، فهذا هو المنعطف الأهم في تلك الرحلة، فالتدريب مهم، ولكنه ليس كافيًا، فألاهم هو أن يكون هناك تغير في طباعه وأخلاقياته حقًا وليس مجرد كلام فقط، فالمهام التي ستسند له ستتطلب منه مزيد من التنازلات عن مبادئه ومفاهيمه، بل قد تطلب

أحيانًا أن يتنازل عنها بالكلية، فكيف لشخص مثله يمكن أن يأتي عليه يوم ويستخدم سلاحًا تجاه شخص آخر لا تربطه به أية علاقة أو معرفة سوا دافع المصلحة فقط؟ التي ربما خبأها عنه ماركو في بداية الأمر، ولكن بالتأكيد مع مرور الوقت سيتضح له حقًا الفخ الذي وقع فيه ومدى خطورة الأشخاص الذين يعيش بينهم وسيعرف أيضًا أن ما يقوم به من أعمال ومهام في تلك المنظمة هي أشياء في منتهي الخطورة والجرم وليست خدمة مجتمعية كما قال وأقنعه ماركو، يا ترى وقتها ماذا سيكون رد فعله؟

سنري هذا في السطور اللاحقة.

بالطبع كانت التقارير ترفع لماركو كالعادة عن علي وكانت تثلج صدره، فها هو الفتى الذي كان يصارع الموت قبل عدة شهور أصبح جاهزًا متأهبًا ولم يبقي إلا أن يوضع في اختبار حقيقي، ولكن لماذا يوضع باختبار، فهو بالفعل قد تجاوز تلك المرحلة، فيكفي الخطة التي حيكت له بإتقان ليدخل السجن وتمكنه من الهروب في دقائق معدودة وتحت ضغط من رجال الأمن، ولكن هل سيضعه ماركو باختبارات أخرى؛ كي يتأكد أنه فعلاً تغير؟ كي يعطيه وقتها كامل الثقة ويسند له مهام أكثر تعقيدًا، ثم ماذا ستكون ماهيته في العالم الجديد خاصة بأنه سيضطر مجبرًا للتعامل مع الناس، فتحت أي مسمي وأي جنسية سوف يتعامل خاصة أنه ليس لديه أية أوراق تثبت هويته وجنسيته، وهذا فعلا ما أثارته إيزابيلا خلال الجلسة التي جمعتها مع ماركو بمكتبه بناءً على طلبه.

. استدعيتني سيد ماركو هل من شيء؛ كي أقدمه؟

. بالتأكيد، وإلا لما استدعيتك لتقابليني، ولكنه ليس شيء معين، بل نوع من النقاش حول موضوع ما، فأنت تعلمين أنني لا أثق في رأى أحد هنا أكثر منك.

. وهذا شرف عظيم لي يا سيدي، ولكن يا ترى أي موضوع تقصده؟

. بخصوص الدور الذي من الممكن أن يلعبه علي معنا في الفترة القادمة خاصة وأنه أصبح جاهزًا للانخراط بأعمالنا الحقيقية.

. أنتَ أبلغتني مسبقًا بأنه سوف يحل محل كوستا، ولكنني لا أدري كيف يكون هذا خاصة أنه ليس لديه إقامة أو حتى أوراق تثبت هويته، فكيف له أن يتحرك هنا وهناك في مهام مختلفة، حتى أن مهامه من الممكن أن تكون خارجية، لا أدري سيد ماركو ما خطتك لهذا الأمر؟

. جيد جدًا إيزابيلا أنك وصلتي لهذا الاستنتاج وتلك النقطة المحورية وهذا حقًا هو ما دعاني لكي أرسل إليكِ؛ كي أعرفك بخطتي المقبلة.

فعلت وجهها ابتسامة خفيفة قائلة: يا ترى سيد ماركو ماذا سأتعلم منك هذه المرة، فأنا مشتاقة لمعرفة تلك الخطة، فأنا أعرف مدى حرفيتك وقدرتك على إدارة الأمور وسد كافة الثغرات المحتملة.

. ما رأيك إيزابيلا لو أصبح (علي هو نفسه (كوستا)؟

. ساد شيء من الدهشة على وجهها وقالت: عذرا سيد ماركو، فأنا لا أفهمك جيدًا، فما أفهمه بأنه سيحل مكانه بمهام العمل، ولكن أن يكون هو نفسه فهذه لا أستوعبها جيدًا.

. حين انتهى أمر كوستا قبل أكثر من عامين قمنا بدفنه ولم نستخرج له شهادة وفاة؛ لغرض ما في نفسي، أي أنه مازال حي في نظر السلطات وحين جاءنا هذا الوافد الجديد علي، ولد على يدي أنا ولم يدري به أحد

للآن وأنا من سوف يستخرج له شهادة ميلاده، ببساطة سوف يصبح علي هو نفسه كوستا أي أنه سيحل محله في كل أوراقه، كما سيحل مكانه بالعمل.

فازدادت دهشتها قائلة: ولكن هذا خطر جدًا سيد ماركو، وكيف سينطلي هذا على السلطات؟ ثم إن الشخصين مختلفين عن بعضهما في كل شيء حتى الشكل به العديد من الاختلافات، فكيف ستوضع صورة هذا مكان هذا سيفتضح الأمر من الوهلة الأولى، هذا اعتقادي.

. اعتقادك خاطئ إيزابيلا هذه المرة.

. ولما سيد ماركو؟

. لأنني لم أكمل لك بعد باقي خطتي.

. وترى ماهي باقي الخطة؟

. أنتِ لم تركزي جيدًا في شكليهما، فلو ركزتي بعينيك لدار بظنك أنه ربما يكونا الاثنين إخوة من التشابه بينهما، وهذا هو ما لفت نظري منذ الوهلة الأولى التي وقعت عيني فيها على علي، وهو باليخت معي قبل أن أحضره إلى هنا، بل ومن لحظتها والخطة قد بدأت تختمر بذهني وأنتظر فقط إتمام التدريب وقد كان، ولكن فقط بعض التفاصيل هي المختلفة كقصة الشعر ونوعيته، طريقة تربية الذقن، الشارب، حجم الأنف، وغيرها من التفاصيل البسيطة.

. عذرًا سيد مارك، فهذه ليست تفاصيل بسيطة مطلقًا فسوف ينفضح الأمر، فاختلاف واحد كفيل بإفشال ذلك، فما بالك بأكثر من اختلاف حتى الطول مختلف، وطبيعة الوجه واللون مختلفة، والعمر أيضًا، فكان كوستا فوق الثلاثين، أما على فلازال في منتصف العشرينات.

. مهلاً يا امرأة، فأنا لا زلت لم أكمل الخطة بعد، لا تتعجلي في الحكم على الأمور هكذا، فأنا أعلم بصحة ما تقولين، ولكن لي تدبير آخر، فماذا لو رتبنا مثلا حادث سيارة لكوستا؛ ينجم عنه حريق بسيارته وينجو هو منه بالطبع، ولكن نثبت بأنه كانت لديه بعض الحروق نتيجة الحادث التي استدعت عمل بعض عمليات التجميل تحت إشراف طبي كامل والتي أوصلته إلى الشكل الجديد، وأنا فعلا سوف أفعل عمليات تجميلية حقًا، ولكن ليس لكوستا، فأنت تعلمين أنه رحل عن عالمنا، ولكن لضيفنا الجديد.

. سيد ماركو، لا زلت حقًا لا أفهمك؟ وما فائدة عمل عمليات تجميل لعلي طالما أنك ستثبت أن كوستا تعرض لحروق بسيارته تطلبت منه عمليات تجميلية أدت به إلى الشكل الجديد؟

. لثلاثة أسباب، الأول هو أنه لا بد من وجود جسد حقيقي بتلك العملية ويتم إجراء عدة عمليات تجميل قبلها له لجروح وحروق وهمية، والسبب الثاني هو أنني أرغب حقًا في بعض العمليات التجميلية له؛ لكي يزداد التقارب بينه وبين كوستا، والثالث هو أنه من هناك سوف تستخرج شهادة ميلاده الجديدة والتي ستكون هويته المقبلة باسم كوستا دي مارتينو.

. وماذا لو رفض علي) هذا كله، فأنا أراه دائمًا شخص متشبث بهويته الأخلاقية وطباعه التقليدية، فما بال إجراء بعض التغيرات على شكله الخارجي، فهل سيقبل بالهوية الجديدة؟

. لا أعتقد أنه سيرفض هذه المرة، ربما يعاند في البداية، ولكنه سيقبل فقد أصبح حقًا أحد رجالنا ولا مجال للتراجع.

فأرادت أن تشيد بخطته رغم تحفظها عليها:

لا أستطيع أن أقول بعد كل ما سمعته سوا أنكَ حقًا عبقري سيد ماركو، فأنا حقًا حين أستمع إليك أشعر وكأنني لازلت تلميذة صغيرة ولهذا أنا دائمًا مشتاقة لتعلم الكثير منك.

فعلت وجهه ابتسامة خفيفة، وقال: كفاك تملقًا وعليك الآن أن ترسلي علي حتى يحضر لي؛ كي أطلعه علي ما سأفعله.

قامت إيزابيلا بالاتصال على علي المتواجد بغرفته حيث كان ماكثا بها وقت الراحة ومنتظرًا الخطوة القادمة في ختام تلك التدريبات التي خاضها لشهور.

فأخبرته بأن السيد ماركو بانتظاره بمكتبه لأمر هام، حاول أن يعرف منها الأمر، ولكنها أخبرته بأنها لا تعرف شيء، عليه فقط التوجه إليه وسيعرف كل شيء، وبالفعل نهض مسرعًا وغير ملابسه وتوجه نحو مكتب ماركو، وحين دخل عليه قال: أرسلت إلى سيد ماركو ؟

نعم، إجلس أولاً علي، أريدك في موضوع في منتهي الأهمية.

فقال بعدما جلس أمامه بشيء من اللهفة: وما هو يا ترى؟

. أما تريد أن تبدأ العمل حقًا أم أنك تريد أن تظل هكذا؟

. بالطبع، فأنا لم أتي إلى هنا إلا من أجل العمل، ولكنك لم تسند لي شيء بعد.

. ها قد واتتك الفرصة، ولكن ينقصنا شيء بسيط قبلها ليكتمل الأمر ويصبح رسمي.

فتعجب علي من الألغاز التي لا تتوقف بالمنظمة، وقال

ليكتمل الأمر ويصبح رسمي! وما هو فأنا أكملت كافة التدريبات، وفي اعتقادي أنني اجتازتها كلها، أم أنه هناك تدريبات أخرى لازلت لا أعلمها؟

ماركو: لا، لا يوجد أي تدريبات أخرى، فأنت أصبحت فتى مكتمل وجاهز لكل المهام، ولكن دعني أريك شيء، ثم فتح جهاز التلفاز؛ لكي يريه شيء، فإذا به يريه مقاطع مصورة لكوستا تظهره في أوقاته العادية، وأوقات العمل كان تقريبًا مدته أربعون دقيقة، فشاهد علي هذه المقاطع المصورة ولا يدري ما لهدف ورائها، وكان متعجبًا ومتسائلاً، طوال الوقت الذي يشاهد فيه، وكان مارك يلاحظ عليه ذلك التعجب والتساؤل وفى ختام مشاهدتهما لهذه المقاطع توجه له قائلاً:

أنتَ لا تعرف هذا الشخص الذي يظهر بالشاشة؟

.كيف أعرفه، فأنا لم يسبق لي وأن قابلته؟

.إنه أنت يا فتى.

فاستغرب، ثم علت ضحكته قليلاً حيث ظن أنها مزحة منه قائلاً:

لم أكن أظن سيد ماركو أن لديك روح دعابة جميلة هكذا فقط كنت أظنك شخص عملي وجاد للغاية.

. وحتي في هذه أنا جاد للغاية، فأنا لا أمازحك في هذا صدقني، هذا الشخص هو أنت ولكنك لا تعلم هذا.

فالتبس عليه الأمر وارتسمت عليه علامة استفهام كبيرة ولم يعد يستوعب ما قاله ماركو، فقال:

سيد ماركو عذرًا، أنا لا أفهمك جيدًا، فهل وضحتي لي مقصدك مما تقول؟

فأشعل سيجارة ودخن منها القليل قبل أن يرد قائلاً:

هذا الشخص يدعي كوستا وكان يعمل معنا منذ سنين حتى منذ أكثر من عامين حدث له حادث بإحدى العمليات التي كان بها أدت إلي وفاته، طلقة رصاص أصيب بها حاولنا أن نسعفه ونعالجه، ولكن من دون جدوى للأسف، أحيانًا تكون الأوضاع أكبر من قدرتنا على مواجهتها، هذا الشخص علي سوف تحل محله بالمنظمة.

. فهمتك سيد ماركو، تعني أنني سوف أؤدي مهامه.

. ليس هذا فقط، بل ستصبح أنت هو فهذا هو المطلوب.

. سيد ماركو، حقا لا زلت لا أفهم ما تقصده من كلمة أنت هو.

وسرد له ماركو خطته كما أخبر بها إيزابيلا، فصدم علي مما سمع وبدي مندهشًا وقال بعد حالة من الصمت التي لازمته لدقائق بعد ما سمعه من ماركو الذي ظل ينظر إليه وهو جالس أمامه يدخن سيجاره ومنتظرًا رده الذي جاء فيه:

كيف لي أن أغير هويتي بتلك السهولة؟! أظن أن هذا أمر غير مقبول، ثم ما الضرر في العمل بشكلي وبهويتي الحالية طالما أنني أمتلك كل المقومات لذلك.

. الضرر كبير، فليس لديك أية أوراق ثبوتية تثبت شخصيتك، كما أن استخراج إقامة لك هنا أصبح أمر معقد جدًا؛ بسبب بعض القوانين، كما أنني أرغب في أن تتنقل بسهولة داخل إيطاليا وخارجها وخصوصًا خارجها؛ لذا لابد أن يكون لك جواز سفر وهذا غير ممكن مطلقًا، أما موضوع هويتك، فلم يطلب أحد منك تغيير هويتك، فالهوية داخل الشخص ذاته مهما تقمص غيرها، فانظر إلى ممثلي السينما والمسرح

يتقمصون مئات الشخصيات التي تناقض وتختلف عن شخصياتهم الحقيقية تمامًا ومع هذا تبقى هويتهم الحقيقية ثابتة ولم تتغير، فلا تعقد المسألة لهذا السبب.

فظل علي يفكر فيما قال ماركو، وقال بعدها:

ثم إن هذا الأمر خطير وتلك الطريقة ربما تؤدي بي للاعتقال وبالتأكيد أنت تعلم الباقي سيد ماركو.

لا تقلق، فكل شيء تم ترتيبه بدقة وبشكل مسبق، عليك فقط الموافقة، ثم دع الباقي لي.

. وماذا عن كوستا هذا؟ ماذا لو قابلت أحد معارفه أو أصدقائه صدفة وعرف من خلال الاسم أنني محتال وحدث ملا يحمد عقباه؟

اطمئن من تلك الجهة، فأنا وضعتها بالاعتبار هي الأخرى ولم أتجاهلها فسوف أطلعك علي شرائط كثيرة له؛ لكي تتعلم ماذا يفعل وطريقته في التعامل؟ كي تتقمص شخصيته جيدًا وحين تقابل أحد أصدقائه فسوف تخبره بما تعرضت له من حادث أدي بكَ إلى هذا التغيير في الشكل، فإن شكك في الأمر فلا تلقي له بالاً ودعه وفهمه ودعنا نحن نخرجك وقتها من هذا المأزق، ولكنني لا أعتقد بأنك سوف تعرض لذلك في أول الأمر، فسوف تظل حريص لبعض الوقت.

فرجع على إلى حالة الصمت والتفكير العميق لدقائق أخرى؛ كي يحسم موقفه مما سمع، ثم نطق فجأة قائلا بشيء من الاستسلام والرضوخ الواضح في رده والذي لم يتوقعه ماركو منه:

ومتي سنبدأ بتلك الخطة؟

فقال ماركو وقد انبسطت أساريره:

من اليوم لو أردت ذلك، فلما التأخير طالما كل شيء مدبر وأنت موافق على ذلك، اليوم سوف تأخذك إيزابيلا إلى المستشفى الخاص بنا هنا حيث المتخصصين بالجروح والحروق المصطنعة وسوف تعطيك ملف به كافة تفاصيل العملية، ولا تقلق فسوف نكون حولك في كل خطوة ولن نتركك وحدك.

ولكن لي طلب عندك سيد ماركو ؟

أعتبر طلبك نفذ من دون أن أعرفه.

فقط أريد أن يمر ذلك اليوم وتلك الليلة؛ لكي أجلس مع نفسي بعض الوقت؛ لكي أودع نفسي وملامحي التي سيطرأ عليها بعض التغيير وألتقط لها بعض الصور وأحفظها بذكرياتي، فلا أعلم متى سنلتقي أنا و علي مجددًا، أريد أن أعانق نفسي بالمرآة بشدة، فربما يكون هذا أخر لقاء بيني وبين نفسي، ثم بدي عليه التأثر الواضح للحد الذي جعل عيناه تذرف ببعض الدموع رغما عنه، فحين لاحظ ماركو هذا تركه حتى شعر بهدوئه مجددًا وتوقف عن البكاء، وناوله ماركو منديلاً قائلاً:

لا أحب أن أضغط عليك؛ لأعرف سبب بكائك المفاجئ هذا.

فجفف دموعه، وقال وهو محبط

عذرا سيد ماركو، فيبدو أن مرارة الفراق لوطني وأهلي وحتي ذاتي تجمعت عليَّ كلها بتلك اللحظة، ما سبب نوعا من الضغط على نفسيتي لم أتمالك نفسي معه فانسابت الدموع من عيني بشكل مفاجئ، كما رأيت دموع لم أشعر بتساقطها ولا بتوقفها إلا حين ناولتني هذا المنديل، كما أن الأمر الذي طرحته فاجئني ومع ذلك جاء جوابي عليه سريعًا.

. خذ وقتك، فأنا لست متعجلاً في هذا.
. لا، ليس هناك داعي، فلا يمكن أن نضيع مجهود الشهور الفائتة من أجل بعض التغيير على وجهي وشعري فقطعًا هذا أبسط بكثير مما أنا مقبل عليه.
فرد عليه ماركو؛ ليخفف عليه وطأة هذا الشعور السيء الذي يتحدث عنه:
هون على نفسك علي، فأنا لا أضغط عليك بما عرضته عليك للتو، ولكن فقط أردت لك الاستمرار هنا معنا دون مشاكل، ولكن أنت كما أنت لم تتغير قليل من التغيير في الشكل لن يؤثر على هويتك الحقيقية، الحياة تحتاج القليل من التضحيات، هذا قدرك وقدرنا جميعًا.
. هذا أفضل ما سمعت منك سيد ماركو، فهذا فعلا قدري ولابد أن أسايره ولا أتعنت معه كثيرًا؛ فيتسبب لي هذا التعنت بكسر قد لا تداويه الأيام.
. حسنا علي معك وقت من الآن وحتى غدًا؛ كي تكون جاهزًا وإن أردت أكثر من ذلك فلا بأس الأمر يعود لك.
. يكفي هذا سيد ماركو ومن الغد نبدأ في التنفيذ.
وانصرف علي متجهًا نحو غرفته وجلس مع نفسه كما أراد، ولكنه تذكر شيء مهم تذكر أنه لم يتصل بأهله منذ وقت، فتسلل بداخله شعور ولد لديه رغبة ملحة في تلك اللحظة لأن يتصل عليهم؛ ليطمئن عليهم، فاتصل بهم مباشرة من هاتفه وظل يتحدث معهم أكثر من ساعة وشعرت والدته أن به مكروه من نبرة صوته الحزينة والتي تخفي خلفها شيئًا وذلك حين طلب منها الدعاء له، فطلبت منه أن يصارحها بالظروف التي يمر بها، لكنه لم يبوح لها بما يمر بها، كما لم يبوح لهما

بذلك مسبقًا فأكد لها بأنه بخير ويعمل في مكان جيد والدخل جيد، ولكن فقط مرارة البعد عنهم هي ما تتسبب له ولهم بهذا الشعور ولم ينهي المكالمة إلا وقد تمالك نفسه في الحديث مع والدته الذي أخبرها بأنه قريبًا سيرسل لهم كل ما قد يحتاجون إليه، وبعدها أنهى مكالمته معهم دون أن يوضح لهم حقيقة ما هو مقبل عليه، فهذا اختياره وحده من البداية وعليه أن يتحمل نتائجه للنهاية أيضًا وحده، ثم جلس يفكر في الخطوة القادمة قائلاً في نفسه: ها أنا أغير هويتي وشكلي حقًا وأعيش باسم جديد، ودين جديد، ووطن جديد، ياترى يا علي ماذا يخبأ لك القدر غير هذا وماذا سوف تفعل أكثر من ذلك؟ دع الأيام تقرر ذلك عليك فقط أن تدرس الشخصية الجديدة؛ لتحترفها بإتقان، فهي اسمك وهويتك الجديد في هذه البلد والتي أعتقد أنها ستلازمك طيلة حياتك.

وفى صباح اليوم التالي استيقظ على صوت هاتف غرفته يدق فإذا بإيزابيلا تطلب منه الحضور إلى مكتبها؛ كي ترتب معه باقي الأحداث فأخبرها بأنه سيكون عندها خلال دقائق من الآن وبالفعل أخذ حمامه وغير ملابسه وفى غضون دقائق كان واقفا أمامها بمكتبها فأعطته ملف به بعض الأوراق مكتوب عليها الخطة التي سوف يسير عليها وطلبت منه أن يجلس لبعض الوقت مع نفسه ليقرأها جيدًا حتى يستوعب ما بها، وبالفعل أخذا الملف وذهب به نحو حديقة القصر وجلس على إحدى الأرائك وظل يقرأها جيدًا محتسيًا خلال ذلك كوبًا من الشاي حتى حفظ وفهم تمامًا دوره بها ولم يبقى أمامه إلا التنفيذ، وبالفعل ذهب بعدها لمكتب إيزابيلا؛ ليخبرها بأنه قرأ الخطة جيدًا وعلى استعداد من الآن للتنفيذ، فأخذته بعدها وذهبت به نحو المستوصف الخاص بهم، حيث

كان موجود به أخصائيين الحروق والجروح التجميلية، حيث سيجرون له بعض الحروق والجروح المصطنعة وفقًا للخطة المعدة لذلك، وبالفعل مكث علي بين أيديهم قرابة خمس ساعات كاملة حتى أصبح جاهزًا وبه العديد من الجروح والحروق التي تبدو في شكلها خطيرة جدًا، ولكنها ليست سوا جروح وحروق شكلية ومزيفة تكتمل به بقية الخطة حتى ملابسه قاموا بعمل حروقات وقطوعات بها حتى بدت متهالكة تمامًا جراء الإصابات التي لحقت به وبها لتكتمل الصورة ويبدو المشهد حقيقي، كل هذا وماركو يتابع جيدًا النتائج أولاً بأول من مكتبه من خلال شاشة العرض المتصلة بالكاميرات وقد بدا عليه الارتياح من اندماج علي بالخطة، فكان يخشي أن ينفر منها ويتعنت ويتردد عن القيام بها في أي لحظة، ولكن على ما يبدو أن الأمور تسير على ما يرام ووفق ما رسم هو لها وبمساء نفس اليوم وفى ظلمة الليل وبحضور كل من جيوفاني، وبونوشي، و مارسيلو وكان برفقتهم سيارتان، أحدها سيارة سيدان عادية والأخرى سيارة من نوع جيب، وقد كان كل منهم يعرف الخطة جيدًا ويعرف دوره بها، فحمل علي ووضع داخل شنطة السيارة الجيب وكان برفقته بها كل من جيوفاني، و بونوشي، أما مارسيلو فقد ركب السيارة الأخرى منفردًا، وتحركت السيارة التي بها مارسيلو أولاً وبعدها بدقائق تحركت السيارة الأخرى وبعد تقريبًا ساعة من السير وعلى أحد الطرق السريعة إذ بمارسيلو يقفز فجأة من السيارة وهي مسرعة وقد كان مدربًا جيدًا على مثل تلك الحركات الخطيرة على ذلك وبعدها بأمتار انعطفت السيارة من على الطريق نحو وادي وانقلبت عدة مرات، ولكن النيران لم تشتعل بها بعد رغم أن البنزين بدأ يتسرب منها، فقام مارسيلو

بإشعال النيران بها وما هي إلا دقائق وأصبحت السيارة كومة لهب في هذا التوقيت حضرت السيارة الأخرى وقامت بحمل علي ووضعه بمكان قريب من السيارة المحترقة، وبدأ المارة بالتجمهر حول الحادث، ثم بعدها بدقائق حضرت سيارة الإطفاء والإسعاف وأيضًا الشرطة، فقامت الإطفاء بإخماد نيران السيارة المشتعلة وكانت قد باتت كومة من الحديد بعدها وحملوا علي بسيارة الإسعاف وهو لا يحرك ساكنًا، فقد تم حقنه بمادة تغيبه لوقت عن الوعي حتى يبدو المشهد محبوكًا تمامًا وأخذت الشرطة أقوال كل الحاضرين والشهود العيان للحادث وكيف تم إنقاذه من بين النيران هذه ومن قام بذلك، فأخبرهم جيوفاني قائلاً: إنه صديقنا وقد كنا ذاهبين لسهرة وكان يقود سيارته منفردًا وقد سبقنا بالطريق، ولكن على ما يبدو حدث مكروه بالسيارة فانعطفت به في الوادي حتى صار ما صار لها وقتها وبمنتهي السرعة كنا خلفه، فأوقفنا سيارتنا وأسرعنا بأقصى ما نستطيع نحو سياراته وقد كانت في بداية اشتعالها، فقمنا بكسر أحد أبوابها وقمنا بجره للخارج وقد تمكنت منه بعض الحروق، ولكن لحسن الحظ كان هذا في البداية فلو تأخرنا ثواني معدودة؛ لأصبح صديقنا في عداد الموتى ولما استطعنا حتى إخراج جثته من هذا الحريق، فتم تحرير المحضر وأخذا أقوال بقية شهود العيان الحاضرين وحملت الشرطة كافة الأوراق التي تخصه وبالطبع كانت كلها أوراق كوستا وذهب جيوفاني والآخرين؛ ليلحقوا بسيارة الإسعاف التي حملته لإحدى المستشفيات الحكومية القريبة، في هذا التوقيت تدخل ماركو بعلاقاته؛ لينقله بعدها مباشرة لإحدى كبرى المستشفيات الخاصة التي تربطه علاقة قوية بمالكها، ليبدأ تنفيذ الجزء الأخير من الخطة، فتم نقله هناك

ليستلمه جراحين مهرة تم الاتفاق معهم مسبقًا لإجراء كافة التعديلات المطلوبة له ليكون بالشكل الجديد، كان خلال تلك المدة قد فاق من أثر الحقنة التي حقن بها وحين وصوله الى المستشفى الأخرى كان يعلم مسبقًا بما سيجري له من عمليات جراحية تجميلية، ولكن هذه المرة جراحات حقيقية وليست مزيفة كسابقتها، فلم يبدي أية ممانعة وسلم نفسه بكل سهولة لأيدي الجراحين ولم يبدي اعتراضا على أي إجراء يتم معه وكأنه بدأ حقًا يتغير من الداخل؛ ليقبل هذا التغيير الخارجي في شكله بكل تلك السهولة، وبعد عدة أيام هي فترة التعافي من تلك الجراحات التجميلية بدأت ملامحه تتغير بشكل واضح عن ما سبق، فقد تم عمل عملية تجميلية له بالأنف، والذقن، والأذن، والحاجب، والوجه، والشفاه حتى خصل شعره لم تسلم من أيديهم ليبدو بعدها بالشكل الجديد والذي نستطيع أن نقول أنه أصبح شخصًا ثالثًا بمعنى أنه لم يعد بشكل علي القديم ولم يكن بشكل كوستا الذي بات في نفس الوقت قريب الشكل منه إلى حد ما، ولكن عليه أن يمكث شهرًا إضافيًا؛ كي تلتئم جروحه التجميلية وتثبت ملامح الشكل الجديد النهائي وكان خلال تلك المدة يقبع بجناح خاص بالمستشفى مجهز على أعلى مستوى ومحاط بكافة سبل الراحة حتى إن من طاقم المستشفى الخاص بدأ يشعر بمدى أهميته نظرًا لحجم الاهتمام المحاط به والحراسة الدائمة على غرفته والتدقيق بأي شخص ومع أي شخص يتعامل معه، وبدأ علي يتعافى وما أن تعافي حتى قام بجولة على الهيئات والمصالح الرسمية المختلفة؛ لكي يتم وضع صورة كوستا بالشكل الجديد مكان كوستا القديم، ولكن ثمة مشكلة لاحت أمامهم وقتها وهي ماذا عن بصمات

الأيدي والعين والتي لا يمكن نسخها وربما تكون النقطة التي تقضي على الخطة برمتها، ولكن قطعًا ماركو لم يغفل شيئًا مهما كهذا قد يتسبب بإفساد مخططه، فتدخل للمرة الثانية بعلاقاته الخاصة جدًا والتي لا يستخدمها إلا في أضيق الحدود وللأمور الهامة جدًا لتجاوز موضوع البصمة هذا والذي كان يؤرق علي جدًا؛ خشية أن ينكشف الأمر ويضيع كل شيء في لحظة وفعلا تم كل شيء على أكمل وجه واستخرج علي الأوراق الجديدة له باسمه وهويته الجديدة كوستا دي مارتينو، ليصبح مواطنًا إيطاليًا حاملاً لهوية وجواز سفر إيطالي، لتنقضي مرحلة من حياته ينتهي بها كيانه وهويته القديمة باسم علي ويبدأ بكيان وهوية جديدة باسم كوستا، ولكن ياترى كيف سيتعامل علي مع هذا التغير الجذري بحياته؟ هل سيندمج بالشخصية الجديدة اسمًا وفعلاً، أم فقط سيحمل الاسم؟ ولكن لن يتغير شيء في أفعاله وتصرفاته تجاه العديد من المواقف الخطيرة التي سيتعرض لها والتي تتطلب منه تقمص فعلي لشخصية كوستا وليس حمل اسمه فقط؟ هذا ما سوف تجيب عليه السطور والأحداث اللاحقة.....

كوستا، كوستا، هكذا كان ينادي ماركو على علي حين خرج من إدارة الجوازات حاملاً جوازه الجديد باسم كوستا، ولكنه لم يجيب على ماركو حين ناداه بالاسم الجديد، فلازال اسم علي هو فقط ما يعتاد عليه ولم يعتاد بعد على اللقب الجديد خاصة وأنه ليس من اختياره، ولكن هو ما فرضته عليه الظروف وطبيعة المرحلة وبعد أكثر من مرة نداء له بالاسم الجديد انتبه للأمر بعدما عرف أنه المقصود بالنداء والتفت نحو الصوت، فإذ بماركو يقف بسيارته منتظرًا إياه وما أن رآه حتى أقبل عليه

ماركو مبتسمًا ومحتضنًا إياه وهنأه على سلامته واستعادة عافيته وأركبه السيارة وانطلق به ولكن ليس نحو القصر، ولكن باتجاه أخر حيث أخذه إلى أحد المطاعم الفخمة وعلى إحدى الطاولات المحجوزة مسبقًا، تم تحضير وجبة غداء تليق بهما متبادلين أطراف الحديث أثناء تناولهما لها:

أعلم أنك لازلت بعد لم تأخذ على اسمك وكنيتك الجديدة، ولكن هي مسألة وقت ويصبح الأمر يسير جدًا عليك.

عذرا سيد ماركو، فإن المرء ربما يتكيف بسهولة مع أي تغيير إلا تغيير هويته، ولكن أعدك بأنني حقًا سأندمج بسرعة جدًا مع تلك الهوية الجديدة، ولكن كي أكون صادقًا معك، فإن ما بداخلي هو فقط هويتي الأصلية والتي لن أتنازل عنها أبدًا تحت أي ظرف.

. ومن قال لك أنك ستتنازل عنها، ولكن فقط التغيير الذي طرأ هو لتيسير الأمور عليك وعلينا في أعمالنا المقبلة، فها أنت أصبحت مواطنًا إيطاليًا لك مالنا وعليك ما علينا، هذه الخطوة تحتاج سنين من أخرين؛ كي يحصلوا عليها، ولكن نحن اختصرنا عليك هذه السنين في أيام، كما سنختصر عليك مسافة أكبر في سبيل تحقيق أحلامك، كما وعدتك سابقًا، وها أنت الآن أصبحت جاهزًا لا ينقصك شيء.

. طالما أنه لا ينقصني شيء بعد الآن، فلما لا نبدأ إذن ونرى ما يمكن أن أقدمه إلي المنظمة؟

. بالطبع سنبدأ، بل نحن بدأنا حقًا، لكن عليك فقط أن تقرا كثير عن كوستا من خلال ملفه وتشاهد له العديد من مقاطع الفيديو له؛ لكي

تتعلم أسلوبه وتندمج أكثر بشخصيته وخلال تلك المدة أكون رتبت لأول عملية يمكنك أن تنفذها وأنا كل ثقة بأنك ستنجح بها.

. حسنًا سيد ماركو، سأنفذ ما طلبت مني بدقة وأعدك أنني سوف أتعلم كل شيء عنه وأنفذه بدقة شديدة وسيصبح التغيير حقيقي وليس مجرد اسم فقط.

. وهذا حقًا ما أتمناه منك.

ثم أنهيا غدائهما وركبا السيارة باتجاه القصر وكان كوستا هو من يقودها وقتها حاملاً رخصة قيادته الخاصة به لا يخشي أحدًا على الطريق كالسابق وحين وصولهما إلى هناك نزلا من السيارة وقد كان الجميع في استقبالهما مهنئين كوستا على سلامته، متمنيين له التوفيق معهم ولم ينطق أحدًا وقتها بهويته القديمة أبدًا، فقد أصبحت في طي النسيان فمن يقف أمامهم الآن هو كوستا، ثم أقاموا له حفلاً صغيرًا احتفالاً به، ولكن هذه المرة قد بدأ يندمج معهم بشدة وبدأ يتصرف تصرفات غريبة عليه وعلى أخلاقه، ولكن ياترى هل هذا من باب التقليد للشخصية الجديدة التي تقمصها فرضًا أم أنه حقًا بدأ يتغير من داخله وهذا هو الاعتبار الحقيقي؟ المهم أنه أنهي سهرته مع أصدقائه وذهب إلى غرفته، وظل يتأمل بشدة في المرآة بشكله الجديد فربما يثير إعجابه فيحب الشكل الجديد أكثر من القديم ويخرجه من حالة الإحباط التي تلازمه؛ بسبب ماجري له رغم محاولته التماشي مع ما حدث وكأنه لا يثير حتى تحفظه رغم المرارة التي بداخله والتي لا يستطيع إبداء أية ردة فعل تجاهها سوا قبولها على مضض منه حتى يستطيع التعايش بهذا المجتمع الغامض، والمريب، والمحاط بالكثير جدًا من علامات الاستفهام التي

يعجز عن الحصول على جواب مقنع لها حتى تلك اللحظة، ومرت أيام وليالي على هذا الحال كان وقتها يقرأ ويهتم بكل شيء وتفصيلة عن شخصية كوستا وتصرفاته مستعرضًا مقاطع الفيديو الخاصة به، ولكن هناك شيء بداخله يراوده ألا وهو رغبته الملحة في إضافة اللمسة الخاصة به، ولكن هذا لن يأتي بين ليلة وضحاها عليه أولاً أن يحاول تقمص الشخصية الجديدة على الأقل من ناحية أسلوب العمل، والجرأة، والفطنة التي كان يتمتع بها وجعلته مميزًا عند ماركو وسعى جاهدًا لأن يجد من يحل محله، ثم بعد ذلك يرى ما يمكن أن يضيفه لتلك الشخصية بما يجعلها أكثر تميزًا وتألقًا بعمل ومهام لا يعلم الغاية الحقيقة من ورائها، وحين انتهى من دراسة والتعمق بالشخصية الجديدة في زمن قارب الأسبوع شعر بأنه لم يبقي أمامه سوا إسناد مهام حقيقية له يختبر من خلالها مدى قدرته الحقيقية والمستوي الذي وصل له، ولهذا عقد ماركو اجتماعًا مصغرا يضم كل من إيزابيلا، جيوفاني، بونوشي، مارسيلو، ولكن بدون كوستا؛ ليبحث المهام التي من الممكن إسنادها له حاليًا، حيث قال ماركو في بداية حديثه للجميع

أتدرون لما جمعتكم اليوم؟

فالتفتوا لبعضهم البعض عسى أن يكون من بينهم من لديه خبر عن سبب اجتماعهم، ولكن يبدو أنهم جميعًا على نفس القدر من الجهالة بسبب جمعهم الآن.

فقال جيوفاني: حين لمس ذلك منهم ونيابة عنهم:

أعتقد أننا جميعًا لا ندري بسبب إجتماعنا الطارئ هذا سيد ماركو.

. بخصوص عضونا كوستا والدور الذي ممكن يلعبه في الفترة القادمة خاصة وأن لدينا جدول مثقل بالمهام والعمليات سواء داخل إيطاليا أو حتى خارجها فأعدائنا استغلوا غفلتنا بالفترة السابقة ووجهوا لنا العديد من الضربات المؤذية والتي ا9عتقد أنه آن الأوان؛ لكي نرد لهم الصاع صاعين وثلاثة وربما أكثر، فأريدهم أن يعرفون حقًا من نحن وحجمنا الحقيقي، فكيف يمكن أن نستغل صديقنا الجديد في تصفية حساباتنا مع أعدائنا وخصومنا؟ فأنتم تعلمون بالطبع أنني أقنعته بالدخول معنا تحت مفهوم أخر لنشاطنا غير الحقيقة، فلا زالت كثير من المعلومات المهمة سرية عليه حتى تلك اللحظة.

. ولما لم تفهمه الوضع كاملاً من البداية، فهو سيعلم الحقيقة كلها إن لم يكن اليوم سيكون غدا خاصة وأنا أرى الشكوك تساوره دائمًا.

. هو لا زال في طور النمو بعد، فلايتمتع بما تمتعتم أنتم به في بداياتكم هنا معي سواء من سابق عمل بنفس عملنا أو التعاون معنا قبل الانضمام لنا أو حتى مجرد معرفة سطحية عن أنشطة المنظمة وطريقة عملها؛ لذا رأيت أنه من الأفضل ألا أقحمه في تفاصيل حساسة من البداية خاصة أن شخصيته، وأفكاره، وثقافته التي ينحدر منها مختلفة نوعًا ما عنا، ولكن مع ذلك هو يبدي مرونة في التغير والاندماج رويدًا رويدًا بينا، فالصبر والاحترافية التي انتهجتها معه في البداية أثمرت عن نتائج طيبة ومرضية للغاية حتى تلك اللحظة، نتائج قد ظن البعض منكم أو حتى كلكم أننا قد لا نصل إليها معه أبدًا وأنا شخصيًا أقدر ذلك لكم وأقدر أيضًا مخاوفكم والتساؤولات التي كانت تدور بأعينكم طوال الوقت، فهذا بلاشك حقكم لذا لم أمانع أو حتي أعترض على التحفظ الذي كان

ينتابكم تجاهه من البداية والذي أظن أنه سيستمر لمزيد من الوقت معه والذي أتمنى أن تأتي اللحظة المواتية والمناسبة والتي سينتهي فيها هذا التحفظ بشكل كامل وتصبح الحياة بيننا وبينه أكثر سلاسة ووضوح وحين يعلم الحقيقة كاملة وأنا أعلم أنه سيعرفها في وقت ما سواء قريبًا أم بعيدًا يكون وقتها قد نمي حقًا وقد أصبح شريكًا لنا في كل شيء، فلن يستطيع التراجع خطوة واحدة للوراء وتصبح دائمًا دفته بيدنا لا بيده.

فقال مارسيلو:

ولكن يا ترى سيد ماركو، هل سينجح حقًا في الشخصية الجديدة أم مجرد تغيير في الشكل فقط؟ وبعض التدريبات التي لا تدل على مدى إمكانية تغيره حقًا حتى وإن بدا عليه بعض الاحتراف، فنحن في مهامنا وعملياتنا لا مجال فيها للتراجع أو حتى التردد، فقط أكون أو لا أكون.

. وهذا تحديد ما جمعتكم له، فأي المهام برأيكم يمكن إسنادها له في البداية؛ كي نري حقا مدى إمكاناته وقدراته؟

فقال جيوفاني:

لي رأي سيد ماركو في هذا لو تسمح لي.

فقال ماركو بعد أن التفت ناحية جيوفاني الذي يجلس بالقرب منه:

حسنًا، قل رأيك جيوفاني، فنريد حقًا أن نسمع وجهة نظرك فيما نطرحه.

. نختبره مبدئيًا بعملية وهمية طالما أننا لازلنا نجهل مستواه ومدى إمكانية تجاوبه حقًا مع المواقف الخطيرة التي لا مجال فيها للتردد، فإن اجتاز الاختبار نسند له عملاً حقيقيًا وإن حدث العكس وقتها يكون

الرأي لك سيد ماركو، إما بإعادة تدريبه أكثر أو حذفه نهائيًا من جدول أعمالنا ومن مجموعتنا.

فقال مارسيلو مشيدًا بما قاله جيوفاني:

أظن سيد ماركو أن هذا هو الرأي السديد في مثل تلك الحالات، فقط على ضيفنا الجديد أن يثبت مدى جدارته ومقدرته على حمل اسم كاسم كوستا المعروف عنه قهر الأعداء، وكسر شوكتهم، والنيل منهم.

.وما رأيك أنت إيزابيلا، فأنا لم أسمع صوتك منذ أن عقدت جلستنا؟

.أعتقد سيد ماركو أن الإخوان قد كفوا ووفوا، فقد لا أختلف عنهم كثيرًا في هذا الطرح خاصة وإن كان هناك نوع من التخوف من وافدنا الجديد في بداية الأمر، فأعمالنا حقًا لا تحتمل خطأ حتى لو كان هذا الخطأ بسيط جدًا؛ لأنه ببساطة من الممكن أن يكلفنا الكثير.

فقال ماركو وهو يلتفت نحو مارسيلو:

مارسيلو ماذا عندك؟

فرد عليه بما يدل على فهمه ما يقصده من سؤاله:

ذخيرة مزيفة، وأحداث وهمية، وهدف غير حقيقي، ويدخل صديقنا إلى حيز المهام الصعبة.

فبدا على ماركو التحمس للفكرة قائلاً:

حسنًا يا شباب إذن، فلتعدو من الآن خطة وتعرضوها عليَّ في غضون يوم وبعدها نقرر التنفيذ.

وانصرف الجميع منهمكين في إعداد خطة العمل الوهمية لكوستا وبالفعل حضروها وعرضوها على ماركو في الموعد وطلب منهم البدأ بالتنفيذ في غضون يومين، وقد كان مكان العملية بمدينة (أغريجنتو)

وقاموا بالطبع بإعطاء كوستا نسخة من ملف العملية؛ لقراءته جيدًا، بالطبع مختلفة عن النسخ الباقية حيث بها إيهام بحقيقية الأحداث ودوره بها الذي ينطوي بالطبع على مخاطر عديدة في مهاجمة وكر من أوكار مروجي المخدرات ومحاولة ضبطهم أو تصفيتهم إن لزم الأمر وبالفعل بعدها بيوم وفى منتصف ليل الخميس تحضر كلاً من كوستا، جيوفاني، مارسيلو، وبونوشي للعملية وكان معهم عدد قليل من الرجال وبعض الأسلحة الخفيفة وانطلقا بسيارتين حيث أحد المستودعات المعزولة والتي تحتوي عناصر إجرامية خطيرة جدًا ومسلحة والهدف من تلك المهمة هو إما السيطرة عليهم أو تصفيتهم إن استدعى الأمر، وكذلك مصادرة أي شيء خطير أو مهم وثمين بحوزتهم وبالفعل أوقفوا السيارتين على بعد خمسمائة متر من المكان وأكملوا المسافة الباقية سيرًا على الأقدام حاملين أسلحتهم وحين اقتربوا من المكان رأوا ثلاثة حراس مسلحين خارج المكان، فكان لزامًا عليهم التعامل معهم وبالفعل تقدم نحوهم كل من جيوفاني و بونوشي ببطء شديد لمباغتاتهم، ولكن حين اقتربوا منهم تعثرت قدم بونوشي بأحد الأوتاد المعدنية بأرضية المكان، فصدر صوت من اتجاهه سمعه أحد الجنود، فالتفت نحوه وما أن التفت نحوه حتى باغته جيوفاني بسرعة جدًا بمسدسه الكاتم للصوت فأرداه قتيلاً، فالتفت باقي الجنود نحوه، وهنا كان قد قام بونوشي من عثرته وقام بمسك أحدهم وإحكام قبضته القوية حول رقبته حتى فارق الحياة، ووقتها أسرعا مارسيلو نحو الجندي الأخر مستخدمًا سلاحًا أبيض وأجهز عليه، كل هذا تم بدقائق قليلة وكان كوستا ينظر ولا يحرك ساكنًا من هول الموقف، ولكن عليه أن يتحرك هو الأخر ولا يترك رفاقه يواجهوا

الموقف منفردين، فأسرع خلفهم حاملاً سلاحه، ولكن حين اقترب منهم ظل ينظر إلى الجثث الملقاة على الأرض لبعض الوقت وبالطبع كان كل شيء مرتب مسبقًا دون علمه، وحين رآه جيوفاني يحدق بشدة وبشيء من الحسرة بالجثث على الأرض، قال له في صوت خافت: مالك كوستا؟ لم يبقي سوا أن تذرف عينيك بالدموع على هؤلاء الأوغاد؟

فرد عليه قائلاً: ليس هذا جيوفاني، ولكن كان من الممكن أن يكون هناك أسلوب أخر لنوقع بهم دون أن نضطر إلى قتلهم هكذا، هذا فقط ما يدور بعقلي.

فرد عليه جيوفاني قائلاً بشكل ينطوي على سخرية: أسلوب آخر! عمومًا هم من رسموا لأنفسهم تلك النهاية، فهذا قدرهم وبالنسبة للأسلوب الأخر هذا الذي يوفر لنا المزيد من الجهد، فأخبرك أنه يوجد منهم الكثير بالداخل عليك فقط أن ترينا هذا الأسلوب، فربما يروق لنا ونستخدمه في المرات اللاحقة.

ثم قال مارسيلو هامسًا: اصمتا أنتما الإثنين، فيبدو أن أحدهم قادم من الداخل، أسمع وقع قدميه، فلتأخذوا حذركما.

فاختبأ كل واحد منهم معطيًا ظهره للجدار وعم الصمت المكان وبدأ هذا الشخص يقترب أكثر وأكثر من الباب ومن أن فتح الباب ولمح جثث الحراس ملقاة على الأرض حتى أطلق رصاصة في الجو؛ كي ينتبه أصدقائه بسرعة وبرز لهم بسرعة هذه المرة كوستا، فقد كان الأقرب للباب من الباقين وما أن واجهه حتى وجد هذا الشخص موجها مسدسه نحوه، فلم يجد كوستا بد أمامه سوا سرعة الانقضاض عليه خاصة وأن سلاحه كان بسترته ولم يسعه إخراجه ودار بينهما عراك سريع، قام

كوستا على إثره بركله وضربه بقوة حتى تمكن منه وأخذ مسدسه عنوة، ثم قام بعدها بضرب رأسه بالمسدس حتى غاب عن الوعي، ثم التفت نحو جيوفاني قائلاً له: هكذا جيوفاني يكون الأسلوب الآخر وما أن انتهى من كلامه حتى وجد عددًا لا بأس به من أفراد العصابة أمامه شاهرين أسلحتهم نحوهم قائلاً أحدهم بصوت عالي: اقتلوهم جميعًا، أبيدوهم، ثم قاموا بفتح نيران أسلحتهم نحوهم بضراوة، فاختبأ كوستا خلف أريكة وكذلك اختبأ رفاقه وكان الرصاص يتطاير حولهم بكل مكان حتى بدأ يقترب منهم فما كان منهم إلا أن قاموا بمبادلتهم إطلاق الرصاص وأوقعوا منهم ثلاثة، ثم بدأ يكشر كوستا على أنيابه من هول الرصاص الذي يتطاير ويطلق من حوله دون توقف أو رحمة، ثم التفت نحوهم بجرأة غير معهودة موجهًا سلاحه تجاههم وظل يطلق عليهم الرصاص بكل شراسة حتى أوقع منهم أربعة بمفرده، ثم أخذ أحد بنادقهم الآلية واتجه إلى الطابق الثاني حيث باقي الرفاق وكانوا خارجين نحوه، فاختبأ خلف أحد الجدران وبدأ يبادلهم إطلاق النار بكل شراسة وعناد حتى أوقع منهم ثلاثة كل هذا وحيدًا بدون باقي الأفراد، فظلوا ينظرون إلى تصرفاته بدون لفت انتباهه وظل يبحث عن أي شخص متواجد بغرف الدور الثاني حتى وجد باب مغلق فقام بكسره ليواجه بشخصين مسلحين ومعهم كمية من المخدرات لتعبأتها فتعامل معهم بسلاحه وظل بعدها يبحث عن أخرين بالطابق حيث قام بكسر العديد من الأبواب حتى انه بحث بحمامات المكان، ولكنه لم يجد أحد، فتوجه تلقاء رفاقه وما ان وصل إليهم حتى قام بإلقاء السلاح الآلي من يده وقام بخطف المسدس من بين يدي مارسيلو وقام بشكل مفاجئ بعدها بإطلاق رصاصة باتجاه قدم

جيوفاني قائلاً وهو غاضب: لا للعب معي مرة أخرى، ففي المرة القادمة صدقوني لا أعلم كيف يمكن أن أتصرف، وخرج مسرعًا نحو إحدى السيارات راكبًا إحداها وانطلق حتى دون أن ينتظر أحدا منهم، ولكنه لم يذهب للقصر بل ذهب للتجول على البحر بالسيارة قبل أن يقرر النزول منها جالسًا أمام البحر ينظر إليه ومتأملاً به، وبعد مضي بعض الوقت بدأ يحدثه ويقول له: لماذا حملتني إلى هنا؟ أما كان أفضل أن تبتلعني في أعماقك وقت أن خضت تلك المغامرة حتى تريحني من هذا العناء والضغط الذي أعيشه وسط هؤلاء الغرباء؟ فلي بضع شهور وحدث كل ذلك لي، فماذا أنتظر بعد في السنين القادمة؟ أيها البحر أجبني وأرحني، فحقًا أنا مجهد وأشعر بالإحباط، أشعر بوحدتي القاتلة، فلا أعرف سواك هنا؛ كي أحكي له معاناتي، فأنت الشاهد الوحيد على القصة من بدايتها، فربما لو نطقت لبرئتني من ذلك العار والإثم الذي اقترفته بحق الشرطي والذي كان سببًا في كل ما تبعه من تنازلات أكبر فها هم كما ترى يخفون عني الكثير، ويتلاعبون بي، لا يثقون في رغم كل ما قدمته في الشهور السابقة ورغم قبولي لتغيير هويتي، واسمي، وحتى شكلي الذي لم يسلم هو الآخر من العبث به.

حين تركهم بهذا الشكل ظن باقي الرفاق أنه أخذ السيارة متجهًا إلى القصر حيث قال جيوفاني وقتها: دعوه فلابد أنه عاد للقصر.

ثم قاموا هم الآخرين بركوب السيارة الأخرى متجهين نحو القصر محملين بخيبة الأمل، فقد انكشف مخططهم، ولكن كيف؟ هذا هو السؤال الذي وجهه لهم ماركو حين وصولهم حيث كان يتابع كل شيء عبر الكاميرات المزروعة بالمكان مسبقًا.

فما كان جوابهم سوا ما قاله جيوفاني: كل شيء كان يسير على ما يرام وفق ما أعد له، ولكن لا ندري كيف اكتشف الأمر؟ فأنت بنفسك تتابع مدي انهماكه معنا فيها حتى انه أصبح يتقدم بمفرده دون مساعدة منا، ولكن حقًا لا ندري لما تصرف هكذا بالنهاية؟ ولما قال ما قاله؟

فتابع ماركو قائلاً:

إذن فأين هو الآن؟

فتعجب الجميع وقال بونوشي:

إذن نفهم من هذا أنه لم يأتي للقصر؟ فقد أخذ إحدى السيارات وتركنا وظننا أنه توجه بها إلى هنا.

فرد ماركو معنفًا إياهم على هذا التصرف:

كيف تتركوه يذهب لوحده وهو في هذه الحالة ولم تتبعوه؟ فربما حدث له مكروه. فرد عليه مارسيلو:

لا تزعج نفسك سيد ماركو فسوف نبحث عنه بكل مكان حتى نجده ومن ثم نحضره إليك هنا.

فرد ماركو وهو غاضب بشكل واضح:

هذا الأسلوب لا يصلح معه حاليًا، فقد أصبح أحد رجالنا حقًا ولا نريد أن نفقده بعد كل هذا المجهود بعدما فقدنا غيره، فالأمر لا يحتمل مزيد من الخسائر، بعد ساعة من الآن إن لم يحضر فاذهبوا للبحث عنه، ولكن من دون أن يتعرض له أحد بأذى أو حتى كلمة واحدة، فيكفي ما حدث.

مرت الساعة التي أشار لها ماركو ولم يحضر بعد فتحركوا للبحث عنه كما قال ماركو: ولكنهم لم يجدوا له أثر حتى بزغ ضوء النهار،

فرجعوا إلى القصر خائبين الرجاء، بل ظنوا أنه استغل الفرصة وهرب بعيدًا ولن يعود لهم مجددًا، ولكن بعدها بنصف ساعة تقريبًا إذ بالسيارة تظهر أمامهم بالقصر؛ لينزل منها، وحين علم ماركو الذي لم ينم ليلتها انتظارًا لعودته خرج له، فحين رأى ماركو وقد ارتسمت على وجه كوستا أمارات الغضب والاستياء الشديدين مما جرى معه أبلغه قائلاً:

عذرًا سيد ماركو، فأنا حقًا مجهد ولا أحتمل الرد أو الكلام من أثر المهمة الكبيرة بالأمس.

هكذا قالها بشكل ساخر وسط اندهاش المتواجدين حينها برفقة ماركو والذين لم يعتادوا على أن يقم أحد مهما كان بالحديث معه بهذه الطريقة، ولكن ماركو نفسه يتفهم ذلك، فهو لم يخبره بعد بحقيقته التي ستجعل شكل وطريقة التعامل مختلفة تمامًا عن تلك الطريقة.

فرد عليه قائلاً بشكل جعل المحيطين أكثر اندهاشًا فوق دهشتهم:

كما تحب كوستا، فلن أضغط عليك في شيء المهم أننا إطمئنينا عليك وعلى سلامتك، يمكن أن تذهب؛ لتنال قسطًا وافرًا من الراحة وبعدها ربما ترغب فيما لا ترغب فيه الآن.

وبالفعل ذهب إلى غرفته وغير ملابسه وذهب إلى فراشه وبعد استيقاظه من النوم وتناول غدائه حيث كان قد بدأ يستوعب ما جرى ويتمالك أعصابه التي كانت متوترة للغاية حتى أنه قرر أن يذهب بنفسه إلى مكتب ماركو في نهاية يوم العمل وحين دخل عليه بدا على كوستا الأسف لما حدث معه، ثم قال:

مساء الخير سيد ماركو. . مساء الخير كوستا، لاتقف هكذا، هيا إجلس.

فجلس أمامه وبعدها أمر ماركو لهما بعصير الليمون حيث شعر من تعبيراته أنه مازال متوترًا مما جرى معه ليلة أمس وبعد وصلة من الصمت الذي لازم كوستا وهو جالس مائلاً برأسه للأسفل أمام ماركو الذي تركه على راحته دون ضغط منه عليه قال وهو على تلك الحالة بعد أن أحضر الخادم عصير الليمون الذي أمر به لهما وضعهما بشكل غريب على الطاولة الصغيرة التي أمام كوستا وكأنه أمر بهما لكوستا:

لماذا فعلتم معي ما حدث بالأمس؟

فقام ماركو من مكانه على غير عادته متوجهًا نحوه قائلاً له بعدما جلس على الكرسي المقابل له؛ لنفهم سبب رغبته في وضع العصير على تلك الطاولة:

أعلم بأنك منزعج مما حدث بالأمس، ولكن صدقني هذا ليس من باب التقليل منك أو تخوينك، ولكن هذا الأمر متبع هنا مع الجميع، فأنت لست أول شخص تمر بذلك، فكما قلت لك سابقًا إنك سوف تتعامل مع أناس في منتهي الخطورة، فأردنا فقط أن نرى ردود أفعالك هذا كل ما في الأمر.

فقال بعدما رفع رأسه ليسمع ماركو الذي رأي أنه لم يعد من اللائق أن يبالغ في طريقة اللوم والعتاب التي ينتهجها منذ الصباح معه:

بعد كل هذا الشقاء بالتدريبات وتغيير هويتي وشكلي لازلت لا تثق بي كرجل من رجالك، إذن لما لم تدعني أذهب لحال سبيلي من البداية. .لا تتحامل على نفسك وعلينا هكذا يا فتى، فهذا نهج وأسلوب متبع هنا مع الجميع وأنا أؤكد لك أنني أثق فيك منذ البداية التي التقيت بها وإلا لما غامرت وأتيت بكَ إلى هنا في مقرنا وأطلعتك على أسرارنا رغم أنني لا

أعرفك شخصيًا، ولكن أنا لي نظرة لا تخيب أبدًا في البشر، أما بالنسبة للعمليات والمهام، فلا تقلق فسوف أسند لك عملية مهمة جدًا طالما أنك متحمس للغاية هكذا.

. أخشى أن تكون هي الأخرى اختبار آخر لي، فأنا في هذا المكان لا أعرف سوا ثلاثة أشياء، السرية الشديدة، والتدريبات القاسية، والاختبارات المبهمة.

فنظر له نظرة فيها شيء من الشفقة وقال:

اطمئن، فهذه المرة ستكون عملية حقيقية وسوف تكون في مدينة (نابولي)، عليك فقط أن تثبت نفسك بها.

. هل أطلعتني على تفاصيلها؟

. بالتأكيد، ولكن ليس قبل أن تشرب العصير الذي أحضرته لك ولم تحتسي منه شيئًا.

فابتسم خجلاً وقال:

أعذرني سيد ماركو على سوء تصرفاتي وسلوكي المشين معك.

لا عليك كوستا، فأنا مقدر تمامًا ما تمر به.

ثم بدأ كوستا يحتسي العصير الذي أمامه وهو منتبه لماركو الذي احتسى هو الآخر القليل منه قبل أن يستأنف قائلاً: أحد أكبر وأخطر مروجي الكوكايين والمخدرات بإيطاليا وخارجها أيضًا، وأحد أكبر الضالعين في أنشطة المقامرات والدعارة على نطاق واسع جدًا ويدعي (زوليا فيسباسيانو) هناك يقبع بالملهي الكبير الذي يدير أعماله منه، فهو لديه عشرات الملاهي غيره ستجدونه وسط جنوده، وحرسه، وعدد من الرجال الذين يتعاملون معه، وقد صدر حكم بحقه وهو هارب منه

ودورك هو التعامل معه هو ورجاله وكذلك فتح الخزانة بمكتبه واستخراج كل ما بها من نقود ومجوهرات وأي شيء مهم.

. طالما أنكم تعلمون مكانه، لما لا تذهب الشرطة بنفسها وتتخلص منه أو حتى تقبض عليه؟

. كما قلت لكَ، إنه هارب، كما أن المكان الذي به مدجج بالسلاح وبالرجال، ربما يأتي بنتائج عكسية وبضحايا كثر وربما يقوم رجاله بإخفائه مما قد يقلب الرأي العام بإيطاليا على الشرطة، فهنا دورنا الذي وجدنا على أساسه، أفهمت؟

. نعم، فهمت ما تقصد سيد ماركو.

. سوف تجد ملف بتفاصيل العملية كاملة لدى إيزابيلا، اذهب إليها وخذ نسخة منه وعليك قراءته جيدًا، وكن حذرًا على نفسك، فأنا لا أريدك أن تتعرض لأي مكروه في أول عملية لك، فهذا الرجل حقًا خطير جدًا هو وعصابته والقضاء عليه يعني الكثير لنا ولإيطاليا كلها، فستكون بحق قدمت جميلاً لهذا المجتمع لن ينسي أبدًا لك .

. اطمئن سيد ماركو سأسعدك حقا في أول عملية لي وسأثبت لك وللجميع هنا بأن اختيارك كان في محله.

فبدت حالة من الرضا والارتياح تظهران على وجه (ماركو) من ردة فعل كوستا قائلاً:

لقد جعلتني متحمسًا للغاية لأرى أدائك بأول عملية لك معنا وأتمنى لك من كل قلبي التوفيق، وتذكر دومًا أن الأولوية لنا هنا هي سلامتك وسلامة باقي الرفاق.

وخرج كوستا من عند ماركو وظهرت على تصرفاته وتعبيراته الحماس والإصرار الواضحين، وكأن الموضوع أصبح تحدي كبير بالنسبة له وليس مجرد مأزق وقع فيه ومضطرًا لإكمال طريقه حتى تسنح فرصة للخروج منه، فمع الخوف والريبة اللتين تحيطان بالمنظمة وشخص ماركو إلا أن سذاجته وقلة خبرته وتلك المفاهيم المتعلقة بالدور الكبير والمهم الذي تلعبه تلك المنظمة في المجتمع تثمر في بعض الأحيان على شعور الفتى بالمسؤولية والحماس؛ لخوض تلك المهام التي أقل ما يقال عنها أنها شديدة الخطورة من كل جوانبها.

واتجه كوستا نحو مكتب إيزابيلا في الدور السفلي لمكتب ماركو ودخل عليها وطلب منها ملف العملية الجديدة وبالفعل أعطته نسخة منه، فأخذه واتجه إلى جناحه ليقرأ ما بها ويضع لمسته عليها إن احتاج الأمر ذلك، وقام بدراسة الملف ومرفقاته ليطلع على المكان المقرر الذهاب له واطلع على صور المكان والملهي من كل جانب من خلال الأقراص المدمجة ولفت نظره كثرة الرجال المدججين بالأسلحة وكل تلك الحماية المفرطة لهذا الشخص زوليا، وسأل نفسه سؤال: أهو حقًا خطر وعليه أحكام كثيرة تستدعي منه كل تلك الحماية لنفسه أم أنها العادة المتبعة دائمًا لهذه النوعية من الاشخاص؟ وسواء كان هذا أو ذاك فالموضوع حقًا يبدو ويتضح لي جديًا ان الطرق السلمية في التعامل لن تجدي نفعًا مع تلك الوجوه القاسية وهذه النفوس الشريرة وإن الرصاص نفسه هو ما سيحسم المسألة، وبدأ فعلا يتخيل مشهد المواجهة من واقع ما رأه وكم من الرجال سيسقط في تلك الليلة على أقل تقدير له وكم من الرجال سيحتاج لإنجاز المهمة والموعد المناسب لها الذي بدا له انه

يفضل ان يكون قرب الفجر حيث يكون الملهي قد خلا من مرتاديه ويسهل عليهم وقتها التعامل مع هؤلاء الرجال، وبعد مزيد من التفكير بالمهمة والعملية رفع سماعة الهاتف متصلاً بإيزابيلا وطلب منها أن تعقد اجتماع مصغر به كل من جيوفاني، بونوشي، ومارسيلو؛ لمناقشة الملف.

فوافقت على الفور واتصلت بهم جميعًا لتحديد موعد الاجتماع، فوافقوا ما عدا جيوفاني الذي أظهر نوع من التذمر الشديد وأخبر إيزابيلا قائلاً: كيف لهذا الشخص ان يطلب مني ومن الأخرين عقد اجتماع معه، أحقًا قد صدق نفسه ونسي من نحن؟ وإذا كان يفعل هذا في بادئ وجوده معنا، فماذا ننتظر منه بعد ذلك؟ هل صرنا تابعين له؟ تبًا له هذا اللعين، فلن أحضر هذا الاجتماع حتى لو ألغيت العملية كلها.

فردت عليه إيزابيلا قائلة: هدئ من روعك جيو، ليس الأمر كما ترى، هو طلب مني فقط الترتيب لهذا الاجتماع للتشاور سويًا ، هذا كل ما في الموضوع، كما أنك تعلم جيدًا أنه لا يعلم شيئًا عنا، وعن عملنا، وعن مستوياتنا بالمنظمة حتى تلك اللحظة، وأظن أن هذا هو مطلب السيد ماركو نفسه، فهل ستأتي في الموعد المقرر أم أرفع الامر للسيد ماركو وهو يقرر؟

فرد قائلاً بنبرة حادة ووجهه محتقن بشدة: تبًا لكي أنتِ الأخرى، أتهددينني؟

فقالت له: ليس تهديد جيوفاني، ولكن طبيعة عملي هي ما تفرض عليَّ ذلك، فأنا حلقة الوصل بينكم، وبينه، وبين السيد ماركو أيضًا، فماذا تظنني فاعلة حيال رفضك لاجتماع كهذا على خلفية عملية مهمة كالتي

ستخوضونها جميعًا خلال أيام وتحتاج فعلاً لاجتماع تنسيقي بينكم، فهذا لم يكن ولن يكون أخر اجتماع بيننا.

ثم صمت قليلاً قبل أن يجيبها: لابأس، سأحضر أيتها البلهاء هذا الاجتماع البغيض؛ لأستمع إلى الخطط الفذة اللعينة لهذا الكوستا الجديد، ولكن أسمعي لابد لهذا الشخص عاجلاً أم آجلاً أن ينسى حالة الدلال التي عاشها في بادئ الأمر ونحن نتابع المشهد من بعيد ولا نحرك ساكنًا ويعرف تمامًا من أنا، وأنت، وكذلك الباقين، فحتمًا لن تستمر تلك المهزلة كثيرًا، فمكانتي لا تحتمل ولا تسمح بالمزيد من هذا الهراء وتلك السخافات، أفهمتي؟

فردت عليه فهمت ياسيد جيوفاني ومن الجيد أنك تعقلت وقبلت حضور الاجتماع وسأسامحك تلك المرة على هذه الكلمة التي قلتها بحقي حتي لا يحتدم النقاش أكثر وأنصحك جيوفاني بأن تتقبل الأمر، فهو أصبح واقع ولا يوجد أحدًا يتبع أحدًا هنا وكلنا نبحث عن مصالحنا ليس أكثر، أفهمت؟ لا تتأخر فسنكون جميعا في انتظار.

وبالفعل حضر الجميع في الموعد المقرر وعرض عليهم كوستا خلال الاجتماع الخطة الرئيسية مضافًا إليها بعض التعديلات مثل الموعد وطريقة التعامل في شكل مجموعات ويكون لكل مجموعة دورها حتى يتمكنوا من إنهاء الأمر سريعًا وبشكل سلس ولم يخلوا الاجتماع من بعض الاستخفاف والسخرية من الحاضرين خاصة جيوفاني وبونوشي، حيث قال بونوشي ساخرًا:

يالها من خطة عبقرية وتعديلات مذهلة لا تخطر ببال أحد من قبل وربما تتسبب في فرار الأعداء حين نظهر لهم!

ثم قال جيوفاني بعدما ضحك من كلام رفيقه:

نعم بونوشي، فعلاً تعديلات مذهلة حقًا، ماذا كنا سنفعل بدون العبقري كوستا؟ فربما فشلت المهمة أو حتى انتهي بنا الأمر إلى أن أصبحنا جثث، ثم صفق له بشكل يوحي بالاستهزاء وكذلك بونوشي ومارسيلو، فشعر كوستا بسخريتهم منه وتهكمهم عليه ما أدى لشعوره بالضيق قائلا:

إن كان كلامي لا يعجبكم يا سادة ولا يروق لكم، فوقتها يمكن لكم أن تعترضوا عليه وأن تقدموا رؤيتكم وخطتكم البديلة، أما بتلك الطريقة فلا يصح أبدًا ولو استمر الأمر هكذا فسوف نعاني سويًا وذلك عكس ما يرمي له السيد ماركو وهو أن نتعاون بما يخدم مصلحة المنظمة والمجتمع.

هنا تدخل مارسيلو؛ لفك الاشتباك القائم وتخفيف حدة الاحتدام بالنقاش الجاري قائلاً:

هدئ من روعك كوستا فكلنا هدفنا مصلحة المنظمة، ثم نظر للجميع وقال: والمجتمع أيضًا، ولكن على ما يبدو انك فهمت الكلام بشكل خاطئ، فلم يقصد أحد أبدًا الاساءة إليك، فكلامك محل تقدير وثناء من الجميع، فهو عين الصواب، ولكن لما سوء الفهم ربما بالغوا الشباب في ثنائهم بشكل فهم خطأ، لكن ما أؤكده لك أننا هنا نعلي المصلحة العليا للمنظمة، فلا مجال للصراع والعصبية التي لا تليق بك أو بنا وما أحب أن ألفت نظرك له على خلفية ما جري أن مثل تلك الاجتماعات قد لا تخلو من نوع من الدعابة معك، ومعي، ومع الأخرين أيضًا، فلا تتحامل على نفسك دائمًا وأنا هنا لا أوجه لك نصحًا، فأنت أكبر من ذلك، ولكن فقط أحاول حل الإشكال الذي حصل بينكم.

فرد عليه كوستا وقد بدا عليه بعض الارتياح لكلامه الذي امتص به جزءًا من غضبه:

حسنًا مارسيلو، كما أوجه اعتذاري للجميع عن انفعالي الغير مقصو.

فقال له بونوشي:

لا عليك كوستا، فنحن نعذرك، فأنت لازلت في بدايتك معنا وقد تحتاج بعض الوقت لتعرفنا أكثر فهذا ما حدث معنا جميعا في البداية، ولكن أخبرني متى سوف نبدأ العملية، فأنا مشتاق حقًا للتعاون سويًا.

فرد عليه كوستا:

أنا عن نفسي جاهز من الآن، ولكن يبقى أنتم من تقررون ذلك.

فقال جيوفاني حيث رأها فرصة مواتية لفرض الرأي النهائي بالاجتماع من ناحيته هو تعويضًا عن الانزعاج الذي شعر به حين دعي له:

الليلة وقت مناسب؛ لكي نستمتع بالقليل من المرح، واطلاق بعض الرصاص، وتنظيف أسلحتنا، فهي تعاني الغبار منذ فترة.

فتحدثت إيزابيلا وقد كانت صامتة طيلة الاجتماع تراقب ما يحدث دون تدخل منها آملة أن تهدأ الأمور ولا تتطور أكثر من ذلك.

هكذا يكون العمل وتلك هي شيم الرجال والأبطال، فلنبدأ من الآن التجهيز للعملية وأنا عن نفسي سأساعدكم في تجهيز الأغراض لتلك العملية وتقديم الدعم لكم في أي لحظة من الان وحتى نهاية العملية وتكليلها بالنجاح المعهود منكم، ولما لا وقد انضم لكم عنصر فاعل جديد

أخيكم كوستا، فأعتقد أن السيد ماركو سيرى إبداعًا من رجاله في الفترة المقبلة.

هنا انتهي الاجتماع وبدأ الجميع بما فيهم كوستا بتجهيز حالهم للعملية، ولكن الأمر بات مختلفًا ، فالهدف حقيقي والعملية حقيقية وليس اختبارًا أو تدريب كسابقتها إذن فالرصاص حقيقي واحتمالية القتل حقيقية واحتمالية تعرضه للخطر أو حتى ربما القتل عالية جدًا، فعليه كل الحذر من هؤلاء الأوغاد، فهو ليس مسؤولا فقط عن نجاح العملية، ولكن أيضًا عن حماية نفسه هذا كله كان يدور بذهنه وهو يجهز نفسه، ولكن التحدي الذي قطعه على نفسه جعله يلقي كل المخاوف وراء ظهره وعليه أن يظهر مزيد من البأس والتجارة، وفي غضون ساعات بدأ التحرك في الموعد المتفق عليه وهو في حدود الواحدة بعد منتصف الليل، وقد كان هناك عدد من الرجال المسلحين في انتظارهم وعدد ثلاث سيارات، وبدأ الفريق في التجمع في الميعاد المقرر وحين اكتمل بدأوا في التحرك في سكون الليل نحو هدفهم؛ لإنجاز المهمة وفى غضون ثلاث ساعات تقريبًا أو أكثر كان الرجال قد وصلوا الى (نابولي) تلك المدينة الجميلة، والعريقة، والسياحية أيضًا، والمليئة بالملاهي الليلية والتي لم يسع لكوستا أن يستمتع بجمالها وبريقها، فقد بدأت الأضواء تخفت، ويسودها الهدوء، ويقل عدد المارة، كما أن جل تركيزه منصب بما هو مقبل عليه في غضون دقائق من الآن وفعلاً ما هي إلا دقائق حتى بدأت السيارات تقترب من المكان المراد والذي لم يختلف كثيرا عما رآه في ملف العملية، فهو مدجج بالرجال والحرس، ولكن عليهم أن ينتظروا بعض الوقت؛ حتى تخف الحركة ويقل عدد مرتادي الملهى وفعلاً مرة

نصف ساعة بعدها ترجل كوستا ومعه مارسيلو وأحد الرجال من السيارة قاصدين الملهى واضعين أسلحتهم معهم وحين اقتربوا من الملهى لم يروقوا للحرس الخاص بالملهى، فطلبوا تفتيشهم قبل دخول المكان وحذروهم إن كان هناك أسلحة أو ما شابه فعليهم المغادرة فورًا فهم غير مرحب بهم هنا. فقال لهم مارسيلو بأن ليس لديهم أي شيء يثير القلق، ولكن الحرس أصر على تفتيشهم فما كان منهم إلا ان أخرجوا أسلحتهم، وقالوا لهم إن هذه الاسلحة ليست سوا للدفاع عن أنفسهم تجاه أي مجرم أو أحد السكاري الذي قد تسول له نفسه المساس بهم، فأخبرهم الحرس بأنه لا داعي لتلك الأسلحة فهم من يتولون الدفاع هنا عن أي أحد من زائري المكان وسنقوم بتسليم تلك الأسلحة لكم بعد مغادرتكم المكان، وقد حاول كوستا أن يحتفظ بسلاحه، ولكن أشار مارسيلو له بترك مسدسه حتى لا يفسد المهمة وبالفعل تركوا أسلحتهم خارجًا وأصبحوا بلا سلاح سوا سكين صغير وضعه كوستا داخل جوربه، فأصبحت المعادلة أكثر صعوبة خاصة وأن الرجال بالداخل والخارج مدججين بالسلاح ولم يبقي سوا باقي الفريق بالخارج هو من لديه السلاح، فأخبروهم بالأمر هاتفيا حتي يكونوا أكثر استعدادًا للأمر، ثم دخلوا إلى الملهى وجلسوا على أحد الطاولات وبدأ النادل يرى طلباتهم ويقدم لهم المشروبات الكحولية والمأكولات الباردة، وبدأ كوستا يحدق بعينه في المكان من الداخل وبالمتواجدين به وكان مبني كبير للغاية عبارة عن ثلاث أدوار، الأرضي ودورين علويين وكان أكثر الرجال المسلحين والحرس بالدور الثاني، فعلم أن المواجهة هناك ستكون شديدة بهذا الدور، ولكن لا يمكنهم المواجهة من الدور الأرضي، وما لفت نظره في

مرتادي المكان أنهم لم يبدو أنهم اناس عاديين، فلاحظ مارسيلو نظراته نحوهم فقال له: كوستا، ماذا بك؟ مالي أراك تحدق بهؤلاء القوم؟

فرد عليه: ليس شيء مارسيلو، سوا إنني اشعر إنهم ليسوا أناس عاديين أتو للسهر والاستمتاع بوقتهم فقط. فأجابه مارسيلو: حقًا، هم ليسوا اناس عاديين، فأغلبهم من مروجي الهيروين، والكوكايين، وقوادين، وتجار سلاح يأتون هنا للمرح وإبرام الصفقات، حيث أن هذا المكان هو المناسب لهم لذلك؛ حيث يقومون بتصفية حساباتهم هنا بعيدًا عن أعين الشرطة التي تجد معاناة كبيرة في دخول مكان كهذا، كما أنه من الممكن أن تتحول تلك الحسابات إلى معارك طاحنة بين العصابات المختلفة.

فعلق عليه كوستا قائلاً: لأجل هذا أخذوا منا أسلحتنا. فرد مارسيلو: نعم، هو ذاك فبين لحظة وأخرى فمن الممكن أن يتحول المكان لساحة صراع دامي حتى الشرطة نفسها لا يسعها السيطرة عليه ولذلك فهي لا تخاطر برجالها هنا؛ لأجل هذا نحن هنا.

فعلق كوستا على كلامه: إذن ماذا يعود لهذا المكان ومالكه من كل هذا؟ ولما يعرض نفسه، ورجاله، وملهاه للمشاكل؟

فأجابه مارسيلو: إنها ياصديقي لعبة كبيرة جدًا عليَّ وعليك، فأي صفقة تبرم هنا يكون لصاحب المكان عمولة عليها إن لم يكن هو نفسه طرفًا فيها، فهو رجل عصابات خطير وهذا هو صميم عمله وفي حال الإخلال بالاتفاق وقتها سيكون فريسة لهؤلاء الرجال التي لا تعرف الرحمة وهنا دورنا أن نقضي على رأس الأفعى والملهي في آن واحد وعليك أن تكون أكثر حذرًا في نظراتك وتعبيراتك، فله أعين في كل مكان هنا

حتى هذا النادل الذي يخدمنا هو أحد رجاله وغالبًا لديه سلاح سيظهر وقت الخطر وتلك الكاميرات المثبتة في أرجاء المكان تنقل له الأحداث هناك أولاً بأول وهو جالس بمكتبه في الدور العلوي يتابع كل شيء.

فرد كوستا: اذن ماذا ستكون خطتنا بعد أخذ أسلحتنا فالوقت ليس في صالحنا؟ فأجاب مارسيلو: هذا ما أفكر به الآن ولا زال معنا مزيد من الوقت وفرصة حتى يخف الجمع ويصبح الوضع أيسر، وبينما هو يفكر كان كوستا هو الآخر يخطط ويفكر من جهته حتى تواصل معهم جيوفاني من الخارج ليقول لهما: أن السيد ماركو يتابع العملية والوضع الذي وصلت له ويطلب منا ومنكما المغادرة فورًا حتى لا نعرض حياتكما للخطر ويمكننا تعديل الخطة فيما بعد للسيطرة على الوضع أكثر. ثم أغلق الهاتف بعدها معه وحينها أشار كوستا بأن ثمة فكرة قد لاحت له، فتكلم مع مارسيلو عن فكرته قائلاً: يقوم أحدنا بالوصول لغرفة الطاقة وأنا أعتقد أنها قريبة من الحمامات فقد لاحظتها من واقع المخطط المرسوم الذي كان معنا أثناء قراءة الملف والخطة ويقوم بقطع كابل الكهرباء الرئيسي حتى يظلم المكان وقتها يقوم الآخران بالصعود للدور العلوي والتعامل مع بعض الأفراد والاستيلاء على أسلحتهم وفي هذا التوقيت يتدخل باقي الفريق من الخارج للسيطرة على المكان من الخارج والدور الأرضي ونكون نحن بالدور الثاني نجهز على الحرس هناك ونسيطر على الوضع وكل هذا لابد أن يتم في دقائق؛ لأنه من المؤكد أن التيار الكهربائي سيعود من نفس المصدر أو مولد إضافي.

فأضاف مارسيلو: فكرة نيرة، ولكن من سيضمن لك بأنك تستطيع أن تصل إلى الغرفة وتقطع الكهرباء، فربما وجدت أحد الحراس بجانبها أو حتى وجدتها هي مغلقة وقتها ماذا سوف تفعل؟

فأجابه: ليس هذا الوقت المناسب؛ لتعقيد الأمر مارسيلو وإن حدث ما قلت فسأجد طريقة لذلك، المهم عليك ابلاغ الأخرين بالخارج بهذا التعديل وأنا سأتحرك من الآن وسأتابع معكم الوضع عبر الميكروفون، ثم بدأ هو بالتحرك نحو المراحيض بعد أن دله النادل عليها واتصل مارسيلو بالأخرين لإبلاغهم بما جد، وقد قال له؛: جيوفاني أن تعليمات السيد ماركو واضحة ولابد لهم من المغادرة وبينما هم يتجادلون كان كوستا قد وصل الى المراحيض وبالفعل وجد غرفة صغيرة بجانب المراحيض، كان بها كابل الطاقة الرئيسي والفرعي وكان المكان خالي من الكاميرات وما إن وجد الأجواء هادئة حتى تسلل إلى المكان وبدأ العبث باللوحة الرئيسية وبينما هو يفعل ذلك إذا به يسمع وقع أقدام قادمة نحو المكان، فكان أحد الجنود الذين يمرون على المكان كل فترة وما أن اقترب أكثر حتى حاول كوستا الاختفاء ولكن كان الرجل قد وصل ولاحظ عبثه بلوحة التشغيل، فهم بتشغيل جرس الإنذار، ولكن كوستا عاجله بضربة بساقة فوقع على الأرض، ولكن لم يفقد وعيه فحاول اخراج مسدسه؛ لكي يقتله، ولكن كوستا كان الأسبق فأخرج السكين التي بحوزته وانقض عليه وعاجله بعدة طعنات كانت كفيلة بالقضاء عليه، وقد كان في حال من الارتباك الشديد؛ بسبب ما حدث له بشكل مفاجئ، فهذه أول مرة حقيقية يواجه موقفًا كهذا حتى أن دماء الضحية قد ملئت ملابسه وسترته، ولكن جدية الأمر فرضت عليه ذلك، ثم قام

بالبحث في ملابسه؛ عله يحصل على مفتاح أو شيء يساعده في فتح لوحة التشغيل وبالفعل وجد عدد من المفاتيح وحاول بكل واحد منهم حتى وجد مفتاح اللوحة بينهم وما أن فتحها حتى وقعت عيناه على عدد من الأسلاك والمفاتيح، وجلس يبحث فيها حتى وجد أحد المفاتيح مكتوب عليه كلمة رئيسي فقام بغلقه على سبيل التجربة وبالفعل وقتها انطفأت الأضواء كلها عن الملهي بالداخل والخارج أيضًا وكان وقتها جيوفاني هو وبونوشي قد شرعا في مغادرة المكان، ولكن ظلمة المكان كانت كفيلة بتراجعهما، فتقدما بالسيارات نحو الملهى وقاما بفتح الأضواء تجاه الحرس ليشغلوهم ونزلا من السيارات باتجاههم وما إن اقتربوا حتى فتحوا نيران أسلحتهم باتجاه الحرس، فقضوا عليهم جميعًا وسيطروا على المكان في دقائق، وقتها كان مارسيلو ومن معه قد صعدا إلى الدور الثاني وذلك بعد أن سادت حالة من الهرج والمرج بالمكان وإطلاق نار عشوائي وخرج عدد من الرجال مرتادي المكان مهرولين، وكان كوستا قد لحق بزميليه إلى الدور الثاني من الملهى حيث كانا قد نجحا في القضاء على بعض الحرس والاستيلاء على أسلحتهم، ولكن يتبقى المزيد منهم في كل مكان ومرت دقائق والوضع لازال كما هو ظلام دامس فقط أضواء بعض الشموع، والكشافات، وصوت أجهزة الإنذار، واطلاق نار عشوائي، وصراخ شديد، وسقوط قتلى، وكان جيوفاني وبونوشي ومعهما اثنين من الرجال قد انضموا للحفل بالداخل وتركوا عدد من الرجال بالخارج؛ لتأمين المكان، ثم فجأة تشتعل الأضواء مرة أخرى من مصدر إضافي، وكان كوستا قد صعد الدور الثاني حيث يحتوي على عدد من الغرف، وبار أخر، وصالة كبيرة للمقامرة وبدأ تبادل إطلاق الرصاص، كان كوستا قد

استولى على مسدس الحارس الذي قتله، ولكن ماذا عساه أن يفعل به مع هذا الكم الهائل من الرصاص والأسلحة الآلية، فكان عليه الحذر، فبدأ يختبأ بأحد الأماكن ويطلق الأعيرة منها بدقة عالية حتى أسقط ثلاث أشخاص فبقي واحد لازال مستمر في إطلاق الرصاص نحوه، فبادره كوستا بإطلاق أعيرة باتجاهه، ولكن قد نفذت الذخيرة منه، فشعر الجندي بذلك وقال له: الآن أيها الفأر الجبان ستخرج من جحرك وهم نحوه.

فبادره كوستا بضربة بسكينه في بطنه أجهزت عليه ونظر نحوه قائلاً وهو يلتقط أنفاسه بشكل سريع دليلاً على التوتر: أعلمت الآن من منا الفأر أيها الجرذ؟ ثم ركله بقدمه وهو يترنح وسحب منه السكين ومسحها من الدماء في ملابس الضحية، ثم نظرا إليها مخاطبًا إياها: لقد أنقذتني من موت محقق مرتين ستكونين رفيقتي في مهامي حتى النهاية، ثم أخذ سلاحه الآلي وكذلك عدد من خزن الذخيرة كانت بحوزة الضحايا، ثم انطلق لينضم إلى أصدقائه وقد كانوا في خضم معارك طاحنة في الدور الأرضي والعلوي، فقد ظهر مزيدًا من الحرس وما أن انضم إليهم حتى قام بفتح نار سلاحه على أخره باتجاههم قاضيًا على الكثير منهم في نظرة اندهاش وتعجب من مارسيلو الذي رأى فيه بأسًا شديد وجرأة منقطعة النظير وظهر وكأنه يقاتل لأجل مسألة مصيرية وماهو إلا وقت بسيط حتى خمدت النيران قليلاً وقد بات الوضع تحت السيطرة أكثر، ولكن أين هدفهم الذين أتوا من أجله؟ فبعد تطويق المكان من الداخل والخارج لم يبقى لهم سوا الطابق الأخير، لابد أنه قابع بالأعلى فلنصعد ونجهز عليه هو الآخر لنحقق معانا، هكذا تحدث كوستا مخاطبًا باقي الرفاق وقد بدأ

بالصعود من الدرج الوحيد المؤدي للدور العلوي، فحذره مارسيلو قائلاً له: مهلا كوستا، فأنت لا تدري هل هذا هدوء استسلام أم فخ لإيقاعنا جميعا؟

فتوقف على بداية الدرج بعضًا من الوقت حتى أرسل جيوفاني اثنين من رجاله لتحري الوضع بالأعلى، فصعدا الدرج وما إن اقتربا من الباب حتى سمعا صوتًا غريبًا فعلما أن هناك قنبلة موضوعة على الباب، فصرخا قائلين بصوت عالي: ابتعدوا فهناك قنبلة، ابتعدوا.

وقبل ابتعادهما عن الباب كان قد فات الأوان وانفجرت القنبلة التي على الباب وقتلت الجنديين وتدمر الباب، ثم بعدها فتح وابل من النيران بالأعلى باتجاههم فاختبأوا وبدأوا يتبادلون إطلاق النيران، ولكن النيران لا تتوقف من الأعلى فلاحظ كوستا قنبلة يدوية بحوزة أحد الجنود، فأخذها منه وقام بإلقائها بالأعلى، فانفجرت واسقطت عدد من الحرس، ثم صعد في جرأة شديدة وتبعه الأخرين إلى الأعلى ووجدوا عدد لابأس به من الحرس، فتعاملوا معهم وأسقطوهم جميعًا، ثم بحثوا في جميع الغرف عن زوليا، ولكنهم لم يجدوا أحدًا، إذن فأين ذهب هذا الوغد اللعين؟ هكذا تحدث جيوفاني.

فرد عليه مارسيلو: من المستحيل أن يكون هرب، فالرجال بالخارج لن يتركوه، ثم كيف له أن يهرب من حولنا دون أن نراه؟

فقال بونوشي: إذن سنعود أدراجنا بدون تحقيق هدفنا بعد كل هذا.

وبينما هم كذلك إذا بكوستا يتفقد المكان عساه يحصل علي شيء أو خيط؛ كي لا يعودوا خائبين الرجاء خصوصًا في أول مهمة له والتي

يريد بأي طريقة أن يثبت نفسه فيها وبينما هو يتفقد أحد الغرف اذ عينه تقع على خزينة ملابس كبيرة، فتفقدها فربما يجد بها شيء، لكن لا شيء ملفت بها، ولكن ما لفت نظره قبل أن يرجع أنه ثمة باب داخلي خفي بها، فشعر أن خلفه شيء مهم وفتحه وإذا به يؤدي إلى مكان متسع بعض الشيء به عدد من الأبواب، ولكن كان هناك باب كبير عليه حارسين، فقال: لابد أن يكون زوليا هنا بالداخل، فباغت الحرس حين ركض باتجاههما مطلقًا الرصاص عليهما ليلقيا حتفهما، ثم قام بركل الباب وفتحه وإذا بزوليا بالداخل جالس على مكتبه ومعه مسدسه بيده وما إن دخل عليه كوستا حتى أطلق زوليا الرصاص نحوه، فتبادل إطلاق النار سويًا وقتها كان الأخرين قد سمعوا صوت إطلاق الرصاص، فعلموا أن هناك أمر تعرض له كوستا، فهبوا مسرعين لمساعدته وحين وصلوا إليه وجدوا كوستا واقفا وهو حامل سلاحه أمام جثة زوليا الملقاة على الأرض غارقة بدمها، فسعدوا جميعًا بهذا الإنجاز وكيف لا فقد كانوا على بعد دقائق من مغادرة الملهى بدون تحقيق هدفهم الرئيسي، ثم بدأوا يعبثوا بمحتويات المكتب والخزينة الرئيسية وقاموا بفتحها فوجدوا بها مبالغ نقدية كبيرة وكمية لابأس بها من المقتنيات الذهبية والنفيسة حتى أن أدراج المكتب كانت تحتوي هي الأخرى كميات من النقود، وكمية كبيرة من مخدر الهيروين، وكمية من العقارات المخدرة، فقاموا بوضع كل هذا في حقيبتين وتم حملهم للسيارات بالخارج، ولكن الأمر لم ينتهي عند هذا فقط فأشار جيوفاني لبونوشي باتجاه الضحية، فأخرج بونوشي سكين بحوزته وقام بقطع يد الضحية، فتذمر كوستا من المشهد قليلاً قائلاً: ما فائدة التمثيل به؟ فقد حققنا ما تريد. فرد عليه (بونوشي وهو

يبرز ابتسامة ساخرة أي تمثيل تقصد يا كوستا؟ فلو كنا نحن مكانه لكنت رأيت التمثيل والتنكيل بحق، ربما قطعنا إربًا ونحن أحياء، مثل هؤلاء لا تأخذك بهم رحمة، ثم إن هذا فقط تذكار للسيد ماركو؛ ليتذكر به أعدائه.

أعدائه؟! هكذا تعجب كوستا من قول بونوشي، فتدخل مارسيلو قائلاً: بونوشي يقصد أعداء البلد والإنسانية كوستا، فهم مروجي مخدرات، ودعارة، وسلاح، فلابد أن يكونوا كذلك أعداء للسيد ماركو ولنا جميعًا أيضًا، أليس كذلك جيوفاني ؟

فنظر جيوفاني للحظات نحوه؛ ليحلل كلامه ورد عليه قائلاً إيه...إيه، إنه كذلك كما قال مارسيلو أعداء الانسانية. فتبسم بونوشي ساخرًا وهامسًا في أذن جيوفاني، انسانية؟! لا أتذكر متى وأين سمعت تلك الكلمة؟ ربما وأنا طفل صغير. فرد جيوفاني عليه: أنت لم تكن صغيرًا قط بونوشي، فشخص بحجمك هذا لابد أن طفولته كانت بائسة للمحيطين به.

ثم تحدث مارسيلو قائلاً: هيا يا شباب كفانا حديث هنا فلا وقت لدينا، فربما طوقت الشرطة المكان في أي لحظة فعلينا المغادرة الآن، ثم قاموا بسكب بنزين بالمكان كله وأشعلوا به النيران قبل المغادرة وتركوه كتله من اللهب وغادروا نحو القصر مرة أخرى بأقصى سرعة، وهذا وكان كوستا يتأمل المشهد والمكان وقد اشتعلت النيران بكل جوانبه في تعجب حتى غاب المشهد عن نظره متسائلاً في نفسه: كيف لمنظمة تعمل لصالح الدولة أن تنكل بالمكان هكذا وتمثل بالجثث هكذا؟ فهذا حقًا أمرًا لا يعقل، فهناك خبايا كثيرة ستتضح جليًا في الوقت اللاحق

عليا فقط الآن أن أحاول أن أغمض عيني قليلاً حتى اصل إلى القصر واستريح من عناء تلك الليلة الصعبة ومن المشاهد الدموية والمرعبة التي عشتها خاله، وكان في استقبالهم حين وصلوا للقصر كلٌ من إيزابيلا وبيترو، وهنأهم بيترو على نجاح العملية قائلاً: أبليتم بلاء حسنًا وكنتم قدر المهمة وأكثر، أما أنتَ يا كوستا فكم سعدت بك انت خصوصًا فها قد ظهر تدريبي لك وجهدي معك، ولكن حقًا أنتَ لم تفاجئني كثيرًا فأدائك في التدريب كان يوحي لي بذلك منذ البداية، فأنت لم تخيب ظني حقًا.

فتوجه له كوستا قائلاً: اشكرك بيترو على قولك هذا، ولكن أنا لا أستحق كل هذا الثناء منك، فلولا هؤلاء الرجال لما انجزنا شيء البارحة.

فتبسمت إيزابيلا وتوجهت لهم قائلة: إن السيد ماركو أراد إلغاء العملية أمس خوفًا عليكم من المخاطرة بدون أسلحة، ولكن إصراركم على استكمالها رغم المخاطر المحتملة وبهذا الذكاء وتلك النتائج جعله فخور جدًا بكم رغم أنه لا يحبذ مخالفة التعليمات دومًا، ولكن الأهم لنا أنكم عدتم سالمين إلينا وأنت كوستا السيد ماركو سيكون غدًا بانتظارك على أحر من الجمر، والآن يمكنكم الذهاب للخلود للراحة فبالتأكيد أنتم في حاجة ماسة إليها بعد تلك الليلة البشعة. ثم أمرت عدد من الرجال المحيطين بهم بحمل الحقائب وغيرها من الأسلحة والذخائر للمستودع المخصص لذلك.

وكان جيوفاني يغمغم في سره قائلاً، كوستا، كوستا إلى متى سيظل يلاحقني هذا الكوستا حيًا وميتا، أما كنا قد انتهينا من ذكر اسمه اللعين، ولكن لابأس عليَّ الصبر والتمهل حتى يحين الوقت المناسب؛ لإزاحة كل

ما يزعجني ويعيقنا ووقتها لن يكون كوستا وحده هذه المرة. ثم توجه كلاً منهم لغرفته؛ لكي يستريح، ولكن الأسئلة لازالت تلاحق كوستا وتلك الصور المريعة لليلة أمس التي مازال يراها أمام عينه والأحاديث التي دارت بينهم لازال صداها بأذنه، فهي حقًا أكثر ليلة صاخبة ودموية في حياته، ولكنه لا يعتقد أنها ستكون الأكثر دوما فما بعدها ربما سيصبح أكثر دموية وعليه أن يعتاد على ذلك، فهي طبيعة العمل الذي لا مفر منه بعد اليوم، ثم خلد للنوم حتى عصر اليوم التالي قبل أن يفيق ليتناول غدائه ويجلس وقت بحديقة القصر بين الزهور والخضرة، فهي الشيء الوحيد الحقيقي والغير مزيف بهذا القصر الكبير وظل يتأمل جمال الزهور، والنباتات المتنوعة والنادرة، والمساحات الخضراء، وشلالات ونوافير الماء المنتشرة في كل أرجائها، فضلاً عن الأشجار الكثيرة التي تتزين بها الحديقة الكبيرة، والمتسعة، والمصممة بشكل ملفت وجذاب للغاية حين تقع عينيك عليها للمرة الأولى والتي تتميز بوجود عدد وافر من الممرات بها وأماكن للجلوس تم وضعها بشكل يضمن الراحة لمن يقوم بجولة بها حين يقرر فجأة الجلوس للتمتع بالمشهد من حوله، فلن يبذل مجهودًا كبيرًا ليجد كرسي أو أريكة تحقق له رغبته، أضف إلى هذا كم العمال والمشرفين على شجيرات، ونباتات، وزهور تلك الحديقة والذين يشرفون بشكل يومي ومستمر عليها لسقيها، وتقليمها، والعناية الفائقة بها والكل بعمله ولا يلتفت مطلقًا لعمل الأخرين بالقصر وكأنه لا يدري ولايعلم حقًا بما يدور فيه، فيبدو أن ذلك من أهم التعليمات التي يأمر بها سيد هذا القصر وتشرف على متابعتها ومتابعة الالتزام بها المسؤولة الأولي عن ذلك إيزابيلا التي قطعت عليه هذا التأمل حين كلمته هاتفيًا

عبر هاتفها الخلوي لتخبره بأن يجهز نفسه خلال نصف ساعة ليحضر الاجتماع الذي سيعقده ماركو لهم، وبالفعل كان الجميع متواجدين في الموعد المحدد وبعدها بعدة دقائق حضر ماركو فوقف الجميع تحية وتقدير له، ثم ألقي عليهم التحية قبل أن يجلس هو ويشير لهم بعدها بالجلوس ولم يفت عليه تهنئتهم والإشادة بهم على عملية الأمس حين قال:

أهنئكم على العمل العظيم فما أنجزتموه يجعلني حقًا فخور بكم.

لم نعمل إلا واجبنا يا سيدي ولولا توجيهاتك وإشرافك علينا لما صرنا هكذا.

فقال بونوشي مكملاً ما قاله جيوفاني:

نعم سيد ماركو، فنحن رجالك الأوفياء ولن نخيب ظنك أبدًا في أي عملية.

نعم بونوشي، أعلم ذلك جيدًا وهذا ما عهدته منكم دومًا وإلا لما احتفظت بكم كل تلك السنين، فدائمًا ما تثيرون فخري وإعجابي بعملكم الرائع، ولكن أخبروني كيف صارت الأمور أمس معكم؟ فقد أخبرت إيزابيلا بإلغاء العملية على خلفية ما جري لكم، ولكن ما حدث إنها بعدها بفترة أخبرتني بأنه تم إنجاز العملية وأنكم في طريق عودتكم لنا.

. كنا نجلس أنا وكوستا بالداخل بدون أسلحة ووصلنا اتصال من جيوفاني بإلغاء العملية، ثم، وقاطعه جيوفاني قائلاً:

ثم فجأة قطع التيار الكهربائي وسمعنا دوي إطلاق النار، فهرولنا مسرعين نحو الملهى؛ لنجدتهم بالداخل، فسيطرنا على الموقع بالخارج، ثم تدخلنا لإنقاذهم بالداخل، ثم أكملنا باقي المهمة وقضينا على الملعون

زوليا، أليس هذا ما تود أن تقوله مارسيلو؟

فتعجب مارسيلو من مقاطعته بهذا الشكل قائلاً:

بلى، بلى عزيزي جيوفاني، ولكن ألا تعتقد أنك أوجزت قليلاً في الكلام؟

فقال (ماركو) بلهجة تنطوي على بعض التهكم:

هكذا هو أخينا جيوفاني يحب الإيجاز في وقت والثرثرة في وقت أخر حسب ما يروق له ويخدم هواه ومبتغاه، ثم التفت ناحية كوستا وكان جالسًا على غير عادته في أخر الطاولة، فكان دائم الجلوس بالقرب من ماركو، فخاطبه قائلاً:

مالك كوستا؟ أراك صامتًا ولا تحرك ساكنا، أأصبحت خجولا فجأة؟

فقال بابتسامة:

قطعًا لا سيد ماركو، فا... ثم قاطعه ماركو قائلاً:

نعم؟ ماذا تقول يا فتى لا أسمعك جيدًا، يبدو أن صوتك خافت أو ربما سمعي صار ضعيفًا هذه الأيام، فهل اقتربت أكثر مني بدلاً من جلوسك بعيدًا عني هكذا؟

ثم نهض مارسيلو الذي يجلس بجوار جيوفاني الذي يجلس على يمين ماركو من مكانه؛ كي يجلس كوستا، فتوجه له ماركو قائلا ما الذي أوقفك هكذا مارسيلو؟

. كي يجلس كوستا ويصبح بالقرب منك.

. ومن قال لكَ إني أريده أن يجلس مكانك أنتَ، ثم أشار لجيوفاني حيث كان يجلس بالقرب منه قائلاً: عذرًا جيوفاني، هلا قمت من مكانك؛ كي

يصبح كوستا أكثر قربًا مني وذلك حتى نسمع منه تفاصيل ما حدث بدلاً من موجز الأخبار الذي أسمعتني إياه.

فأحتقن وجهه من الضجر والغضب الممزوج بالإحراج في آن واحد والذي لم يستطيع أن يكون له رد فعل عليه سوا أن نهض من مكانه قائلاً بشكل يوحي بالاستياء:

حسنًا سيد ماركو، لا يوجد مانع لدي، فليتفضل أخينا كوستا ليجلس بالقرب منك لتسمع منه أكثر التفاصيل بدلا من موجز جيوفاني الذي يبدو أنه لم يعجبك.

ثم جلس كوستا بالقرب من ماركو وحكي له تفاصيل ما حدث في تلك الليلة وعن دور كل واحد منهم في العملية بدقة ورغم أن ماركو كان على علم بكل التفاصيل إلا أنه أراد ان يسمع منه على الملأ وكأنه أراد أن يؤكد على شيء ما ظهر حين قال:

رغم انني سعيد جدًا بما أنجزتموه أمس من عمل وعودتكم سالمين حيث لم نخسر الكثير من رجالنا وسعيد بكَ أنتَ خصوصًا كوستا حيث أن تلك أول عملية رسمية لك، وقد كنت أهل لها وأثبت بجدارة أنه يعتمد عليك في أي عملية بعد ذلك.

.أشكرك سيد ماركو على هذا الثناء العظيم تجاهي فأنا لا أستحق كل هذا، فهذا واجبي بعد كل ما منحتني إياه.

. ولكن مع ذلك فهناك شيء ما حدث أنا شخصيًا لا أحبذه كثيرًا في العمل.

فاستغرب كوستا قائلاً:

ترى ما هو الشيء الذي أزعجك منا سيد ماركو؟

. استمع إليَّ جيدًا فيما أقوله كوستا، فهذا سيفيدك ويفيدنا فيما نحن مقبلين عليه، فالمهام لدينا كثيرة وجدول الأعمال مثقل بأعباء تحتاج إلى التزام أكثر فرغم ما أمنحه من مرونة في التعامل بالعمليات لجميع الأفراد وأعطيهم مساحة من حرية التصرف واتخاذ القرارات إلا أنني لا أحب أبدًا مخالفة تعليماتي تحت أي ظرف؛ لأن هذه التعليمات لا تكن فقط مسائل إدارية، ولكن هي لسلامتكم جميعًا ولضمان نجاح عملياتنا ومهامنا، فنحن نتعامل مع أناس في منتهي الخطورة ولا يوجد أحد يستطيع تقدير خطورة المهام والأشخاص أكثر مني، فأرجو من الجميع ومنك أنتَ كوستا عدم مخالفة تعليماتي مجددًا تحت أي ذريعة.

في هذا التوقيت تحول وجه جيوفاني إلى النقيض، فارتسمت على وجنتيه ابتسامة ماكرة فرحًا بالنقد اللاذع الذي تعرض له كوستا من ماركو ولم يفت عليه بأن يستغل ذلك مضيفًا بعض الكلمات التي قد تلهب الموقف أكثر، فقال:

صدقني سيد ماركو كنت قد حذرتهم من مخالفة تعليماتك، ولكن لا حياة لمن تنادي، فقد حدث ما حدث ولولا تدخلنا أنا وأخي بونوشي وباقي الرفاق ربما انتهى بهم الأمر بالداخل للقتل أو اخذهم رهائن ومقايضتنا بهم.

فرد عليه مارسيلو قائلاً:

لا تبالغ هكذا جيوفاني فما فعلناه كان مخطط له بدقة بالغة، ولولا خطة كوستا لفشلت العملية برمتها.

فرد كوستا بشكل غريب قائلاً:

جيوفاني عنده حق مارسيلو، فيبدو أن الأولى هو الالتزام بالتعليمات، ولكنني فقط أردت ألا تفشل أول عملية لي فسوف تكون دافع لي فيما بعد، ولكنني لم أقصد أبدًا مخالفة التعليمات بأي حال، فتعليمات سيد ماركو وأوامره هي طوق في رقابنا وعلينا جميعا الانصياع التام لها، فهو بمثابة معلم وقائد لنا جميعًا وهو الأكثر علمًا بمصلحة المنظمة ومصلحتنا.

وقتها ساد القلق والوجوم على وجه جيوفاني مرة اخري من هذا الرد الدبلوماسي خاصة وأن نوع من الارتياح الواضح بدا على وجه ماركو بعده وظن في نفسه أن هذا الشخص لن يكون هينًا أبدًا ولديه قدرات على الخروج من أي مأزق بطريقة لائقة وهدوء، وهنا أرادت إيزابيلا بحنكتها وخبرتها أن تكسر حاجز التحفظ والحذر الذي ساد الاجتماع، فقالت السيدة التي تجلس على يسار ماركو:

السيد ماركو هو أب لنا جميعًا ويقف دائمًا على مسافة واحدة من الكل ويقدر تضحياتكم جميعًا؛ لإنجاح المنظمة في دورها المهم والحيوي الذي تؤديه، ولكن كما أخبركم السيد ماركو فلدينا جدول مثقل بالمهام التي تتطلب منا جميعًا الحذر الشديد والانصياع التام للأوامر.

فطقطق بونوشي برقبته مصدرا صوت سمعه جميع الحاضرين وكأنه يريد أن يقطع الحوار عند هذا الحد؛ لأنه على ما يبدو أن لديه شيء، فسأله بيترو وكان يجلس إلى جواره:

أبك مكروه بونوشي؟ فصوت طقطقة رقبتك قد اخترق طبلة أذني.

فرد عليه: لا شيء عزيزي بيتر، ولكن فقط سئمت كثرة النصائح والجدل وأريد أن أرى بعض الدسم في هذا الاجتماع؟.

فضحك الجميع من قوله حتي ماركو ذاته، ولكن كوستا لم يفهم معنى لضحكاتهم هذه على قول بونوشي الذي لا يرى في حديثه ما يؤدي لذلك فربما حديثه إشارة منه إلى الطعام الذي به دسم كاللحم أو ما شابه هكذا بدي الأمر بذهنه حتي أشار ماركو لسيرينا التي تجلس بجوار إيزابيلا التي لا تكف أبدًا عن التدخين حتى بحضور ماركو:

ربما يتعين عليك أولاً عزيزتي سيرينا أن تريحينا من تلك السحابة التي ترافقك دومًا وبعدها عليك أن تجهزي مكافأة لكل فرد وفق ما هو متبع لدينا نظير مجهوده في أسرع وقت.

فظهرت على وجهها ابتسامة من هذا النقد الخفيف منه وبعدها أطفأت السيجارة من يدها استجابة له:

على الرحب والسعة سيد ماركو عليك أن تعتبر الموضوع منتهي من الآن وعليك بونوشي أن تلحقني على مكتبي أنتَ وباقي الرفاق لكي تري وتعاين الدسم الذي أعددته لك أيها الضخم.

فضحك الجميع مرة أخرى على قولها، ولكن اختلف الأمر الآن حيث ضحك كوستا معهم فقد فهم المغزى من وراء كلمة دسم التي استخدمها بونوشي، ثم أنهى ماركو الاجتماع معهم حيث قال:

الآن عليكم الاحتفال بما أنجزتموه حتى تحين لكم فرصة أخرى لصيد ثمين أكثر دسمًا يشبع رغباتكم وخصوصا أنتَ بونوشي، فأنا أعلم عن مدى عشقك للدسم.

فقهقهوا مرة ثالثة وانتهى الاجتماع وسط هذا الكم من الفكاهة بعدما ساده جو من الحذر والجدال في بدايته، وكان كل كلمة به محفورة في ذهن كوستا ودائما ما تزيد عنده علامات الاستفهام أكثر، فتحدث

بونوشي عن الدسم وتحدث ماركو عن الصيد الثمين وكأن لديهم قطيع جاهز من الفرائس وأنا أحد أدواتهم في قنص تلك الفرائس ويا ترى من هي فريستهم القادمة؟ هكذا سأل نفسه وهو أيضًا من قام بالجواب عليها قائلاً: ولما أشغل بالي؟ فغدًا أو بعد غد سأعلم كل شيء، ولكن يبدو أن كوستا هذا أكبر وأكثر أهمية وتأثير مما أتوقع ولابد لي حين تتاح الفرصة أن أعلم تفاصيل أكثر عنه، أعلم أنهم تعمدوا إخفائها عني، ثم ذهب لغرفته وألقى نفسه على السرير واضعًا يده تحت رأسه مفكرًا ومتأملاً كعادته حتى دق هاتف غرفته وكان المتصل به سيرينا وطلبت منه الحضور على الفور، فذهب متوجهًا نحو مكتبها، حيث كان في المبني الإداري، حيث كان مخصص طابق كامل للحسابات، وكان كل من جيوفاني وبونوشي عندها يحصلون على مكافآتهم فأرادوا بفضول الاطلاع على نصيب كوستا بالعملية حيث يصعب من وجهة نظرهم أن يحصل شخص جديد عليهم على مبلغ أعلى منهم أو حتى مثلهم، فحاولا في البداية مع سيرينا الاطلاع على مكافأته، ولكن على ما يبدو أن التعليمات لديها صارمة بهذا الشأن، فلم يستطيعوا الحصول منها عل معلومة حول هذا الموضوع، ثم دق باب المكتب فإذا بكوستا قد حضر ولا زال الآخران متواجدان بالمكان، فألقي عليها وعليهم التحية، فردت عليه التحية وجلسا الآخران يختلسان النظر نحوهما علهما ينالان مرادهما ويشبعان الفضول لديهما بمعرفة مكافأة كوستا عن العملية، ولكن ما أن لاحظت سيرينا هذا حتى قالت لهم

مالي أراكما تحدقان هكذا، ألديكما حاجة الآن؟

فأجابها جيوفاني قائلاً:

لا، ثم انصرفا بعدها تاركين كوستا معها، ولكن قبل أن نتطرق لحديثهم دعنا نتحدث قليلاً عن سيرينا التي لا تتوقف مطلقًا عن التدخين، تلك الفتاة الجميلة، ناصعة البياض، ومعتدلة القوام والطول لانقص به ولا زيادة، قدها كأنه غصن البان، وذات أنف دقيق وصغير، وعيون واسعتين، فاتنتين، بلون أزرق وذات بريق لامع رغم أنها فقدت جزءًا من لمعانها وراء تلك الهالة السوداء التي تغطي جفونها، لديها حاجبين عريضين، مميزين، مرفوعين للأعلى، ووجه بيضاوي مستدير بمساحة جبهة، وخد متوسطة، وتتمتع بشعر بني مموج، طويل وغزير، ولديها شفاه معتدلة على شكل قلب تبدو من النظر إليها أنها هادئة، ولكن مع ذلك لديها مشاعر قلق واضحة والملفت أكثر من ذلك هي صغر سنها، فإنها على ما يبدو إنها الأصغر سنًا بينهم، حقًا إنها كذلك، فعمرها لا يتجاوز السادسة وعشرين عامًا على الأكثر أو تناهزه بقليل، وهي الأكثر حداثة بينهم ولا يتفوق عليها في هذا الأمر سوا من يقف أمامها ناظرًا إليها، ولكن يا ترى ما الذي أتى بها إلى هنا وسط هؤلاء؟ وماهي قصتها وبدايتها معهم؟ ربما نجد تفسير لهذا خلال الأحداث اللاحقة لكل منهم قصة تختلف عن الأخرى، ولكن نعود لهذا الشاب الذي يقف أمام تلك الفتاة منتظرًا ليعرف مصيره هو الأخر.

أهلاً بك سيد كوستا، مالي أراك واقفًا هكذا، ألن تجلس؟ هكذا بدأت الكلام معه قبل أن يجلس قائلاً:

أهلاً بك أستاذة سيرينا، سرني حقًا مقابلتك.

فضحكت بشدة قائلة:

سيد وأستاذة! على ما يبدو أننا سنحول العلاقة بيننا إلى رسميات، فهل تنازلنا عن أية ألقاب تسبق الأسماء؛ كي نكون أكثر سلاسة في التعامل خاصة ونحن سنتعامل كثيرًا سويًا في الأيام القادمة، فأنا المسئولة هنا عن المسائل المالية كلها وأعتقد أنه لم يسبق لك التعامل معي بشكل مباشر.

. كما تحبين، فأنا أيضًا أفضل هذا، هل لي أنا أعرف ما السبب الذي استدعيتني إليه؟

. بالطبع، فلابد أن تعلم أنه بعد كل عملية أو مهمة يسندها لكم السيد ماركو يقوم بإعطاء الجميع مكافأة نظير اجتهاده وذلك حسب تقديره هو وتقوم المنظمة باستثمار جزء آخر لحساب الشخص في أعمالها الخارجية، فلدينا كثير من الشركات والمؤسسات التي تعمل في مختلف المجالات وتدر علينا أرباح نقوم من خلالها بالإنفاق على كل ما تراه هنا ويصبح لكل منا جزء من تلك الأرباح يتحصل عليها سنويًا وأنتَ جزءٌ منا الآن، ثم أخرجت ظرفًا كبيرًا وناولته إياه قائلة: وهذا نصيبك في تلك العملية، ثم أعطته ظرفًا به كمية من النقود تعادل 40(ألف يورو) فأخذ الظرف منها، ولكنه لم يفتحه أمامها وحين لاحظت ذلك قالت له:

أراك لم تفتح الظرف بعد أم أنك تخشي أن تفتحه أمام من وضعت مكافأتك به بنفسها؟

ليس هذا هو السبب، ولكن أيا كان ما به، فبالتأكيد لن يبخسني السيد ماركو حقي.

. بل أفضل أن تري ما به فربما يكون لديك رأي آخر.

فرضخ لها وفتح الظرف فبدت الدهشة ترتسم على وجهه حين رأي ما به من نقود، فكان يعتقد أنه ربما يكون المبلغ 3000 يورو أو اكثر بقليل، فلم يتوقع أن يتحصل على هذا المبلغ كله، ثم صمت حين استلام المبلغ ولاحظت هي صمته حين رأى النقود، فسألته قائلة: مالي أراكَ لا تحرك ساكنًا هكذا؟ ألا تعجبك مكافأتك؟

فأجابها: لا، بل على العكس، أعتقد أن هذا المبلغ ربما يكون كبير أو حتى وضع لي بالخطأ. فردت عليه:

إنه حقك كوستا، كما أنه ليس كاملاً كما أفهمتك، فالباقي يتم استثماره لك ولتعلم شيئًا فربما تتحصل على اكثر من ذلك مستقبلاً.

فتعجب من قولها: أكثر من هذا؟!

. نعم أكثر من هذا بكثير، فالسيد ماركو يقدر رجاله جيدًا ولكن ما أوده منك هو أن تحتاط لنفسك.

فاستغرب من كلامها قائلاً:

وكيف هذا؟

بمعنى ألا يعلم أحدًا هنا بما تحصلت عليه، فهي أمور خاصة بك ويفضل أن تبقى سرية حتى لا تحدث أية توترات لا داعي لها،

نعم أتفهم ذلك جيدًا، ولكن كيف لي أن أحتفظ بكل هذا المبلغ هنا وليس لدي خزانة؟

. من الممكن أن نوفر لك خزانة صغيرة بغرفتك مؤقتًا حتى نقوم بفتح حساب لك بالبنك تضع به أموالك وتمارس عليها عمليات السحب والإيداع والتحويل الخاصة بك.

. نعم هذا جيد، فلابد أن يكون لي حساب بأحد البنوك؛ كي يسهل عليَّ التعامل من دون الرجوع لأحد خاصة أنه لابد ان اعتمد على نفسي في تدبير أموري.

. اطمئن ودع هذا الأمر لي وأنا سوف أنجزه لك بأسرع وقت، ثم بدأت تنشغل ببعض الأعمال عنه وكأن الحوار انتهى عند هذه النقطة، ولكن على ما يبدو هو يأبي أن ينتهي الحوار معها، فظل صامتًا أمامها، ناظرًا إليها، ومتأملاً فيها على غير عادته منذ أن أتى للقصر، وهي عاكفة على الأوراق التي أمامها، ثم قامت بعدها بدقائق بإشعال سيجارة، ولكنها فوجئت به أنه لازال جالسًا أمامها وكانت قد ظنت حين انتهى الحوار بينهما وانهمكت هي في العمل قليلاً أنه قد غادر.

فاستغربت من نظراته لها قائلة: هل لديك شيء أخر كوستا؟

فأجابها قائلاً:

لا، ولكن لدي بعض الفضول لأسالك سؤال ما.

بالطبع تفضل كوستا.

. لماذا أشعر حين تحدثت إليكِ وكأن هناك شيء مشترك بيننا؟

فاستغربت قائلة:

وما الذي يجعلك تشعر بذلك؟!

حين نظرت لعينك رأيت شيئًا ما مما أنتمي إليه؟

فازداد اندهاشها الممزوج بنوع من الخجل البسيط قائلة:

وترى ما الذي تعنيه بكلمة مما أنتمي إليه؟

. في الحقيقة لا أدري أو بالأحرى لا أستطيع تحديده، فقد يكون له علاقة بالمكان، أو حتى بالزمن، والعمر، وربما بالظروف أو حتى التنشئة لكل منا،

فلما وجد منها تركيز معه وأنه اقتحم شيئًا من الخصوصية في حديثه معها شعر بالإحراج، وقال: لا أعلم كيف تجرأت هكذا في الحديث معك فأرجو سيرينا أن تلتمس لي العذر وتسامحينني على تجاوزي معك.

. لا عليك كوستا، فأنا فعلا لدي اهتمام لمعرفة ما يجول بخاطرك، فربما استطعت أن أساعدك فيما تشعر به.

. لا أعلم سيرينا، فربما يكون الحنين إلى وطني، وأسرتي، ووجودي وحيدًا بتلك الغربة له دور في محاولتي بأن أجد من يخفف عني ألم هذا البعد وقد تكوني أنتِ هذا الشخص الذي ربما يساعدني في ذلك.

فقالت سيرينا وقد ظهر عليها بعض التأثر من حديثه:

أشكرك على تلك المشاعر وهذه الثقة بي والتي لن تندم عليها أبدًا، كما أحب أن أخبرك بأن الجميع ربما يراوده نفس الشعور في وقت من الأوقات، ولكن طبيعة عملنا وعملك الصعب تقسو علينا بعض الوقت وتجعلنا حتى لا نفكر بأنفسنا، فصدقني الصراعات والأعمال هنا كفيلة مع الوقت؛ لكي تنسيك كل تلك الأمور ومدى قسوة فراق أهلك ووطنك عليك، فقط أن تتنبه لعملك جيدًا، فأنا فعلاً كما ألهمك حسك كنت مثلك في يوم من الأيام.

. والآن؟

. الآن كما ترى العمل والصعوبات التي نتعرض لها قتلت أحاسيس الحنين والشوق نحو الماضي، فلا يتبقى لنا الوقت الكافي لنبكي عليه، كل ما عليك وعلينا هو التركيز بالعمل؛ لأن هذا فقط هو ما يعوض ذلك الحرمان الذي تقصده.

. لا أعتقد ذلك، فنسيان الأمر كليًا صعب جدًا على الأقل بالنسبة لي، فعلاقتي بأسرتي أكبر مما تتخيلي، فلا زالت تلك الذكريات معهم طيلة السنين الماضية تراودني بين الفينة والأخرى، فأنا حامل عبئهم الأكبر ولولاهم ما كنت بينكم الآن.

. هون على نفسك كوستا، فقط ما أود أن أنصحك به هو حاول ألا تتكلم كثيرًا عن ذكرياتك بالماضي واجعلها محفوظة فقط بصدرك ورأسك، فهي أمور غير محبذة كثيرًا هنا ولدى السيد ماركو بالخصوص خاصة مع شخصك الجديد، أفهمت ما أقصده؟

. أفهم ما ترمين له سيرينا، ولكن فقط أردت أن أبوح ببعض مما بداخلي لشخص شعرت براحة وألفة معه وأحسست ببعض، ثم صمت عن الكلام فجأة ونظر إليها وهي شاردة الذهن وقتها، وقال: سيرينا، سيرينا، هل أنتِ معي؟

فانتبهت له قائلة:

نعم، نعم، أنا أسمعك جيدًا كوستا.

. يبدو أنني أطلت الحديث معك وعطلتك عن أعمالك، سأنصرف الآن، ولكن لن أنسى هذا الحديث معك، فأعتقد أنه سيكون لنا أحاديث أخرى فيما بعد هذا إن لم يكن لديك مانع في ذلك.

فقالت وهي تبتسم ابتسامة خفيفة:

بالطبع لا، فيسعدني ذلك وسأكون حتمًا بانتظارك دائمًا كوستا.

ثم انصرف من أمامها ولم يفت عليه أن يرميها بنظرة مبهمة عميقة تحمل معاني كثيرة خفية، ولكن الملفت أنها تقريبًا بادلته نفس النظرة في

صمت حتى انصرف من أمامها تاركين لنا علامات استفهام ربما تجيب عليها الأيام والليالي القادمة.

وبعد خروجه كان هناك شخصين في انتظاره أعلى السلم يتبادلان الحديث ويبدو أنهما بانتظاره، فقال له جيوفاني حين رأه:

مالنا نراك تخرج مسرعًا هكذا كوستا وقد جلست وقتًا طويلاً بالداخل ونحن في انتظارك هنا منذ مدة، ولكن يبدو أن الحديث طال بينكم بالداخل، فهل هناك عمل آخر بينكم أم أنك آلفت الجلسة مع الفتاة؟ هكذا تحدث جيوفاني بطريقته التهكمية المحرجة كعادته والتي باتت غير مستحبة لصديقنا الذي رد عليه قائلاً:

لا هذا ولا ذاك، ولكن أخبراني لما تنتظراني هنا هكذا؟ أهناك أمر ما؟

فرد (بونوشي) قائلا

أردنا فقط ان نشتكي إليك أمرنا، فقد حصلنا على مبلغ لا يتماشى مع مجهودنا بالعملية، فقد حصلنا على **20** ألف دولار لكل منا وأعتقد أنهم لم يقدروك أيضًا، فكم حصلت معهم؟

هنا ارتبك قليلاً، ثم وضع يده على بطنه قائلاً:

أعذراني يا أصدقاء، فلدي مغص حاد وعلى ما يبدو أنني أريد الذهاب إلى الحمام الآن، حالاً، حا...، ثم تركهما مسرعًا ولوح إليهم وهو نازل قائلاً نلتقي في وقت لاحق.

فقال جيوفاني:

حذرته تلك الفتاة.

فرد عليه بونوشي:

نعم هو ذاك، ولكن لا ضير، فسنعلم كل شيء فيما بعد علينا فقط التركيز في العمليات المعطلة لدينا وسندبر سويًا الأمر أليس كذلك جيو؟

فرد قائلا:

نعم، هو كذلك بونوشي سنسوي كثيرًا من الأمور الخربة بتلك المنظمة سويًا أنا وأنتَ، ولكن ينقصنا بعض الدعم من الرفاق؟

ماذا تقصد بكلامك؟

فأجابه:

قد تلقي لنا الرياح بعض الهدايا في مقتبل الأمر علينا فقط وقتها أن نستغلها أفضل استغلال، فماركو يخطط بقوة للاستغناء عنا، وأنا أعلم ذلك جيدًا، ولكنه لا يستطيع تنفيذ ذلك؛ لحاجته الماسة لنا وهذا الشخص جزء مهم من هذا المخطط، علينا فقط أن نحتاط لأمرنا، وكما قلت ننجز المهام المعطلة لدينا أولاً؛ كي نتفرغ لعملنا الخاص وننجزه بهدوء، وفي يسر تام، ودون إحداث جلبة.

تمت